كتاب التوحيد

تأليف

فضيلة الشيخ

أَبُو أَحْمَدَ شَحَاتَه الشَّرِيف



مقدمة

علم التوحيد

التوحيد

لغة : مصدر وحد يوحد توحيدا وهو العلم بأن الشيء واحد

وفي الاصطلاح : إفراد الله بالعبادة مع الجزم بإنفراده تعالي في ذاته وصفاته وأسمائه.

و علم التوحيد : علم يتوصل به علي إثبات العقائد الدينية من أدلتها اليقينية

و علم التوحيد موضوعه : يبحث علم التوحيد في ثلاثة أمور :

أ- في ذات الله جلا وعلا من حيث ما يتصف به وذلك أنه يتصف بصفات الكمال من الرحمة والقدرة والسمع والعلم .... ومن حيث ما يتنزه عنه من أنه لا تأخذه سنة ولا نوم .... ومن حيث بيان حقه سبحانه علي عباده بأن يعبد وحده لا شريك له

ب- في ذوات الرسل عليهم الصلاة والسلام من حيث ما يتصفون به فيما يجوز في حقهم وما يجب وما يمتنع وبيان حقوقهم علي أممهم

ج- في السمعيات وهي " الأمور المغيبات " من حيث اعتقادها كعذاب القبر ونعيمه وغير ذلك

فضل
علم التوحيد ومكانته

هو من أشرف العلوم مرادا وغاية : حيث أن غاية هذا العلم وفائدته حصول السعادة في الدنيا والآخرة ففي الدنيا لا يهدأ بال الإنسان ولا ينشرح صدره إلا بالتوحيد وفي الآخرة لا يدخل الجنة إلا موحد.

حاجة الإنسان إلى التوحيد :

مما سبق يتضح لنا حاجة الإنسان إلي التوحيد وأنه بالنسبة للإنسان كالماء بالنسبة للسمك وهذا ما يؤكد لنا أن علم التوحيد أشرف وأعظم وأفضل علوم الشريعة فهو يدلنا ويأخذ بأيدينا إلي معرفة الله عز وجل معرفة صحيحة مبنية علي كتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم فينشرح صدر الإنسان ويسلم قلبه ويكون سببا للفوز بالسعادة الأبدية لأن جزاء الموحد الجنة والنعيم المقيم.

حكم تعلم علم التوحيد :

لذلك حالتان :

أولا : معرفة علم التوحيد معرفة إجمالية وهذه الحالة فرض عين علي كل مكلف بأن يقر بأن الله واحد أحد فرد صمد وأنه المعبود وحده بحق وأنه رب كل شيء و مليكه وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب وأن **له حق الطاعة علي عباده مطلقا وأن النبي محمد صلي الله عليه وسلم أخر الأنبياء الذي يجب الإيمان به وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهي عنه وزجر فإذا اعتقد هذا حكم بإيمانه.**

ثانيا : معرفة علم التوحيد ومعرفة تفصيلية فرض كفاية فمن تعلم علم التوحيد تفصيلا زاد إيمانه رسوخا واكتمالا وحَصَل أجرا عظيما عند الله.

شروط التكليف بالتوحيد



يشترط للتكليف بالتوحيد أربعة شروط :

1. العقل: **والمراد به ذلك الوصف الغريزي الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان ويمكنه ذلك العقل من تحصيل العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية 0 والعقل بهذا الاعتبار منحة من الله لا اختيار للعبد في تحصيله ولذلك يقال له العقل المطبوع والعقل بهذا الاعتبار مناط شرك للتكليف**

بالتوحيد وغيره من الأحكام ولهذا يقول علماء الأصول العقل مناط التكليف فإذا أخذ الله ما أوهب أسقط ما أوجب .

2. الشرط الثاني البلوغ: **فيه يستدل علي اكتمال العقل وتمامه .**

3. الشرط الثالث بلوغ الدعوة ووصول الرسالة إلي المكلف **فقبل بعثة الرسل ووصول دعوتهم إلي الناس لا تكليف كما قال تعالي** ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[1] **ولو لم تبلغ الدعوة إليهم لتعللوا واحتجوا بأنه لا داعي لتعذيبهم إذ لم يرسل إليهم رسول قال الله تعالي** ﴿ ولو أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾ [2] **وقد أخبرنا الله أن كل من يلقي في النار يقر بأن الرسل بلغتهم دعوة الله تعالي قال تعالي** ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالو بلي قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما أنزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ [3]

4. الشرط الرابع : سلامة إحدى حاستي السمع والبصر **لأن فقدهما معا كمن فقد عقله. قال الله تعالي** ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [4] **فالسمع والبصر يعدلان الأفئدة .**

حكم من انعدمت فيه شروط التكليف كلها أو بعضها فى الآخرة

هذه المسألة لها حالتان :

الحالة الأولي : **أن يكون من انعدمت فيه شروط التكليف بالتوحيد من أولاد المسلمين إذا مات صغيرا قبل أن يكلف فهذا له حكم خاص يختلف عن سائر الأصناف التي تنعدم فيها شروط التكليف من أولاد المشركين**

---

[1] سورة الإسراء أية (15)
[2] سورة طه أية (134)
[3] صورة تبارك أية (8 : 9)
[4] صورة النحل أية (78)

وأهل الفترة وغيرهم ممن ذكرناهم . فلأئمتنا في أولاد المسلمين قولان قول قال به قلة قليلة من علماء الإسلام وهو التوقف في شأنهم وتفويض الأمر في حكمهم إلي ربهم وهو قول غير معتمد عند العلماء المحققين من أهل السنة .

والقول الثاني : وهو المعتمد عند أهل السنة والجماعة بأن أولاد المسلمين في الجنة فضلا من الله وكرما وإلحاقا بآبائهم وأدلتهم علي ذلك منقولة نقلا صحيحا ثابتا عن نبينا صلي الله عليه وسلم وهذا القول هو الراجح بل حكي غير واحد من الأئمة الإجماع عليه وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام علي علم الله و ما قدره .

الحالة الثانية : من لا توجد فيه شروط التكليف بالتوحد من غير أولاد المسلمين كمن مات في الفترة – وكمن مات وهو صغير من أبوين كافرين – وكمن أدركه الإسلام ولا يعقل ونحو هؤلاء الأصناف فالحكم في هؤلاء أنهم يمتحنون في ساحة الحساب و عرصات القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصي دخل النار .

وقد دل علي ذلك الدليل فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده وصحيح ابن حبان ومسند البزار وسنن البيهقي بسند صحيح أن الأسود بن سريع قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول : أربعة يمتحنون يوم القيامة أصم لا يسمع شيئا وهرم لا يعقل شيئا وأحمق – مجنون – ومن مات في فترة . أما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا وأما الأحمق فيقول رب ما آتانا لك من رسول فيأخذ الله عليهم العقود والمواثيق أن يطيعوه فيعطونه ذلك فيقول الله اذهبوا فادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن أبي سحب إليها .

وثبت في أحاديث أخرى أن الله يقول لهؤلاء إنني كنت أرسل رسولا للناس وأنا رسول نفسي إليكم اذهبوا فادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ونقل إلي الجنة ومن أبى سحب إليها وقال الله أنت كذبتني فكيف لو أرسلت لك رسولا لكنت لهم أشد تكذيبا .

وعلم أنه لا ينقطع التكليف إلا بعد دخول الجنة لمن كان من أهل الجنة ودخول النار لمن كان من أهل النار وعليه فتكليف هؤلاء في عرصات القيامة لا يلزم منه أي أشكال وعليه فمن لم توجد فيه شروط التكليف بالتوحيد إن كان من أولاد المسلمين فقطع له بأن الله سيدخله الجنة كرما منه وفضلا وإن كان من غير أولاد المسلمين فلا ننزله جنة ولا نارا ونفوض أمره إلي الله فهو الذي يعلم حاله بعد امتحانه قد يدخل الجنة وقد يدخل النار علي حسب ما يظهر منه من طاعة أو عصيان .

التوحيد الذي دعت إليه الرسل

بيان أنواع التوحيد

أخي الفاضل هذه كلمات في علم التوحيد جمعتها من كلام أهل العلم نسأل الله أن ينفعنا بها وإخواننا المسلمين يقول الشيخ الفاضل صاحب متن العقيدة الطحاوية رحمة الله عليه (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له) (ولا شيء يعجزه ولا إله غيره)

و التوحيد : هو إفراد الله تعالي بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلي عباده .

و يسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه علي أن الله واحد في ملكه واحد في أفعاله لا شريك له واحد في أسمائه وفي ذاته وصفاته لا نظير له واحد في ألوهيته وعبادته لا ندله .

وإلي هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذي جاءوا به من عند الله وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر فمن أتي بنوع منها ولم يأت بالأخر فما ذاك إلا لأنه لم يأت به علي وجه الكمال المطلوب وأول الرسل الذين دعوا قومهم إلي التوحيد نوح عليه السلام فإنهم لما غلوا في الصالحين ود , سواع ويغوث ويعوق ونسرا أرسله الله إليهم.

قال تعالي ﴿ لقد أرسلنا نوحا إلي قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [1]

وقال هود عليه السلام لقومه ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [2]

وقال صالح عليه السلام لقومه ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [3]

وقال شعيب عليه السلام لقومه ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [4]

وقال تعالي ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [5]

وقال تعالي ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولا الا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [6]

وأخر الرسل هو محمد صلي الله عليه وسلم وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين الذين عبدهم الناس من دون الله تعالي فلقد أرسله الله سبحانه وتعالي إلي أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ويقولون نريد منهم التقرب إلي الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسي بن مريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله إليهم محمداُ صلي الله عليه وسلم يجدد لهم دين

---

[1] الأعراف أية (59)
[2] الأعراف أية (65)
[3] الأعراف أية (73)
[4] الأعراف أية (85)
[5] النحل أيــة (36)
[6] الأنبياء أيـة (25)

أبيهم إبراهيم عليه السلام ويخبرهم بأن هذا الاعتقاد محض حق الله تعالي لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما ولهذا قال صلي الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله **)** [1] **ولهذا كان أول واجب يجب علي المكلف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .**

فالتوحيد هو أول ما يدخل به العبد في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال صلي الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة **)** [2].

فالتوحيد هو أول واجب وآخر واجب.

والتوحيد في عرف الشرع نفي الكف والمثل عن ذات الله وصفاته وأفعاله ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته عز وجل واعلم بأن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع :

- ❖ **أما النوع الأول فهو توحيد بالربوبية**
- ❖ **والثاني فهو توحيد الأسماء والصفات**
- ❖ **والثالث فهو توحيد الإلهية**

وإن شئت قلت التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد القصد والطلب وهو توحيد الإلهية والعبادة .

ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه وابن القيم رحمهما الله تعالي

فأما توحيد الربوبية والملك : فهو توحيد الله بأفعاله .

---

[1] أخرجه البخاري (25) ومسلم (21 , 22) وابن حبان (175 ., 219) والترمزي (2606 , 2607 , 2608) والنسائي (5/ 45) وأبو داود واحمد (19/1 , 47 , 48) والدارقطني (89/2)

[2] رواه الحاكم في الجنائز (1 / 351) وأبو داود (3116) وصححه الحاكم والذهبي وحسنه الحافظ وابن حجر وحسنه الألباني في الأرواء – إرواء القليل) وابن حبان (205 , 719) وأحمد (162/1 , 232/5 , 247) والطبراني (112/20 – 221) والخطيب (10 /335) وابو نعيم (296/2)

وهو الإقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه وأنه المحي والمميت النافع والضار المنفرد وحده بإجابة الدعاء عند الإضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله ويدخل فيه الإيمان بالقدر وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ولم يذهب إلي نقيضه أي طائفة معروفه من بني آدم بل القلوب مفطورة علي الإقرار به أعظم من كونها مفطوروة علي الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ [3]

ويكفي شاهدا علي هذه الحقيقة اعتراف مشركي العرب حين نزول القرآن وهم يُدعون إلي عبادة الله وحده اعترافهم بعدم صلاحية ألهتهم لشيء من صفات الربوبية وحقائقها مع شدة تعصبهم لتلك الآلهة وتقديسهم لها وتعظيمهم إياها فإنهم كانوا لا يترددون في الاعتراف بعدم صلاحية الإنسان فضلا عن غيره من التماثيل والأصنام للاتصاف بصفات الربوبية فلم يكونوا يدعونها لهم بحال من الأحوال وذلك لما وقر في نفوسهم بحكم الفطرة البشرية من عجز المخلوقين عن الخلق والرزق والتدبير والملك .

ولقد سجل القرآن الكريم عجزهم واعترافهم بذلك قال تعالي :

﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ [1]

وقال تعالي : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [2]

وقال تعالي : ﴿ قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ﴾

(3)

---

[3] سورة إبراهيم آية (10)

(1) سورة يونس آية (31)

[2] سسورة الزخرف آية (9)

[3] سورة المؤمنون أية (68: 87)

وقال تعالي : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون ﴾ [4]

فإذا تحققت بأن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية وأن ذلك لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم

و عرفت أن التوحيد هو توحيد العبادة .

عرفت بأن التوحيد الذي جحدوه هو الذي يسميه المشركون في هذه الأيام توحيد الاعتقاد فإنهم كانوا يدعون الله ليلا ونهارا ثم إن منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا لهم أو يدعون رجلا صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسي ورغم ذلك فقد قاتلهم رسول الله صلي الله عليه وسلم علي هذا الشرك ودعاهم إلي توحيد العبادة لله وحده وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع في العصور الماضية فرعون وقد كان مستيقنا به في الباطن كما قال له موسي عليه السلام ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾ **وقال تعالي عنه وعن قومه** ﴿ و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ [5]

ولهذا قال : وما رب العالمين علي وجه الإنكار تجاهل العارف قال له موسي ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ [6]

وأشهر من عرف تجاهلهم وتظاهرهم بإنكار الصانع في العصر الحديث الشيوعيون غير أن الشعور الفطري قائم في كل نفس بالاعتراف بوجد سلطان غيبي هو سلطان الله تعالي لأن الشعور الفطري يقر بوجود الخالق المدبر للخلق والكون حقا

---
[4] سورة الاسراء أية (102)
[5] سورة النحل آية (14)
[6] سورة الشعراء أية (24 : 28)

وكما اعترف من هو منهم عندما وجه إليه أحد علماء المسلمين عدة أسئلة منها أنه قال له هل كانت أرض العرب فيما مضي مروجا وأنهارا قال له نعم قل له فمن أخبر محمد صلي الله عليه وسلم بأن هذه الأرض وهذه الجزيرة كانت فيما مضي مروجا وأنهارا فظل يفكر ثم قال له عرف ذلك من فارس والروم – ثم قال له وهل ستعود هذه الأرض أو هذه الجزيرة مرة أخرى إلي مروجا وأنهارا قال نعم وأخذ يؤكد له ذلك بالأدلة العلمية علي السؤالين فقال له فمن الذي أخبر محمدا صلي الله عليه وسلم بأن هذه الجزيرة سوف تعود مرة ثانية مروجا وأنهارا فأطرف رأسه إلي الأرض ثم أخذ يفكر ثم رفع إصبعه إلي السماء وقال فوق فوق وهذا الرجل الذي كان يسأل حاصل علي الدكتوراه في علم الجيلوجيا وطبيعة الأرض وكان يدرس في جامعة الملك بجدة .

والحمد لله فقد تحطم المذهب الشيوعي وتحطمت الشيوعية لأنها قائمة علي أوهام فما العوامل التي ساعدت علي انتشار المذهب الشيوعي الإلحادي إذا :

أولاً : غيبة الحكم الإسلامي ثانياً : ميل الإنسان بطبعه إلي الشهوات والملذات

ثالثاً : ظلم الكنيسة النصرانية مع فساد الديانة النصرانية وبطلانها ومنافاتها للعقول 0

أقول لقد تعاونت اليهودية أو اليهود مع الصليبين علي تدمير الإسلام بأي وسيلة وبأي طريقة فخطط اليهود لإنشاء المذهب الشيوعي الإلحادي في العالم

وتعاون اليهود والشيوعيون والصليبيون فشنوا حروبا صليبية لا هوادة فيها علي الإسلام والمسلمين وأخرى استعمارية لا رحمة فيها وأخيرا وبعد أن

قرروا التخلي عن مستعمراتهم وصنعوا رجالاً دربوهم في معسكراتهم وعلي أيديهم وملؤهم عداوة للإسلام و حنقا عليه وتفززاً منه واستخفافا به ويمبادئه وشرائعه وسلمتهم السلطة المحلية وخرجت من الباب لتعود من النافذة وتجلس علي عرش قلوب أولئك لتسخرهم عملاء لها ويواصلون نيابة عنهم حربهم للإسلام وأهله وهذا مما ساعد علي شيوع المذهب الإلحادي في الزمن الماضي ولكن الله لهم بالمرصاد فقصم الله ظهورهم وأرانا فيهم عجائب قدرته ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ [17] أقول قد يبدوا غريبا جدا بعد أن عرفنا فيما مضي بأن مشركي العرب أيام بعثة النبي صلي الله عليه وسلم لم يكونوا يشركون في ربوبية الله تعالي أحد من خلقه ومع اعترافنا بوجود مظاهر الشرك في الربوبية في كثير ممن ينتسبون إلي الإسلام في هذا الزمان فمن ذلك.

اعتقاد كثير من هؤلاء الذين ينتسبون إلي الإسلام أن هناك في الكون أقطابا وأبدالا من الأولياء والصالحين لهم قدر من التصرف في حياة الناس فهم يولون ويعزلون ويعطون ويمنعون ويضرون وينفعون كما شاع بين هؤلاء أن هناك أقطابا وأبدالاً وأن هؤلاء الأقطاب والأبدال لهم ديوان تصدر فيه القرارات والمراسيم بربح فلان ونجاحه وبخيبة فلان وخسرانه – كذلك اعتقاد الشيعة الرافضة في أئمتهم هذا الاعتقاد وأكثر من ذلك ومن هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بهم وهتفت الألسنه بهم واستغيث بهم ودعوا عند الشدائد ونودوا للخلاص من المحن وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية لما فيه من الاعتقاد في التصرف والتدبير في الكون لغير الله تعالي أوله ولغيره معه سبحانه وتعالي

[17] سورة الشعراء أية (226)

ولقد تعاون الأعداء واستخدموا المكر والخديعة ودخل كثير منهم في الإسلام ظاهرا وهو يبطن الكفر والعداء للإسلام وأهله واستعملوا أسلوب الخديعة والدس لإفساد عقيدة المسلمين فتعاونوا مع الزنادقة والباطنية والمتصوفة والطرفيين لإفساد عقيدة المسلمين مما يجب التحذير منه والتنبيه عليه دائما هذه الفرقة المارقة الخارجة عن الإسلام وهي تعمل علي هدم عقيدة المسلمين ألا وهي الشيعة الإثنى العشرية أو الجعفرية الخومينية الموجودة الآن في إيران وأصبح لها أتباع في جميع دول العالم فإنها أشد الناس عداء لأهل السنة حتى أنهم يعتبرون أن أهل السنة عدوهم الأول قبل اليهود والنصارى

ونختم الكلام عن توحيد الربوبية وتقريره في الفطر السليمة بهذا القول

سئل أعرابي ما الدليل علي وجود الرب تعالي قال سبحان الله إن البعر ليدل علي البعير وأن أثر الأقدام ليدل علي المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك علي وجود اللطيف الخبير

وقال أبو نواس

تأمل في رياض الأرض وانظر *** إلي آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات *** بأحداق هي الذهب السبيك
علي قضب الزبرجد شاهدان *** بان الله ليس له شريك

وقد سأل بعض الزنادقة أبو حنيفة رحمه الله تعالي عن وجود الباري تعالي فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل 0فقال ويحكم هذه الموجدات بما فيها من العالم العلوي

والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع فبهت القوم ورجعوا إلي الحق وأسلموا علي يديه .

وعن الشافعي رحمه الله تعالي أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل فقال هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الأبرسيم وتأكله النحل فيخرج منه العسل وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرا وروثاً وتأكله الظباء فيخرج منه المسك وهو شيء واحد .

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن ذلك فقال : ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح يعني البيضة إذا خرج منها الديك.

إذ أوجب علي كل من عقل عن الله سبحانه وتعالي أن يعرف بأن الله تعالي قد ذكر في قرآنه اعتراف المشركين بتوحدي الربوبية حيث قال جل ذكره ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [18] قال مجاهد في الآية إيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا ورزقنا فهذا إيمان مع شركهم في عبادتهم غيره فتبين أن الكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره وكانوا مع ذلك وقت الاضطرار يخلصون له أنواع العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء ويدعون أنهم علي ملة إبراهيم عليه السلام فأنزل الله تعالي ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلماً وما كان من المشركين ﴾ [19]

فوجب علي كل من عقل عن الله أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم وسبي نسائهم وإباحة أموالهم مع هذا الإقرار والمعرفة وما ذاك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معناه (لا إله إلا الله) أى لا معبود بحق إلا الله.

---

[18] سورة يوسف أيـة (16)

[19] سورة البقرة أيـة (67)



النوع الثاني من أنواع التوحيد
توحيد الأسماء والصفات



توحيد الأسماء والصفات : فهو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وأنه سميع بصير رؤوف رحيم , وأنه علي العرش استوى وعلي الملك احتوى , وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون إلي غير ذلك من الأسماء الحسني والصفات العلي والإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات واعتقاد ذلك علي الحقيقة فيوصف الرب تعالي بذلك من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل , والله تعالي لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ثم ما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده , وما لم يرد إثباته ولا نفيه فينهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفي لعدم ورود الإثبات والنفي فيهما مثل لفظ (الجهة) فلو قال قائل هل نثبت لله تعالي جهة : قلنا له لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا ويغني عنه ما ثبت فيمهما من أن الله تعالي في السماء وأما إذا كان معناه أن

يراد به جهة سفل فهذا باطل لمنافاته لعلو الله تعالي الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع , وأما إذا أراد جهة علو لا تحيط به فهذا حق لأن الله تعالي العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

وأعلم بأن هذا النوع من التوحيد يقوم علي أساس :

الأول منها :- أن أسماء الله وصفاته كلها توقيفية لا يحوز شيء منها علي الله في الإثبات أو النفي إلا بإذن من الشرع فلا نثبت لله سبحانه وتعالي من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسوله صلي الله عليه وسلم ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصافات إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلي الله عليه وسلم وما لم يرد إثباته أو نفيه يجب التوقف فيه حتي يعلم ما يراد به فإن أريد به معني صحيح موافق لما جاء به النص قبل وإلا وجب رده .

وإذا كان معلوما أن الله عز وجل أعلم بنفسه من خلقه وأصدق قيلا وأهدى سبيلا وأن رسوله المبلغ عنه أعلم به كذلك وبما يجب له ويمتنع عليه من كل أحد وهو أقدر الناس علي بيان ذلك وأحرصهم علي هداية الخلق إليه فلا يجوز التعويل إذا في هذا الباب علي غير الكتاب والسنة وحدهما

الأساس الثاني : أن الله عز وجل في كل ما ثبت له من الأسماء والصفات لا يماثل شيئا من خلقه ولا يماثله شيء بكل ما ثبت له من صفات الكمال التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فهو مختص بألا يشركه فيه أحد من خلقه

الأساس الثالث :- أن صفات الله تعالي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والبصر والرحمة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك وقد دل علي هذا السمع والعقل والفطرة

الأساس الرابع :- أن أسماء الله تعالي كلها حسني بالغة في الحسن غايته قال تعالي ﴿ ولله الأسماء الحسني فادعوه بها ﴾ [20] **وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرا**

مثال ذلك (الحى) اسم من أسماء الله تعالي متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال .

(العليم) اسم من أسماء الله تعالي متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه .

(الرحمن) اسم من أسماء الله تعالي متضمن للرحمة الكاملة ومتضمن أيضا للرحمة الواسعة .

قال تعالي ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [21] **وقال تعالي** ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ [22] **والحسن في أسماء الله تعالي يكون باعتبار كل اسم علي انفراده ويكون أيضا باعتبار جمعه إلي غيره فيحصل بجمع الاسم إلي الآخر كمال فوق كمال مثال قوله تعالي** ﴿ العزيز الحكيم ﴾ **وأن الله يجمع بينهما في القرآن كثيرا فيكون كل منهما دالاً علي الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في العزيز والحكم والحكمة في الحكيم والجمع بينهما دال علي كمال آخر وهو أن عزته تعالي مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلما وجوراً وسوء فعل وكذلك حكمة الله تعالي وحكمته مقرونا بالعز الكامل .**

الأساس الخامس : أن أسماء الله تعالي أعلام وأوصاف :

و أسماء الله تعالي أعلام وأوصاف باعتبار دلالتها علي الذات وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني وهي بالاعتبار الأول مترادفه لدلالتها علي

---

[20] سورة الأعراف أية (180)
[21] سورة الأعراف أية (156)
[22] سورة غافر أية (7)

مسمي واحد وهو الله سبحانه وتعالي وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها علي معناه الخاص فمعني الحي غير معني العليم ومعني العليم غير معني القدير وهكذا . وبهذا عُلم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالي معانيها من التعطيل وقالوا إن الله تعالي سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعزيز بلا عزة وهكذا وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء وهذه العلة عليلة منفية لدلالة السمع والعقل علي بطلانها أما السمع فلأن الله وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد كما قال تعالي ﴿ إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ﴾ [23] وأما العقل فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتي يلزم ثبوتها التعدد وإنما هي صفات من اتصف بها فهي قائمة به .

فإذا قيل علم الله وقدرة الله وإرادة الله ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به لا يشاركه فيها المخلوق وإذا قيل علم العبد وقدرة العبد وإرادته ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي يتنزه عنها الخالق جل شأنه . واعلم أن أسماء الله تعالي غير محصورة بعدد معين كما هو مشهور في الحديث .

واعلم بأن الإلحاد في أسماء الله تعالي هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع : مثل أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والاهتمام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم أو يجعلها دالة علي صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه . أو أن يسمي الله تعالي بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له الأب وتسمية الفلاسفة إياه بالعلة الفاعلة وذلك لأن أسماء الله تعالي توقيفية أو أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز واللاتى من الإله فسموا بها أصنامهم وذلك لأن أسماء الله تعالي مختصة به لقوله تعالي ﴿

---

[23] سورة البروج آية (12 : 16)



﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [24] **والإلحاد بجميع أنواعه محرم لأن الله تعالي هدد الملحدين بقوله** ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ [25] **ومنه ما يكون شركاً أو كفراً وذلك حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية واعلم بأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالي وأفعاله لا منتهي لها كما أن أقواله لا منتهي لها قال تعالي** ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [26] .

وصفات الله تعالي تنقسم إلي قسمين ثبوتية و سلبية

فالثبوتية ما أثبته الله تعالي لنفسه في كتابه أو علي لسان رسوله صلي الله عليه وسلم وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والاستواء علي العرش والنزول إلي السماء الدنيا والوجه واليدين ونحو ذلك .

والصفات السلبية :- ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو علي لسان رسوله صلي الله عليه وسلم وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب فيجب نفيها عن الله تعالي مع إثبات ضدها علي الوجه الأكمل واعلم بأن الصفات الثبوتية تنقسم إلي قسمين ذاتية , و فعلية .

فالذاتية :- هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين ...... ,

---

[24] سورة الأعراف ألآية (180)
[25] سورة الأعراف ألآية (180)
[26] سورة لقمان الأية (27)

والفعليـــــة :- هـي التـي تتعلـق بمشـيئته إن شـاء فعلهـا وإن شـاء لـم يفعلهـا كالاسـتواء علـي العـرش والنـزول إلـي السـماء الـدنيا وتكـون الصـفة ذاتيـة باعتبـارين فإنـه باعتبـار أصـلها صـفة ذاتيـة لأن الله تعـالي لـم يـزل ولا يـزال متكلمـاُ . وباعتبـار آحـاد الكـلام فعليـة لأن الكـلام يتعلـق بمشـيئته يـتكلم متـي شاء بما شاء ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [27]

واعلـم بأنـه يلـزم مـن إثبـات الصـفات التخلـي عـن محـذورين عظيمـين أولهمـا التمثيل ، والتكييف

والتمثيـل هـو اعتقـاد المثبـت أن مـا أثبتـه مـن صـفات الله مماثـل لصـفات المخلـوقين وهـذا اعتقـاد باطـل لا يليـق بـالله وهـو تشـبيه ثـم إنهـم مـن أجـل ذلـك أنكـر بعضـهم مـا دلـت عليـه مـن المعنـي اللائـق بـالله وهـم أهـل التعطيـل سـواء كـان تعطـيلهم عامـا فـي الأسـماء والصـفات أم خاصـا فيهمـا أو فـي أحـدهما ومـذهبهم باطـل لأنـه فـي الحقيقـة تحريـف ومـن هنـا علمنـا بـأن مـذهب أهـل التعطيـل باطـل لأنهـم صـرفوا نصـوص الصـفات عـن ظاهرهـا وهـذا مخـالف لمـا كـان عليـه النبـي صـلي الله عليـه وسـلم وأصـحابه وسـلف الأمـة وأئمتهـا فيكـون باطــلا . لأن الحــق بــلا ريــب مــا كــان عليــه النبــي صــلي الله عليــه وســلم وصـحابته الكـرام : يقـال لهـؤلاء المعطلـة هـل أنـتم أعلـم بـالله مـن نفسـه؟ فسـيقولون لا فيقـال لهـم هـل مـا أخبـر الله بـه عـن نفسـه صـدق وحـق ؟ فسيقولن نعم .

فيقـال لهـم هـل تظنـون أن الله سـبحانه وتعـالي أراد أن يعمـي الحـق عـن الخلـق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم ؟ فسيقولون لا ثم يقال لهم :

هـل أنـتم أعلـم بـالله مـن رسـوله صـلي الله عليـه وسـلم ؟ فسـيقولون لا فيقـال لهـم مـا أخبـر الرسـول صـلي الله عليـه وسـلم بـه عـن الله صـدق وحـق ؟

[27] سورة يس آية (82)



فسيقولون نعم فيقال لهم هل تعلمون أحد من الناس أفصح كلاماً وأبين من رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ فسيقولون لا فيقال لهم هل هناك أحد من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ فسيقولون لا إذا فلماذا لا تثبتون ما أثبته الله تعالي لنفسه وأثبته له رسوله صلي الله عليه وسلم علي حقيقته وظاهره اللائق بالله وما الذي يضيركم إذا فعلتم ذلك فأثبتوا لله تعالي ما أثبته لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه صلي الله عليه وسلم علي الوجه اللائق به إثباتا ونفيا أفليس هذا أسلم لكم وأقوم لجوابكم إذا سئلتم يوم القيامة ماذا أجبتم المرسلين .

واعلم بأن أهل السنة والجماعة مذهبهم في معيية الله تعالي أنهم يؤمنون أن معية الله تعالي لخلقه مقتضاها العلم و الاحاطه في المعية العامة – مع النصر والتأيد في المعية الخاصة.

مع ثبوت علوه بذاته واستوائه علي عرشه وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكره في علوه وفوقيته فإنه سبحانه وتعالي ليس كمثله شيء في جميع الصفات وهو لا ينافي ما ذكره من علوه وفوقيته فإنه سبحانه وتعالي ليس كمثله شيء في جميع الصفات وهو عليُ في دنوه قريب في علوه.

ونقول وجميع آيات الصفات نمرها حقا كما نقل الطراز الأول

وأخيرا يجب علي كل مسلم اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلي الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات ومعانيها واحكامها الواردة في الكتاب والسنة

بقي لنا توضيح حول قول المؤلف (ولا شيء يعجزه) .

ففي هذه الكلمة بحثان وموضوعان

الأول : صفة العجز صفة سلبية أي أنها صفة نفي لا تقوم بالرب وإنما يتنزه عنها

الثانى : صفة القدرة وهي صفة ثبوت بالرب جلا وعلا

وعلي هذا فالله موصوف بالنفي والإثبات وخصائص صفات الإثبات ثلاثة خصائص:

1. انها مفصلة لأن المدح يقع بها وكلما فصلت في الصفات الثبوتية كان ذلك أعظم وأبهي وأفخم

2. أنها مقصودة لذاتها لأنها كمال فذكرها الله ليدلل بها علي كماله فإذا قيل لنا ما المقصود من وصف الله بصفة الاستواء علي العرش وصفة العلو والفوقية قلنا المقصود الدلالة علي وصف الله بهذه الصفات لأنها صفات كمال . فهي مقصودة لذاتها .

3. أنها تدل علي نفي ما يضادها . فصفات الكمال ثابتة لله فهو الحي وهي تنفي ما يضاد كمال الحياة مما يؤدي إلي زوالها وهو الموت أو إلي نقصانها وهو السنة أو النوم لأنها لا تزيل الحياة بالكلية لكنها نقص في الحياة .

فكل من هذه الأمور منفي عن الله سبحانه وتعالي فحياة الرب سبحانه ليس فيها ما يزيلها أو ينقصها فلما ثبت له الحياة أنتفي عنه ما يضادها .

ولذلك فإن أهل الجنة لا ينامون لأن النوم يتنافي مع حياتهم الكاملة الهنيئة وقد سئل النبي صلي الله عليه وسلم عن هذا أينام أهل الجنة قال لا النوم أخو الموت فلو ناموا لاعترى حياتهم نقص وصار في نعيمهم شيء من الكدر .

أما حياتنا نحن فلأنها ليست حياة كاملة فيعتريها ما ينقصها من النوم وغيره بل يعتريها ما يزلها بالكلية وهو الموت .

ولذلك ثبت لربنا صفة الحياة وانتفي عنه ما يضادها . وثبت له صفة القدرة وانتفي عنه صفة العجز قال تعالي ﴿ وما كان الله ليعجزه ممن شيء في الأرض ولا في السماء إنه كان عليما قديرا ﴾ (28)

وأما خصائص صفات النفي فثلاثة أيضا :

1. **أنها مجملة : لأن المدح لا يقع بها وكل ما فضلت في الاثبات وأجملت في النفي كان أبلغ في المدح كما قال سبحانه** ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾

وصفات السلب مجملة إلا في حالتين

الأولى : **إذا نسب إلي الله هذا النفي من قبل أعداء الله فينص الله صراحة علي نفيه عنه علي سبيل التفصيل لا علي سبيل الاجمال .**

فمثلا رد الله من نسب له الولد والصاحبة صراحة فقال ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان له من صاحبة ﴾ **فنفي الله عن نفسه اتخاذ الولد والصاحبة لأنه وجد من نسب إلي الله ذلك**

الثانية : **ليقرر الكمال الذي يضاد النفي علي أتم وجه دفعا للبس والايهام فمثلا قوله تعالي** ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ **فهذا نفي مفصل وذلك لأنه سبحانه لما أخبر أنه هو الحي القيوم . وأن حياته لا يعتريها زوال ولا نقص وأنه قائم بنفسه مقيم لغيره لا قوام لأحد إلا به . أخبر بأنه لا يعتريه سنة ولا نوم ولا يعتريه ذهول لقيوميته سبحانه فلأجل ذلك وتقريره آلي بنفي مفصل فقال** ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ **و إلا فالأصل في صفات النفي أنها مجملة كقوله** ﴿ ليس كمثله شيء ﴾

وكذلك نفي ما قد يتوهم كقوله تعالي ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾

النوع الثالث من أنواع التوحيد

(28) سورة فاطر آية (28)

توحيد الإلهية



توحيد الإلهيـة :ـ وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الإلهية والعبودية علي خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده ويسمي هذا النوع بتوحيد العبادة وهذا التوحيد مبني علي إخلاص التأله له تعالي محبه وخوفاُ ورجاءُ وتوكل ورغبة ورهبة ودعاء ويبني علي ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له لا يجعل فيها شيء لغيره لا لمك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاُ عن غيرهما وهذا التوحيد هو أول واجب علي المكلف وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح فهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معني قول لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادات ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة قال تعالي ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [29] ومن أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلي مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار وقد عرفنا بأن العداوة بين الرسل وقومهم كانت بسبب توحيد الإلهية فإن المشركين كما بينا سابقاً بأنهم كانوا يعترفون بتوحيد الربوبية وإنما كانوا يتخذون من دون الله أنداداُ يشركون بالله ويعتقدون أن هذه التماثيل لقوم صالحين من الأنبياء والصالحين فيعبدونهم علي جهة التقرب بهم إلي الله واتخاذهم وسائط وشفعاء عنده زعماً منهم أنهم لا تقضي لهم حاجة ولا يسمع لهم دعاء ولا تفتح لهم أبواب السماء إلا بشفاعة هؤلاء (الوسطاء)

---

(29) سورة الذاريات آية (28)

قال تعالي عن قوم نوح ﴿ وقالوا لا تذرون آلهتكم ولا تذرون وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾[29] **وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا علي قبورهم ثم صوروا تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلي قبائل العرب ذكرها ابن عباس قبيلة قبيلة "** [30] **وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك علي ما بعثني رسول الله صلي الله عليه وسلم** " أمرني أن لا أدع قبرا مشرفا إلا سويته ولا تماثلا إلا طمسته "[31] **وفي الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته** ﴿ لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾[32] **يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضي الله عنها ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا . وفي صحيح مسلم عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك** [33] **وفي الصحيحين أنه ذكر في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها و تصاوير فيها فقال " إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا علي قبره مسجداُ وصور فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة** [34] **وقال صلي الله عليه وسلم** ﴿ كل مولود يولد علي الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾ [35] **ولم يقل ويسلمانه وفي رواية** ﴿ يولد علي هذه الملة ﴾ **وقال صلي الله عليه**

---

(29) سورة نوح آية 23

(30) أخرجه البخاري موقوفا علي ابن عباس وهو صحيح وله حكم المرفوع (4940)

(31) أخرجه مسلم (969) وابو داود (3218) والترمزي (149) والنسائي (88/4 , 89) واحمد (1/ 69 , 129 , 161) والحاكم (351/1) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان (205) وصححه و أبو نعيم في الحلية (296/2)

(32) أخرجه البخاري (1390) ومسلم (529) وأحمد (80/6 , 121) وابو عوانه (399/1) والباري (326/1) وعبد الرازق (1588)

(33) اخرجه مسلم (532) وابو عوانه (401/1) وابي سعد (240/2) والطبراني في الكبير (1686)

(34) أخرجه البخاري في الصلاة (427 , 434 , 3873) ومسلم (528) و أبو عوانة (400/1 , 401) وابن ابي شيبة (344/3) واحمد (51/6) وابن سعد (239/2 – 34) والنسائي (40/2 – 42) والبيهقي (80/4)

(35) رواه البخاري (1358) ومسلم (2658) وابن حبان (129) وعبد الرازق (20087) و أحمد (275/2) والترمزي (2138) والطبراني في الكبير (826) والحاكم (123/2) وصححه ووافقه الذهبي وأبو داود (4714) ومالك (241/1) والبيهقي في سننه (77/9)

وسلم فيما يرويه عن رب العزة عز وجل ﴿ خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين ﴾ [36]

فعلم التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية قال تعالي ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ **إلي قوله تعالي** ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ [37]

وقال تعالي ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباُ من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [38]

ومن هنا كان الخصومات تبلغ أشدها بين الرسل وأممهم لما تدل عليه عبادة الله تعالي وحده من الكفر بكل معبود سوي الله تعالي وترك عبادته والبراءة منه كما قال تعالي في مواضع كثيرة بأن القوم كانوا معترفين بتوحيد الربوبية وانه لا خالق إلا الله فيوحدون الله بأفعاله وينازعون في توحيد الله بأفعال العباد فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون بأنه لا خالق إلا الله وحده وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك فلم تعبدون غيره وتجعلون معه آلهة أخرى كما قال تعالي : ﴿ قل الحمد لله وسلام علي عباده الذين اصطفي آ الله خير أما يشركون أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءُ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ إله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ [39] **ويقول تعالي في آخر كل آية** ﴿ ءآ إله مع الله ﴾ **إلي الآية 64 حيث قال تعالي** ﴿ آمن جعل الأرض قراراً وجعل

---

[36] اخرجه مسلم (2865) (7067) واحمد (162/4 , 163 , 266) وعبد الرازق (20088) والطبراني في الكبير (987/17 , 992 – 994) والنسائي في فضائل القرآن (95 , 96)

[37] سور الروم (30 : 36)

[38] سورة آل عمران آيــة (64)

[39] سورة النمل آية (59 : 64)

خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أ إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ ﴿ آمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أ إله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أ إله مع الله تعالي الله عما يشركون ﴾ ﴿ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أ إله مع الله قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين ﴾ **ففي أخر كل أية** ﴿ أ إله مع الله﴾ **أي أ إله مع الله فعل هذا وهذا استفهام إنكار يتضمن نفي ذلك لأنهم كانوا معترفين بأن لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك لأن القوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخري في توحيد الإلهية كما قال تعالي** ﴿أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد ﴾ [40] **وكانوا يقولون** ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ [41] **ثم تأمل قوله تعالي** ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض﴾ [42] **فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلي عابده النفع ويدفع عنهم الضر فلو كان معه سبحانه إله أخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وإن لم يقدر علي ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق وإذ لم يقدر المنفرد منهم علي قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من ثلاثة أمور : إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه , وإما أن يعلو بعضهم علي بعض وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف شاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه وانتظام العالم كله وإحكام أمره أدل دليل علي أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره ولا رب لهم سواه كما قد دل على ذلك دليل التمانع**

---

[40] سورة الأنعام أية (19)
[41] سورة ص أية (5)
[42] سورة المؤمنون أية (91)

. **قال الله تعلي** ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [43] **دلت الآية علي أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة بل لا يكون إلا الإله الواحد هو الله سبحانه وتعالي لأنه لا صلاح لهم إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله سبحانه وتعالي وحده لا غيره فعلم بأن توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس فمن لا يقدر علي أن يخلق يكون عاجزا والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً قال تعالي** ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ [44] **وقال تعالي** ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [45] **ولهذا الأمر ألا وهو توحيد الإلهية نجد القرآن الكريم يشير إلي هذا المطلب الأعظم بأساليب متعددة ومتنوعة منها التنديد بما تتخذه الناس ءآلهة من دون الله وإظهار ما لها من العجز الشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع اليها كقوله تعالي** ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلي الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون , إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها قل ادعوا شركائكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ " [46] **وكقوله تعالي** ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ [47] **وكقوله تعالي** ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون ﴾ [48] **وقوله تعالي** ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلي ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان

---

[43] سورة الأنبياء أية 22
[44] سورة الأعراف أية (191)
[45] سورة النحل أية (17)
[46] سورة الأعراف أية (191 : 195)
[47] سورة النحل أية (20 : 21)
[48] سورة النحل أية (73)

محذورا ﴾ (49) **وكقولــه تعــالي** ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنفذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (50) **وكقولــه تعــالي** ﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾ (51) **وقولــه تعــالي** ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ (52) .

وقولــه تعــالي ﴿ ذالكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾(53) **وقــال تعــالي** ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ﴾ (54) **وكقولــه تعــالي علــي لســان مــؤمن آل فرعــون** ﴿ ويا قوم ما لي أدعوكم إلي النجاة.......﴾ **الآيــة إلــي قولــه تعــالي** ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ (55) **وكقولــه تعــالي** ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات والأرض أئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلي يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كان لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ (56) **ففي هذه الآيات السابقة كلها بيان شاف لحال هذه الآلهة الباطلة من العجز**

---

(49) سورة الأسراء أية (56 : 57)
(50) سورة الحج أية (73)
(51) سورة العنكبوت أية (16 : 17)
(52) سورة سبأ أية (23 : 24)
(53) سورة فاطر أية (13 : 14)
(54) سورة الزمر أية (38)
(55) سورة غافر أية (14 : 43)
(56) سورة الأحقاف أية (4 : 6)

والمهانة حتي أنها أقل شأناُ من عابديها لا تملك ما يملكون من أسماع وأبصار وقوى العقل والإرادة والبيان فكيف إذا تصلح للإلهية .

2. **ومن الأساليب التي أشار إليها القرآن الكريم في هذا الأمر هو التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع و لا يبصر ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ولا تغني شفاعتهم عنهم شيئا وذلك مثل قوله تعالي علي لسان إبراهيم عليه السلام خطابه لقومه** ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [1] **وفي موضع أخر** ﴿ لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾[2] **وكقوله تعالي** ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلي الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ [3] **وكقوله تعالي** ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلي يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ (4)

3. **ومن ذلك أيضا تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين وإنكارهم أن يكون لهم يد في إضلالهم وشركهم وذلك مثل قوله تعالي** ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ [5] **ومثل قوله تعالي** ﴿ وإذ قال الله يا عيسي بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال

---

[1] سورة الأنبياء أية (67)
[2] سورة الأنبياء أية (54)
[3] سورة الرعد أية (14)
[4] سورة الأحقاف أية (5)
[5] سورة البقرة أية (165 : 167)

سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علي كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [6] **ومثل قوله تعالي** ﴿ فمن أظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتي إذا جائتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتي إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفا في النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ [7] .

ومثل قوله تعالي ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ [8]

4. ومن أساليب القرآن في الدعوة إلي توحيد الإلهية بيان انفراده سبحانه بما له من الأسماء الحسني والصفات العليا التي لا يكون إلهاً إلا من اتصف بها وذلك لأن الإله يجب أن يكون حائزا لجميع صفات الكمال لأن النقص مناف للإلهية فإذا ثبت اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء والصفات دل ذلك علي تفرده بالإلهية وذلك مثل قوله تعالي ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [9]

---

[6] سورة المائدة أية (116 : 118)
[7] سورة الأعراف أية (36 : 38)
[8] سورة سبأ أية (40 : 42)
[9] سورة البقرة أية (163)

وكذلك أية الكرسي التي هي أعظم أية في كتاب الله , وكذلك كما في أواخر سورة الحشر وأول سورة طه وغيرها كثير وكثير .

بعد أن علمنا فيما سبق أن توحيد الربوبية وحده لا يكفي لتحقيق معني التوحيد المطلوب شرعاً وأن العبد لا يكون موحداً التوحيد الذي ينجي صاحبه من عذاب القتل والأسر في الدنيا أو من عذاب النار في الآخرة بمجرد اعتقاده أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه وأنه سبحانه المدبر لجميع الأمور فإن هذا التوحيد أقر به مشركوا العرب الذين أمر الرسول صلي الله عليه وسلم بقتلهم إذا لا بد مع ذلك توحيد الإلهية الذي هو الغاية العظمي من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام والذي من أجله خلق الله الخلق وجعل الجنة والنار وانقسم الناس إلي أشقياء وسعداء – فكيف إذا نحقق توحيد الإلهية ؟

كيف نحقق توحيد الإلهية ونحذر من الوقوع في الشرك في توحيد الإلهية

لا بد إذا من التعرف علي العناصر التي يتحقق بها هذا التوحيد والتي إن توفرت في شخص كان توحيده كاملاُ وإذا أردنا معرفة ذلك فلابد من معرفة أنواع العبادات التي تعبدنا الله بها في العقائد وفي الأقوال والأعمال التي يحبها ويرضاها وأمرنا أن تقرب إليه بها – ولماذا لأنه قد التبس علي كثير من الناس بعض هذه الأمور فتوجهوا إلي غير الله عز وجل دون أن يشعروا بخطر ذلك علي دينهم وانخلاعهم به من ربعة الإسلام – وهذه العبادات علي كثرتها ترجع إلي أربعة أنواع :

1. عبادة قلبية مناطها القلب
2. عبادات قولية تتعلق باللسان
3 . عبادات عملية تتعلق بالجوارح
4. عبادات مالية تتعلق بالأموال

وبيان هذه الأنواع هو ما سنوضحه بعون الله وفضله إن شاء الله وقبل بيان هذه الأنواع الأربعة بالتفصيل نريد أن نتعرف علي معني العبادة .

فالعبادة هي : طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه , وقيل هي كمال الحب مع كمال الذل وقال شيخ الإسلام ابن تميمة في تعريفها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

العبادات القلبية



وهي التي ترجع علي عمل القلب وحده وهي أهم أنواع العبادات وتعتبر أساساُ لما وراءها من العبادات القولية والعملية – ومنها أي من العبادات القلبية :

1. **الإيمان** : وهو تصديق القلب بوجود الله تعالي وربوبيته لكل شيء وإلهيته للأولين والأخرين مع التصديق بكل ما أمر الله تعالي بالإيمان به من أسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والميعاد والجزاء والنعيم للأتقياء والعذاب والشقاء للأشقياء والإيمان بالقضاء والقدر وبناءً علي هذا فإن العبد إذا لم يعترف بهذا التوحيد أو صرف شيئا من توحيد الربوبية أو الإلهية لغير الله تعالي فقد كفر وأشرك علي ما سنوضحه .
2. **الإخلاص** : وهو أن يقصد الإنسان بقوله وعمله وجهاده وجه الله وابتغاء مرضاته فلا ينظر إلي مغنم أو جاه أو لقب أو أن يقول الناس إنه محسن وشجاع ونحو ذلك فإن ذلك رياء يحبط العمل ويفسده قال تعالي ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين حنفاء ﴾ [10] **وقال تعالي** ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ [11] **والإخلاص هو أساس العبادة فإن العبادات كلها لا تكون مقبولة ولا معتداً بها إلا إذا توفر فيها شرطان :**

أ- أحدهم باطني وهو إخلاص النية فيها لله عز وجل بحيث لا يقصد بها إلا وجه الله والدار الآخرة كما ذكرناه في الآيتان السابقتين .

ب- ثانيهما ظاهر وهو المتابعة فيها للشرع ومجيئها وفق ما أمر الله به رسوله من غير زيادة ولا نقص

فإذا اختل واحد من هذين الشرطين لم تصح العبادة فإنها إن خلت من الإخلاص كانت رياءُ وهو الشرك الأصغر وإن خلت المتابعة كانت ابتداعاً ولهذا كان الإخلاص ميزان الأعمال كلها وعلي قدر توفره في العمل يكون الثواب كما قال صلي الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه) [12]

3. **الخـــوف : الخوف من الأعمال القلبية – والخوف إنما يكون من الله وحده وعدم الخوف ممن سواه وهو من أهم العبادات : قال تعالي** ﴿ فلا تخافوهم و خافون إن كنتم مؤمنين ﴾ **(13) وقال تعالي** ﴿ وادعوه خوفاً وطمعا ﴾ **(14) وقال تعالي** ﴿ وإياي فارهبون ﴾ **(15)**

والرهبة خوف مع هرب وفرار والفرار من الله لا يكون إلا إليه كما قال تعالي ﴿ **ففروا إلي الله إني لكم منه نذير مبين** ﴾ [16] **وقال تعالي** ﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن

---

[10] سورة البينة آية (5)
[11] سورة الزمر أية (2)
[12] البخاري (1 , 4 , 529 , 2529 , 3898 , 5070 , 6689 , 6953) ومسلم (1907 , 4844) ابو داود (221) والترمزي (1647) وابن ماجه (2427) والنسائي (1/58 – 60) (6 / 158 – 159) (13/7) ومالك (صـ 41) وأحمد (1/25 , 43) والطيالس (صـ 9)
[13] سورة آل عمران أية (175)
[14] سورة الأعراف أية (56)
[15] سورة البقرة أية (40)
[16] سورة الذاريات أية (50)

كنتم مؤمنين ﴾ [17] **وقال تعالي** ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتين ﴾ [18] **وقال تعالي** ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلي قوله تعالي أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [19] **قيل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه ولهذا قال صلي الله عليه وسلم** ﴿ إني لأتقاكم لله وأشدكم خشية ﴾ [20] **قال تعالي** ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشي الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ **إلي غير ذلك من الآيات التي تفيد أن أعبد الناس لله وأكملهم به أيمانا أخوفهم من الله وأشدهم خشية ومن هنا يعلم ضلال من زعم من الصوفية أنه يعبد الله خوفا من ناره وطمعا في جنته فإن الله أمرنا أن ندعوه خوفا وطمعا ومدح عباده الصالحين بأنهم يدعونه رغبا ورهبا وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ولكن ينبغي أن لا يفهم من كون الخوف عبادة أن كل الخوف من غير الله يكون شركا فإن هناك خوفا جبلياُ يقع في النفس عند توقع خطر أو تعرض لألم أو نحو ذلك وهؤلاء هم رسل الله وهم أكمل الناس توحيدا فهذا إبراهيم خليل الرحمن لما جاءته الرسل ببشارة الله عز وجل وقدم إليهم العجل ورأى أيديهم لا تمتد إليه وأوجس منهم خيفة ولم يذهب روعه إلا بعد أن عرفوه بأنفسهم وقالوا له لا تخف وهذا موسي كليم الله لما قتل القبطي حين استغاثه الإسرائيلي عليه أصبح في المدينة خائفا يترقب ولما جاءه رجل من أقصي المدينة يخبره بأن الملأ يأتمرون ليقتلوه خرج من مصر خائفا يترقب ولما أمره الله أن يلقي عصاه ورآها تهتز كأنها جان ولي مدبراُ ولم يعقب حتي قال الله تعالي له يا موسى أقبل ولا تخف إنك من ألآمنين – وكذلك لما ألقي السحرة حبالهم وعصيهم حتي ملئوا بها الوادي أوجس في نفسه خيفة حتى قال الله تعلي لا تخف إنك أنت الأعلي وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا .**

---

[17] سورة التوبــة أيـة (13)
[18] سـورة الرحمن أيـة (46)
[19] سـورة المؤمنون أيـة (57 : 61)
[20] البخاري (5063) ومسلم (249 , 975) (1108) وابو داود (3237) وابن ماجه (4306) (1546 , 1547) واحمد (300/2 , 375 , 408) (3583/5 , 360) واحمد ايضا (71/6 , 72 , 111 , 180 , 221) والنسائي (94/1 , 95) (93/4 , 94)

وهذا داود عليه السلام إذا تسور عليه الخصوم المحراب ودخلوا عليه علي حين غفلة ففزع منهم حتى رأوا أمارات الخوف عليه فقالوا له لا تخف وأخبروه أنهم لم يأتوا بشر وإنما جاءوه متحاكمين إليه .

ولكن ينبغي أن يعلم أن الخوف الذي هو عبادة هو ما كان ناشئا عن معرفة صحيحة بالله عز وجل وما له من صفات الجلال والقهر التي تملأ جو النفس برهبة لا حد لها وتحملها علي المسارعة في مرضاة الله وتجنب مساخطه وإذا سلط الخوف علي النفس فأنه يسوقها في سيرها إلي الله سوقا حتي لا تركن إلي غفلة وفتور ولكن ينبغي أن لا يضطر في الخوف فينقلب يأسا وقنوطا بل يجب أن يكون مصحوبا بالرجاء والأمل وحسن الظن بالله وما أحسن قول بعض السلف (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ولكن المؤمن من يجمع بين الحب والخوف والرجاء) ومن هنا فإننا نقول يجب أن نفرق بين أنواع الخوف .

فإنه تارة يقع عبادة وهو خوف السر فالخوف ينقسم إلي قسمين :

1. خوف السر : هو أن يخاف العبد من غير الله تعالي بأن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره فهذا شرك أكبر – فإنه يجب علي العبد أن لا يخاف خوف السر إلا من الله وحده .

2. خوف طبيعي : وهو كمن يخاف من عدو أو سبع أو أي خطر فهذا ليس خوف عبادة ولا ينافي الإيمان وقوعه في القلب ابتداء ولكنه لا يستقر في القلب بل يذهب بالتوكل واللجوء إليه سبحانه وأن لا يترتب عليه ترك واجب ولا فعل محرم كما ثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه إذا خاف قوماُ قال اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم " [21] وقال موسى وهارون عليهما السلام " ربنا إننا نخاف أن

[21] رواه أبو داود (1537) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الكلم الطيب (106) وصحيح الترمذي (139/3) صحيح ابن ماجه (316/2) وصحيح الجامع (4706)

يفرط علينا أو أن يطغي قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى " [22] **فإذا أدى هذا الخوف الطبيعي إلي ترك واجب أو فعل محرم فهو في هذه الحالة مذموم ومحرم . ولأن الجبن من الأخلاق الرذيلة المذمومة كمن يخاف من الظلمة دون أي سبب فيترك الواجبات ويقع في المحرمات ولذلك علمنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن نقول** " أعوذ بك من الجبن والبخل " [23] **وقال تعالي** ﴿ فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين ﴾ [24] **واعلم بأن الخوف من الله تعالي من أفضل العبادات وأعلي مقامات الدين وأجلها التي يجب إخلاصها لله تعالي "**

4. المحبـــة : **وينبغي أن يعلم بأن حب الله تعالي وتقديم محبته علي كل شيء هو حياة القلوب ونعيم الأرواح وبهجة النفوس وقرة العيون وأعلي نعيم الدنيا والآخرة – قال تعالي** ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين أمنوا أشد حبا لله ﴾ **(25) قال ابن القيم رحمه الله تعالي يخبر تعالي أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالي فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحداً من أهل الأرض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر الناس أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب ولهذا قال تعالي** ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ **(26) فجعل علامة حبهم لله أن يتبعوا رسوله صلي الله عليه وسلم ويكون هواهم تبعاً لما جاء به ووعدهم علي ذلك حبه لهم ومغفرته لذنوبهم وإذا كان الحب عبادة بل هو أساس العبادات كلها إذ لا يصح شيء منها إلا مع كمال الحب وكمال الذل فلا يصح أن يحب العبد مع الله أحداً فإن هذا من اتخاذ الأنداد التي صرحت به أية سورة البقرة بل يحب في الله ولله وبهذا يظهر أن حب غير الله لا ينافي التوحيد بل قد يكون من**

---

[22] سورة طه أيـة (45 , 46)
[23] أخرجه البخاري (6767) ومسلم (6743) وأبو داود في الصلاة (1540) والنسائي في الاستعاذة (8 : 257)
[24] سورة آل عمران أيـة (157)
[25] سورة البقرة أيـة (165)
[26] سورة آل عمران أية (31)

كمال التوحيد فإن من تمام حب الله تعالي أن يحب في الله ويبغض في الله ويوالي في الله ويعادي في الله ويحب ما يحبه الله ويرضاه من الأشخاص والأخلاق والأعمال ويبغض ما يبغضه الله كذلك ولهذا لا يكمل إيمان أحد حتي يكون رسول الله صلي الله عليه و سلم أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين وحتي يحب المرء لا يحبه إلا لله وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فيؤثر مرضاتهما علي مرضاة كل أحد ويقدم أمرهما وحكمهما علي أمر كل أحد وحكمه - وبالجملة فيجب التمييز بين المحبة في الله ولأجله التي هي من كمال التوحيد وتمام الإخلاص وبين الحبة مع الله التي هي محبة الأنداد من دون الله لما يتعلق بقلوب المشركين من الإلهية التي لا تجوز إلا لله وحده . وينبغي أن يعلم بأن المحبة تنقسم إلي خمسة أقسام كما جاءت الآية مبينة لبعض أنواعها :

1. **محبة شركية كما قال تعالي** ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [27]
2. **محبة الباطل وأهله وبغض أهل التوحيد وهذه صفة المنافقين – قال تعالي** ﴿ والمنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ [28]
3. **محبة الله ورسوله قال تعالي** ﴿ والذين أمنوا أشد حبا لله ﴾ [29] ﴿ أوثق الإيمان الحب في الله والبغض في الله ﴾ [30] **وقال** ﴿ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مم سواهما وإن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلي الكفر كما يكره أن يقذف في النار ﴾ [31] **واعلم بأن محبة الله لا تكفي وحدها للنجاة من النار والفوز بالجنة فإن المشركين يحبون الله واعلم بأن محبة ما يحبه الله هذه المحبة**

---

(27) سورة البقرة آية (165)
(28) سورة التوبة أية (67)
(29) سورة البقرة أية (165)
(30) رواه الطبراني في الكبير (10531 , 10537) من حديث ابن مسعود و حسنه الألباني في صحيح الجامع (2536)
(31) أخرجه البخاري (6941) ومسلم (163) والترمذي (2624 , 2626) والنسائي في الإيمان (94/8 , 96) وابن ماجه (4033) والطيالس (1959) واحمد (103/3 , 172 , 174 , 230 , 248 , 275 , 288) وابن منده في الإيمان (281 : 283) والخطيب في التاريخ (199/2)

التي تدخل العبد في الإسلام وتخرج العبد من الكفر وأحب الناس إلي الله أقواهم بهذه المحبة .

4. **محبة التوحيد وأهل التوحيد وبغض الشرك وأهله قال تعالي** ﴿ يا أيها الذين أمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أزلة علي المؤمنين أعزة علي الكافرين ﴾ [32] **فهي محبة لله وفي الله وهي فرض ومحبة أهل التوحيد وبغض أهل الشرك من أوثق الإيمان ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلي ربه وهي من مكملات محبة الله ولوازمها .**

5. **محبة طبيعية : فهذه إذا لم تشغل طاعة الله ولا تعين علي محرم فهي مباحة كمحبة الإنسان زوجته وولده وغير ذلك من المباحات فهذه لا تذم إلا إذا شغلت عن طاعة الله .**

إذاً فالمحبة من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلي الله فهي حقيقة العبودية وحقيقة الإخلاص بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله – فمن أشرك مع الله تعالي غيره في المحبة التي لا تصلح إلا له سبحانه فهو مشرك شركاً أكبر .

5. التوكـــل :

وحقيقته الثقة بكفاية الله وحسن تدبيره والاعتماد عليه وتفويض الأمور كلها إليها والاستعانة به والإيمان بقضائه وقدره والاعتقاد بأن الأمر كله لله وحده لا شريك له وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه سبحانه هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل النافع الضار سبحانه وتعالي ثم عليه بأن يأخذ بالأسباب التي جعلها الله موصلة بحكمته إلي مسبباتها والسعي فيما لا بد منه مما يدخل تحت مقدور البعد عن أسباب الشرور والهلكة وأخذ الحذر .

---

[32] سورة المائدة آية (54)

فالتوكل لا يقوم علي إهمال الأسباب ولكن يقوم علي إعمالها واحترامها فإنما هي بمشيئة الله وحكمته وترك الأسباب طعن في الشرع والاعتقاد فيها طعن في توحيد العبد .

وقد ورد الأمر بالتوكل في كثير من الآيات والأحاديث وجعل شقيق العبادة وعلامة كبرى علي صدق الإيمان قال تعالي ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [33] **والاستعانة هي التوكل وقال تعالي** ﴿ ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ [34]

وقال تعالي ﴿ وتوكل علي الحي الذي لا يموت ﴾ [35] **وقال** ﴿ وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [36]

وقال ﴿ فإذا عزمت فتوكل علي الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [37] **وقال** ﴿ وما لنا ألا نتوكل علي الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن علي ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ [38]

وذكر النبي صلي الله عليه وسلم السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم " الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلي ربهم يتوكلون " [39] **وفي حديث آخر** " لو أنكم توكلتم علي الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً " [40]

والتوكل الممنوع ينقسم إلي قسمين :-

الأول : **التوكل في الأمور التي لايقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون علي الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة وهذا شرك أكبر**

---

[33] سورة الفاتحة آية (5)
[34] سورة هود آية (123)
[35] سورة الفرقان آية (58)
[36] سورة المائدة آية (23)
[37] سورة آل عمران آية (159)
[38] سورة إبراهيم آية (12)
[39] أخرجه البخاري (5752 , 5811 , 6542) ومسلم (216 , 217 , 218 , 516) والترمذي (2446) والنسائي (410/4)
[40] رواه الترمذي (2345) وقال حديث حسن

الثاني : التوكل علي الأسباب الظاهرة كمن يتوكل علي أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهو نوع من الشرك الأصغر . ومن هذا أن يعتقد أن الدواء مجرد سبب وأن الشافي هو رب العالمين فيتوكل علي الله – أما إذا وكل إنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه ولكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل علي الله في تيسير أموره التي يطلبها بنفسه أو عن طريق إنابة غيره مع الاعتماد علي المسبب سبحانه وتعالي الذي أوجد السبب والمسبب – وبهذا تستطيع أن تفرق بين هذا النوع والذي قبله .

ومن أعظم التوكل وأنفعه التوكل علي الله في نصرة دينه وإعلاء كلمته مع الأخذ بالأسباب .

6. الرجـــاء :

وهو الاستبشار بجود الله وفضله والرغبة إليه في كرمه ومنه الطمع في إحسانه وعطائه مع بذل الجهد وحسن التوكل – فإن كان مع كسل فليس برجاء وإنما هو تمني وهو نوعان :

الأول : رجاء المحسن ثواب ربه علي فعل الطاعات

الثاني : رجاء المذنب التائب أن يقبل الله توبته وأن يعفوا عنه ويغفر له 0

أما الممنوع فهو أن يرجوا العبد أحداُ فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله كمن يدعوا الأموات أو غيرهم راجياُ حصول مطلوب من جهتهم فهذا يعد شرك أكبر – قال تعالي ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاُ صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾(41)

7. الرغبة والرهبة والخشوع والخشية :-

والرغبة فيما عند الله عز وجل من الثواب وهي راجعة إلي معني الرجاء

---

(41) سورة الكهف أية (110)

والرهبة مما عند الله من العقاب , والخشوع هو التذلل لله عز وجل , والخشية مرادفة للخوف وكلهم أي الرهبة والخشوع والخشية راجعة إلي معني الخوف 0 قال تعالي في آل زكريا عليهم السلام ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾(42) **وقال تعالي** ﴿وإياي فارهبون ﴾ (43) **وقال تعالي**﴿ فإذا فرغت فانصب وإلي ربك فارغب﴾ **(44)**

وفي الحديث الصحيح " اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك الحديث " **(45)** .

8. **التوبة والإنابة والإخبات : وهي من أنواع العبادات القلبية التي تعبدنا الله بها وأمرنا أن نتقرب إليه بها . قال تعالي** ﴿ وأنيبوا إلي ربكم وأسلموا له ﴾ **(46)** **وقال تعالي في ذكر شعيب** ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ **(47)** **وقال تعالي** ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلي الله لهم البشرى فبشر عبادي ﴾ **(48)** **وقال عن داود عليه السلام** ﴿ وخر راكعاً وأناب ﴾ (49)

9. **الصبر والرضا والتسليم والمجاهدة : وحقيقة الصبر هو حبس النفس علي ما تكره مما فيه مشقة أو ألم إنتظار لموعد الله سبحانه وتعالي . واعلم بأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط فلا بد من حبس النفس علي ما تكره وابتغاء وجه الله تعالي , وحبس القلب عن الجزع والتسخط فيرضي بالله وعن الله ويسلم بقضاء الله وكذلك يحبس اللسان عن الشكوى للناس وحبس الجوارح عن فعل المعاصي والصبر أنواع**

---

(42) سورة الأنبياء آية (90)
(43) سورة البقرة آية (40)
(44) سورة الانشراح آية (7 , 8)
(45) رواه البخاري في الدعوات (6311) ومسلم (6753) وأبو داود في الأدب (5046, 5047 , 5048) والترمذي (3574) والنسائي في اليوم والليلة
(46) سورة الزمر آية (54)
(47) سورة هود آية (88)
(48) سورة الزمر آية (17)
(49) سورة ص آية (24)

1 – الصبر علي الطاعات والقيام بأوامر الله وهو أعلي أنواع الصبر 0

2– الصبر عن المعاصي والكف عن محارم الله عز وجل وكف النفس دائما عنها

3 – الصبر علي أقدار الله المؤلمة والتسليم فيها لقضاء الله وقدره ومن هنا كان الصبر لازماً للعبد في جميع أحواله ولهذا قيل بأن الصبر من الإيمان وأنه بمنزلة الرأس من الجسد وأن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر وصبر المؤمن إنما يكون بالله قال تعالي " واصبر وما صبرك إلا بالله " يعني أن من لم يصبره الله ويوفقه للصبر لم يصبر ويكون حبا لله وإرادة لوجهه ورغبة في ثوابه قال تعالي "إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب " [50] وقال تعالي " واستعينوا بالصبر والصلاة " [51] وقال تعالي " يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا " [52] وقال تعالي " و الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم " [53] وقال تعالي " وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " [54] وفي سورة العصر 0

وفي الحديث " وما أعطي أحداُ عطاءُ خيراً وأوسع من الصبر " [55] وقال " الصبر ضياء " [56] وقال " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراُ له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " [57] وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما " واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا " [58]

10. الحمــد والشكر: -

---

[50] سورة الزمر أية (10)
[51] سورة البقرة آية (45)
[52] سورة آل عمران آية (200)
[53] سورة البقرة أية (   )
[54] سورة البقرة آية (155 : 156)
[55] رواه البخاري في الزكاة (1469) ومسلم في الزكاة (1053)
[56] رواه مسلم في الطهارة (223) وأحمد (343/5 , 344)
[57] أخرجه مسلم (7356)
[58] أخرجه أحمد (307/1) والترمزي (2158)

قال تعالي " الحمد لله رب العالمين " [59] وقال " واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون " (60)

والشكر يكون بشهود القلب لنعم الله ومعرفة أنها منه وحده لا شريك له ومحبته علي ذلك واعتراف اللسان بها والثناء بها عليه وانقياد الجوارح وخضوعها له سبحانه فهو من أعمال القلب واللسان والجوارح وأهل الأيمان يشكرون الله علي هدايتهم للتوحيد والإيمان ونعمة الدين ويشكرونه علي المطعم والملبس والصحة وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصي والحمد والشكر يستعملان بمعني واحد عند الإطلاق وقد صح كثير من العلماء أن الفرق بينهم أن الحمد لله هو الثناء بالقول أي باللسان علي المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية - والشكر يكون علي الإحسان والنعم بالقلب واللسان والجوارح أي أن الحمد والشكر يجتمعان في الثناء باللسان علي النعمة – وينفرد الحمد في الثناء باللسان علي ما ليس بنعمة من الصبر علي أقدار الله المؤلمة - وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجورح علي خصوص النعمة والإحسان – فالحمد أعم متعلقاُ وأخص آلة والشكر بالعكس 0

11.المراقبـــة :

وحقيقتها بأن يراقب المؤمن نفسه قبل البدء بالعمل وفي أثناءه هل كان تحركه للعمل والطاعة من أجل حظوظ النفس وابتغاء الثناء والذكر أم كان المحرك هو مرضاة الله وابتغاء ثوابه فإن كان لله جل جلاله مشي فيها وأمضاها وإن كان لهوي النفس أحجم عنها وتركها وعقد النية والعزم علي أن يستأنف طاعته فيما بعد علي أسمى ما يكون من التجرد والإخلاص ورضوان الله تعالي وهذا هو الإخلاص بعينه والتجرد بذاته والتحرر الكامل من مزالق النفاق والرياء 0ويقول الحسن البصري رحم الله عبداُ وقف عند نيته وهمه فإن كان لله مضي وإن كان لغيره تأخر ومراقبة العبد أنواع متعددة :

---

[59] سورة الفاتحة آية (2)
[60] سورة البقرة آية (172)

1 – ففي الطاعة تكون بالتجـرد والإخـلاص

2 – وفي المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع

3 – وفي المباح بمراعاة الأدب والشكر علي النعم

4 – وفـي المصيبة تكـون بالرضـي بالقضـاء والقدر والتـذرع بالصبر – والأصل فـي المراقبة قوله تعالي " وتوكل علي العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين " وقوله صلي الله عليه وسلم لما سئل عن الإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "[61] فلا بد من استحضار عظمة الله في كل الأوقات والأحوال ومراقبته جل جلاله في السر والعلن 0

12. المحاسبـة : وحقيقتها أن يحاسب المؤمن نفسه بعد مضي العمل هل قصد بعمله وجه الله هل داخله في طاعته شيء من الرياء هل اقترف إثما في حقه سبحانه هل أدى حقوق الله تعالي وحقوق العباد 0 كذلك ينبغي أن يكون للعبد وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه ويعاهدها علي إصلاح النية والمضي في الطاعة وتأدية الحقوق والتحرر من الرياء وكذلك ينبغي أن يكون له ساعة يخلو فيها إلي نفسه في آخر النهار ويحاسبها علي جميع ما كان منها فإن رأى خيراً حمد الله علي ما سدد ووفق وسأله التثبيت والمزيد – وإن رأي غير ذلك تاب إلي الله وأناب وندم واستغفر وعاهد الله أن لا يعود وسأل مولاه الحفظ والرعاية وحسن الخاتمة – كما علمنا ذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر " يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية " قال تعالـي " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون "[62] وحقيقة المحاسبة أن ينظر المؤمن في إلي رأس ماله وهو هنا الدين وما أشتمل عليه من فعل الطاعات أو من أوامر و

---

[61] أخرجه البخاري (50 , 4777) ومسلم (93) وأبو داود في السنة (4695 , 4696 , 4697) والترمذي في الإيمان (2610) والنسائي في الإيمان (97/8) وابن ماجة في المقدمة (63 , 64) والطيالس (صـ 5) وابو يعلي (242) وابن حبان (159 . 168) وأحمد (28/1 , 51 , 52 , 319) والزار (24) وابن ابي شيبة (5/11) وألاجري في الشريعة (من صـ 188 : 190)

[62] سـورة الحشـر آيـة (18)

نواهي وتكاليف وأحكام وينظر إلي الربح وهو فعل الطاعات وترك المنهيات وينظر إلي الخسارة وهي ارتكاب الذنوب والمعاصي والآثام و يوازن بين الربح والخسارة ويتوب عما وقع فيه من أخطاء ويجتهد أكثر مما فعله من محاسن فيكون ممن حاسبوا أنفسهم ووزنوا عمالهم قبل أن يوزنوا ونظروا إلي أعمالهم وماذا قدموا لغد وهو يوم القيامة 0

ومن العبادات القلبية تعظيم حرمات الله والكف بالقلب عن المحرمات كالحسد والغل والرياء وسوء الظن بالله وسؤ الشك والإصرار علي المعاصي ومودة الكافرين وغير ذلك واعلم أن هذه العبادات القلبية روح التوحيد وحقيقته توحيد القصد والطلب وهو توحيد الإلهية وإنما يتفاضل الناس يوم القيامة بما في قلوبهم من معرفة الله وعبادته – عسي الله أن يمن علينا بصلاح قلوبنا وتزكية نفوسنا فاللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها آمين.

العبادات القولية :

وهي التي تتعلق باللسان وهي كثيرة ومنها

1. الذكـــر

وحقيقة حضور المذكور في قلب الذاكر ثم التعبير عن ذلك باللسان وحقيقة الذكر تجمع بين عبادة قلبية وعبادة قولية – والذكر من أفضل العبادات بل ما شرعت العبادات إلا لتعين علي ذكر الله قال تعالي " وأقم الصلاة لذكري " [(1)] وقال تعالي " فاذكروني أذكركم " [(2)] وقال تعالي " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا " [(3)] وفي الحديث المتفق عليه " ألا أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ومن أن تلقوا أعدائكم وتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلي يا رسول الله قال ذكر الله

(1) سورة طه آية (14)
(2) سورة البقرة آية (152)
(3) سورة الأحزاب آية (41 , 42)

عز وجل "[4] وينبغي مراعاة آداب الذكر وجماع هذه الآداب قوله تعالي " وأذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين " [5] فينبغي مراعاة هذه الآداب كما في هذه الآية والإقتداء في ذلك بما ورد عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فيكون الذكر مخافته مع التذلل والخشية فلا يرفع صوته ولا يذكر الله بأطراف لسانه مع قسوة القلب وغفلته وفي الصحيح مرفوعاً أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لأصحابه حين سمعهم يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء " أيها الناس اربعوا علي أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا إن الذي تدعونه أقرب إلي أحدكم من عنق راحلته "[6]

وقد أمرنا الله عز وجل أن نذكره علي كل حال فقال " الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم "[7] وليس المراد من ذلك ما يفهمه الجاهلون من أنهم يقومون للذكر أو يقعدون له أو يضطجعون بل المراد أنهم يذكرون الله كيفما كانوا من قيام أو قعود أو اضطجاع دون أن يتكلفون شيئا من ذلك 0

وقال عليه الصلاة والسلام " أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله "[8] وقال الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملاء الميزان وسبحان الله والحمد لله تملاء أو تملأن ما بين السماء والأرض [9]0

2. الاستغفار :-

والاستغفار من أفضل الذكر قال تعالي علي لسان نوح عليه السلام " فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا " .... [1] وفي الحديث " يا أيها الناس توبوا إلي الله واستغفروه فأني أتوب إلي الله في اليوم مائة مرة " .... [2]

---

(4) أخرجه أحمد (195/5 , 447/6) والترمزي تحفة (317/9) وابن ماجة (1245/2) والطبراني في الدعاء (1736/2) والحاكم (496/1) وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبغوي في شرح السنة (15/5) وقال حسن , ورواه مالك (211/1) موقوفاً وابن المبارك في الزهد صـ 1398

(5) سورة الاعراف آيـة (205)

(6) البخاري في الدعوات (6409) ومسلم في الدعوات (6733) وأبو داود في الصلاة (1526 , 1527 , 1528) والترمزي في الدعوات (3461) والنسائي (426/6) وابن ماجه (1256/2)

(7) سـورة آل عمـران آيــة (191)

(8) صحيح الجامع (1104/1) والصحيحة (1497) وصحيح الترغيب (229/2)

(9) أخرجه مسلم (523) وأحمد في المسند(343/5) والنسائي (605/5) والترمذي (3517) والدارمي (653) وصحيح الجامع (3957)

(1) سـورة نـوح آيـة (10)

(2) مسلـم في الدعـوات (6731)

3. التسميــة :-

وهي أن تبدأ الأقوال والأعمال ذات الشأن بذكر اسمه سبحانه وحده استعانة به تبركا وقد حرم سبحانه أن نأكل مما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح قال تعالى " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق 0 [3]

4. تلاوة القرآن :-

وهي أفضل الذكر قال تعالى " إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور " ... " [4] وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " ..[5]

5. الاستعاذة :

وهي طلب العوذ , ويقال استعاذ به أي طلب حمايته وفي القرآن عن يوسف عليه السلام حين دعته امرأة العزيز إلي نفسها قال " معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون " [6] ... أي التجأ إلي الله وأحتمى به مما تدعيني إليه من الفاحشة , وقال " معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده " [7] .. يعني نعوذ بالله أن نظلم أحداً فنأخذه بغير ذنب وإنما نأخذ المذنب وحده 0

وقد أمرنا الله أن نستعيذ به عند قراءة القرآن فقال " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم "[8] ... والأمر للوجوب على الصحيح , وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من همزات الشيطان ونفخه ونفثه وقيل همزة الموت أي الجنون ونفخه الكبر ونفثة السحر وبالجملة فلا يستعاذ إلا بالله عز وجل فمن استعاذ بغيره فقد أشرك قال تعالى " وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من

[3] سورة الأنعام آية (121)
[4] سورة فاطر آية (29)
[5] رواه مسلم في الدعوات (6726) وأبو داود في الأدب (4946) وابن ماجه في المقدمه (225) والترمزي في القراءات (2945)
[6] سورة يوسف آية (23)
[7] سورة يوسف آية (79)
[8] سورة النحل آية (98)

الجن فزادوهم رهقا " [9] ... قال المفسرون إن أهل الجاهلية كان إذا أوى الرجل منهم المبيت في مكان موحش قال أعوذ بسيد أهل هذا الوادي ومن سفهاء قومه يريد به الجن فلما رأت الجن أن الإنس يخافونهم ويعوذون بهم زادوهم رهقا أي إزعاجا وخوفا والاستعاذة تكون باللجوء إلي الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقي والتعويذات الشركية التي كان أهل الجاهلية يرقون بها ووضع بدلها رقي كلها توحيد ودعاء خالص لله عز وجل كقوله عليه الصلاة والسلام " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " [1].... وكقوله في الرقية التي كان يرقى بها الحسن والحسين رضي الله عنهما " أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامه " [2] وكقوله للذي شكا إليه الوجع " ضع يمينك على موضع الوجع ثم بسم الله سبعاً وقل " أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" [3] وكقوله " اللهم رب الناس اذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما "[4] ... وكذلك لسورتي الناس الفلق0

6. الاستغاثـــة : وهي طلب الغوث وإزالة الشدة فلا يجوز ولا يصح الاستغاثة بأحد غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله 0

قال صلى الله عليه وسلم لمن جاءوا يستغيثون به من شر أحد المنافقين " إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل " [5] ... وقال تعالى إخبارا عن المؤمنين في استغاثتهم إياه ليلة بدر " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين " [6]

---

[9] سورة الجن آية (6)
[1] مسلم في الدعوات (6748) والترمزي في الدعوات (3437) وابن ماجه في الطب (3547) والنسائي في اليوم والليلة
[2] رواه البخاري (119/4) (3371)
[3] مسلم في الطب (5633) وأبو داود في الطب (3891) والترمذي في الطب (2080) وابن ماجه في الطب (3522) والنسائي في اليوم والليلة وفي الكبرى في الطب (241/7)
[4] أخرجه البخاري في الطب (5743) ومسلم في الطب (5603) وابن ماجه في الطب (3520)
[5] أخرجه أحمد والطبراني كما في مجمع الزوائد (159/10) وابن سعد في الطبقات (387/1)
[6] سورة الأنفال آية (9)

" وأما الاستغاثة بالإنسان الحي فيما يقدر عليه من الإعانه والمساعدة على شيء ما فيجوز كما أخبر تعالى عن موسى عليه السلام " فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه " [7] ... فهذا يجوز فيما يقدر عليه العبد , وأما الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فيما لا يقدر عليه إلا الله والإعراض عن الاستغاثة بالرب سبحانه وتعالى القادر على كل شيء فإن هذا لا يجوز قال تعالى على لسان خير البشر " قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا " [8] .... وقال " قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله " [9] وهذا الكلام في حق سيد البشر فكيف بمن سواه , وفي معنى الاستغاثة وهي طلب الجوار والحماية فلا يستجار إلا بالله من عذابه وسخطه ومن شر خلقه قال تعالى " قل إني لن يجيرني ممن الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا " [10] وقال " قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون " [11]

7. **الاستعانة** : الاستعانة هي طلب العون فلا يستعان إلا بالله فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى قال تعالى " إياك نعبد وإياك نستعين "[12] وقال النبي صلى الله وسلم لابن عباس " إذا استعنت فاستعن بالله "[1] ... فمن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك فلا تطلب الاستعانة من عاجز لا يقدر على الإعانة ولا من ميت لا يسمع المستعين به ولا يرى مكانه ولا يعرف عن حاجته وحاله ولا من غائب حال البعد دون رؤية الداعي على ما هو في حاجة إلي المعونة فيه وقد أرشدنا الله إلي الاستعانة به دون سواه في قوله " إياك نعبد وإياك نستعين "

---

[7] سورة القصص آية (15)
[8] سورة الجن آية (21 : 22)
[9] سورة الأعراف آية (158)
[10] سورة الجن آية (21 : 22)
[11] سورة المؤمنون آية (88)
[12] سورة الفاتحة آية (5)
[1] أخرجه الترمزي (25/6) في صفة القيامة وأحمد في المسند (293/1) وأبو يعلي (2556) واللالكائي في السنة (1059/2) والسنة لابن ابي عاصم (316 – 318) الأجري في الشريعة صـ (198)

8. النـــذر : **وهو الزام العبد نفسه ما لم يلزمه من الطاعات تقرباً إلـي الله تعالى إذا قضـى الله لـه حاجتـه وخير النـذر مـا كـان بغير شرط لكراهة النـذر المشروط قـال صلى الله عليه وسلم " النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج من البخيل "[2] والنذر من العبـادات التـي لا يجـوز صرفها إلا لله وحده لا شريك لـه فممن نـذر شيئا طاعـة لله تعالى وجب عليـه الوفـاء بـه ولهذا مـدح الله الموفون بالنـذر فقال " يوفـون بالنـذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا " [3] وبنـاء على هذا فمن نذر طاعة لله وجب عليه الوفاء بها ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه وليكفر عن يمينـه كما جاء في الحديث " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فـلا يعصـه " [4] زاد الطحاوي " وليكفر عن يمينه " وورد أيضا أن رجـلا نـذر أن يـذبح إبـلاً بمكان يسمى بوانـه فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال له " هل كـان فيها وثـن من أوثـان الجاهلية يعبد قالو لا قال فهل كـان فيها عيد من أعيادهم قالو لا فقال رسول الله صلـى الله عليه وسلم أوف بنـذرك فإنـه لا وفاء لنـذر في معصيـة الله ولا فيما لا يملك ابن آدم " [5] ولـهذا فإنـه قد يكون عبـادة قولية وقـد يكـون عبـادة ماليـة وقـد يكـون عبـادة بدنيـة كما سيأتي**

9. الحلــف :

فـلا يصح القسم إلا بالله عز وجل أو بصفة من صفاتـه ولهذا ورد في الحديث قولـه صلى الله عليه وسلم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت "[6] وقولـه صلـى الله عليه وسلم " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " [7] وسمع النبـي صلـى الله عليـه وسلم رجـلا يحلـف بأبيـه فقال " إن الله ينهـاكم أن تحلفوا بآبائكـم فمـن كـن حالفاً

---

[2] أخرجه البخاري في الأيمان والنذور وفي القدر (668) ومسلم في النذور والأيمان (4161) و أبو داود في الإيمان والنذور (3287) وابن ماجه في الكفارات (12) والنسائي في الإيمان والنذور (15/7 , 16) والطيالسي (1865) والطحاوي في مشاكل الآثار (361/1, 363) والدارمي (185/2) وابن أبي عاصم في السنة (314) والحاكم (304/4) والبيهقي (77/10) وأحمد في المسند (235/2 , 301)

[3] سـورة الإنسان آيـة)7(

[4] أخرجه البخاري في الإيمان والنـذور (6700)

[5] أخرجه ابو داود (3313) وصححه الحافظ في التلخيص (180/4) وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (3437) وفي صحيح الجامع (2548)

[6] , (8) أخرجه البخاري في الأدب (6108) ومسلم في ككتاب النذور والإيمان (4178)

[7] خرجه الترمذي (1535) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (99/2) وأحمد في المسند (34/2 , 67 , 69 , 87 , 125) وصححه الحاكم (297/4) ووافقه الذهبي والطيالسي (1896) والطحاوي في مشكل الآثـار (258/1)

فليحلف بالله أو ليصمت "(8) وقال " من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله " [9]

ولهذا فإنه لا ينبغي الحلف إلا بالله لأن الحلف تعظيم للمحلوف به – وفيه أيضا إشهاد المحلوف به على صدق الحالف وذلك الإشهاد لا يصح إلا لمن يعلم خبايا النفوس وما فيها من صدق أو كذب كذلك الذي يعلم خبايا النفوس وما تكنه ويثيب الصادق على صدقه ويعاقب الكاذب على كذبه هو الله سبحانه وتعالى فلذلك وجب على الحالف إذا أراد أن يحلف ألا يحلف إلا بالله سبحانه وتعالى , ومما تقدم يعلم أن ما يجري على ألسنة كثير من العوام من تعظيم بعض الموتى والحلف باسمهم وطلب المدد والبركة منهم كل ذلك شرك يجب على العلماء أن ينبهوا الناس إلي عظيم خطره وسوء عاقبته نسأل الله الهداية للجميع 0

10. الدعـــاء

وهو قسمان قال تعالى" وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " [1]

أولا : دعاء ثناء على الله عز وجل غير مقترن بطلب وهو أن يذكر الله سبحانه بأسمائه الحسنى التى أمرنا أن ندعوه بها غير مقترن بطلب حاجة وإنما يقصد به مجرد الثناء عليه بما هو أهله كقولك كما في الحديث "اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض وما فيهن ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض وما فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض وما فيهن "[2]وكما في الحديث "اللهم لا مانع لما

---

[9] أخرجه البخاري في الإيمان والنذور (6650) ومسلم في الإيمان والنذور (4181) وأبو داود في الإيمان والنذور (3247) والترمذي في الإيمان والنذور (1545) وابن ماجه في الكفارات (296) والنسائي في الإيمان والنذور (7/7)

[1] سورة غافر آية (60)

[2] أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (1777) وأبو داود في الصلاة (771) والترمذي في الدعوات (3418) والنسائي في الكبرى (2715) والبخاري (2 , 3 , 4)

أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " [3] وفي الحديث " الدعاء هو العبادة " [4]

ثانيا : دعاء سؤال وطلب وهو أن يسأل الله بأسمائه وصفاته حاجته كلها الدينية والدنيوية والآخروية قال تعالى " وادعوه خوفاً وطمعاً " [5] وقال تعالى " ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها " (6) أي بالتوجه إلي غير الله تعالى بالدعاء وطلب تفريج الأمور منهم فإنه يجب أن لا يصرف الدعاء إلا لله وحده لا شريك وصرفه لغير الله إفساد في الأرض وشرك بالله تعالى – ثم قال تعالى " وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين " (7) فعلى الداعي بأن يلتزم بهذه الآداب عند الدعاء وهي :-

* التضرع والتذلل وأن يشعر الداعي بحاجته وفقره إلي الله
* أن يكون سراً فهو أفضل من الجهر

وكما في الحديث الذي ذكرناه عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم " يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا الحديث ومن أراد الزيادة فعليه بكتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم 0

العبادات البدنية والعملية



[3] أخرجه البخاري في صفة الصلاة (275/2 , 276) ومسلم في المساجد (593) وأبو داود في الصلاة (155) والنسائي في السهو (70/3 , 71)

[4] أخرجه أبو داود في الصلاة (1479) والترررمذي في الدعوات (3372) والنسائي في الكبري (30/9) وابن ماجه في الدعاء (7828) واحمد في السند (267/4) وابن حبان (2396) والحاكم (490/1 , 491) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (3401) والأرناؤوطي في تخريج شرح السمة (1384) 0

[5] , (6) , (7) سورة الأعراف آيـة (55 , 56)

وهي العبادات التي تؤدي بالجوارح وهي أيضاً كثيرة ومعلومة وأفضلها الصلاة بما فيها من قيام وقعود وركوع وسجود وقراءة وهي الركن الثاني في الإسلام بعد الشهادتين إذاً فمن أنواع العبادات البد نية .

1) **الصلاة** : قال تعالي (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[1] وقد أمر الله بإقامتها في آيات كثيرة ومدح الخاشعين فيها والمحافظين عليها كما توعد بالويل علي تضييعها والسهو عنها .

2) **الصيام** : قال تعالي (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون)[2] وهو ألامساك عن سائر المشتهيات والمفطرات طيلة اليوم من طلوع الفجر الي غروب الشمس لله عز وجل .

3)**الحج والعمرة**: وبما يشتملان عليه من مناسك كالطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة والمزدلفة ورمي الجمار وسوق الهدي والحلق والتقصير وغير ذلك قال تعالي (ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)[3] وقال تعالي (وأتموا الحج والعمرة لله)[4]

4) **الجهاد** : ويكون بالنفس وما تقتضيه من بذل الجهد في مقاتلة أعداء الله والتعرض للمخاطر واحتمال الآلام والجراحات والصبر علي ذلك والمرابطة في الثغور والغربة عن الأهل والولد قال تعالي (وجاهدوا في الله حق جهاده)[5] .

5) **الحكم بما أنزل الله** :

فليس من حق أحد أن يضع قوانين وتشريعات إلا الله فمن جعل من نفسه أو من غيره مشرعاً لقوانين وأنظمة لم يأذن بها الله فقد أشرك بالله ودعا إلي

---

(1) سورة الحج آية (77)
(2) سورة البقرة آية (183)
(3) سورة آل عمران آية (97)
(4) سورة البقرة آية (196)
(5) سورة الحج آية (78)

عبادة غير الله تعالي قال تعالي (أم لهم شركاؤا شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)[6] وقال تعالي (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) [7] فالمؤمن يستسلم لحكم الله

6) الرحلة فى طلب العلم :

قال تعالي (فلولا نفر منهم من كل فرقة ليتفقهوا في الدين) [1] وقال ﷺ (طلب العلم فريضة علي كل مسلم)[1] وبالجملة فإن كل عبادة نيطت بالبدن أو بعضو منه فهي داخله في هذا النوع من العبادات كتغير المنكر وعض البصر وحفظ الفرج وأكل الحلال وترك الحرام وكف الأذى عن الناس والمشي إلي الساجد وزيارة الإخوة في الله والسعي في حوائج المسلمين وصلة الأرحام والإحسان إلي الجيران والمعاملين والسماحة في البيع والشراء والقضاء وغير ذلك من الأعمال الصالحة وكثير منها يجمع بين العبادات القوليه والبدنيه والماليه وكلها يشترط فيها عمل القلب وعبادته وهي النية الخالصة .

العبادات الماليـة



وهي التي تعبد الله عبادة بها في أموالهم من الصدقات والذبائح والنذور فأهمها :

1) الزكـــاة : وهي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الصلاة وقد قرنت بها في آيات كثيرة وورد الوعيد الشديد علي مانعيها كقوله تعالي (ولا يحسبن

(6) سورة الشوري آية (21)
(7) سورة يوسف آية (40)
(1) سورة التوبة آية (122)
(1) رواه ابن ماجه في سننه (50/1)



الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شراً لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)[2] وقد ورد في الحديث أن المال الذي لا تؤد زكاته يجعل يوم القيامة شجاعاً أقرع يطوق به عنق صاحبه فينهشه ويلدغه)[3] وقال تعالي (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم – يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)[4]

2) **الصـــدقات**: وهي من أحب القربات التي يتقرب بها العبد إلي الله وقد ورد الحث عليها في كثير من الآيات والأحاديث وسماها الله عز وجل قرضاً ووعد بالمضاعفة عليها إلي سبعمائة ضعف وإلي أكثر من ذلك لمن يشاء قال تعالي (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون)[5] وقال تعالي يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)[6] وقال ﷺ (الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)[7] وجعل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لاتعلم شماله ما أنفقت يمينه)[8] .

3) **النـــذر**: وهو ليس بواجب في الابتداء بل ورد النهي عنه كما بينا ذلك سابقاً ولكنه إذا انذر لزمه الوفاء بشرط أن يكون النذر طاعة وفيما يملك الناذر كما وضحنا ذلك سابقاً بالأدلة والنذر حينئذ يكون قربة وعبادة يجب أن تكون خالصة لله عز وجل قال تعالي (وليوفوا

---

[2] سورة آل عمران آية (180)
[3] أخرجه مسلم (2259)
[4] سورة التوبة آية (34 : 35)
[5] سورة البقرة آية (245)
[6] سورة البقرة آية (254)
[7] أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
[8] أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

نذورهم)[1] والأمر هنا للوجوب – واعلم بأن النذور التي يضعها الناس اليوم في صناديق أصحاب الأضرحة أو ما ينذرونه لهم من الحرث والأنعام التي يذبحونها الناس لأجلهم فهذا لا شك شرك صريح لأن الدافع إليها هو اعتقاد ناذريها أن هؤلاء المقبورين قد وفوا لهم بما طلبوه منهم من شفاء أو نجاح أو أنجاب ولد أو نحو ذلك فهم يقدمون هذه النذور ثمناً لذلك ولا شك أن هذا شرك صريح حيث اعتقدوا أن غير الله عز وجل يملك شيئاً من هذه الأمور ومن هنا كانت هذه النذور باطلة وشركاً يجب الإقلاع عنه كما جاء في الحديث الذي ذكرناه بشأن الرجل الذي أراد أن يذبح ابل ببوانه فسأله النبي ﷺ (هل كان فيها صنم من أصنام الجاهلية يعبد فقيل لا فقال هل كان فيها عيد من أعياد الجاهلية يقام فقيل لا فقال للرجل أوفي بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك أبن آدم)[2] .

4) الذبح : وقد أمر الله تعالي بإخلاص العمل فيه لله قال تعالي (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[3] وقد ورد الوعيد الشديد لمن ذبح لغير الله قال عليه الصلاة والسلام (لعن الله من ذبح لغير الله)[4] وكما قلنا بأن بعض العبادات أو كثير منها يتعلق أو يشترك فيها من العبادات القولية والبدنية والمالية 0

---

(1) سورة الحج آية (29)
(2) سبق تخريجه في ص 24
(3) سورة الأنعام آية (162 ، 163)
(4) أخرجه مسلم في الأضاحي (5033) والنسائي في الأضاحي (7:232)

وبهذا تعلم أخي الفاضل بأن شمول العبادات بأنواعها المختلفة لكل مظاهر الحياة البشرية ووضح بهذا أن الله لم يخلقنا عبثاً وإنما خلقنا حتى نقوم بحق العبادة نحوه سبحانه وتعالي علي وفق هدي نبينا صلي الله عليه وسلم مع الإخلاص فيها لله سبحانه وتعالي 0وكذلك لا يجوز اعتياد مكان في وقت معين إذا لم تأتي به السنة أو الشرع وأنا ما يفعله كثير من الناس في هذا الزمان من اتخاذ قبور من يعتقدون أنهم أولياء أعياد أو يقيمون عندها الاحتفالات لهم كل عام أن هذا مما حرمه الله ورسوله واعتياد قصد هذه القبور في وقت معين والاجتماع عندها في وقت معين هو من اتخاذها عيد ولا يغترأحد بكثرة هذه العادات الفاسدة السيئة فإن هذا من التشبه بأهل الكتاب الذي أخبر النبي ﷺ أنه كائن في هذه الأمة لا محالة حيث قال (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبرا وزراعاً ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن)[1] وقال أيضاً (لا تتخذوا قبري عيدا)[2] ومن الأشياء المحرمة العكوف عند هذه القبور ومحاورتها أي المكث عندها كما يفعل السدنة في هذه الأيام سندة القبور وكذلك يحرم تعليق الستور عليها وجعلها كأنها بيت الله الكعبة فكل هذا لا يجوز ولا يجوز بناء المساجد علي القبور بل هو منهي عنه أشد النهي سيد الخلق ﷺ حيث قال (لعن الله اليهود والنصاري أتخذوا قبور أبنائهم مساجد)[3] وقال تعالي (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين أمنوا أشد حباً لله)[4] واعلم بأن المقبورين من الأنبياء والصالحين المدفونين بهذه القبور لا يرضون عما يفعل عندها من مخالفات ويكرهون ذلك كما أن المسيح يكره ما يفعله النصاري وكما أن أنبياء بني

---

[1] اخرجه البخاري (7320) وسلم (6656)
[2] مقدم صـ 27
[3] أخرجه البخاري ومسلم ومقدم صـ27
[4] سورة البقرة آية (165)

أسرائيل يكرهون ما يفعله الأتباع من مخالفات ولا يظن أحد بأن النهي عن اتخاذ القبور أعياداً إهانة لهم قلنا بل هو من إ كرام أصحابها إذ إن من تكريم الأنبياء والصالحين أن نتبع ما دعوا إليه من الأيمان والعمل الصالح ليكثر بذلك أجورهم بكثرة من تبعهم كما قال ﷺ (من دعا إلي هذه كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شئ)[5] فعلي العاقل أن يجتهد في اتباع السنه في كل شئ ويبتعد عن كل ما يكون مخالفاً لهدي رسول الله ﷺ بأتباع السنة وترك البدع نسأل الله الهداية للجميع الي الصراط المستقيم صراط الله المستقيم 0

وبعد أن تكلمنا عن توحيد الإلهية وعرفنا بأنه يقوم علي إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وعدم الإشراك به في أي شئ من صور العبادة التي قدمناها وفي غيرها ممالم نذكره عرفنا بأن هذا النوع من التوحيد هو أخطر أنواع التوحيد وأشرفها ولذلك فقد احتاط له الشرع أعظم الحيطة ونفي عنه كل شائبة شرك وحرم كل وسيلة مفضية إلي الإخلال بقواعده حتى يبقي مصون الحمي بعيداً عن عوامل الزيغ والانحراف فنهي عن الألفاظ التي توهم الندية والمساواة بين الله وبين أحد من خلقه كقولك مثلا أنا في حمي الله وفلان ، أو أنا متوكل علي الله وعلي فلان أو ما شاء الله وفلان وبين أن المخرج من ذلك هو أن يعطف بثم لا بالواو فتقول أنا متوكل علي الله ثم عليك قال عليه الصلاة والسلام (لا يقولن أحدكم ما شاء الله وفلان ، وليقل ما شاء الله ثم فلان)[6] وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة بين المعطوف والمعطوف عليه بخلاف إذا ما أتي بثم فإنه يقتضي تأخر المعطوف في الرتبة عن المعطوف عليه 0وكذلك نهي عن الألفاظ التي فيها تعظيم لغير الله أو نسبة تأثير ، كقولك وحياتك أو وحياة أبيك أو والنبي أو

---

[5] أخرجه مسلم وأصحاب السنن الأربعة
[6] رواه ابو داود في الادب (4980) وصححه الشيخ الالباني في الصحيحين (137)

لولا فلان لكان كذا ولولا صياح الديك مثلاً أو نهيق الحمار لسرقنا اللصوص ونحو ذلك بإسناد الحوادث لغير الله ونهي أيضاً عن اتخاذ المساجد علي القبور لأن ذلك قد يكون ذريعة الي تعظيمها وعبادتها وقد استفاض عنه ﷺ أنه قال (لعن الله اليهود والنصاري أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[1] ونهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لا في ذلك من التشبه بعبادها حيث يتحرون السجود لها في هذه الأوقات قال عليه السلام (لا تنحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها)[2] ونهي عن شد الرحال الي مكان من الأمكنة بقصد التقرب الي الله بعبادة فيه إلا إلي المساجد الثلاثة وهي المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الاقصي) ونهي أن يقوم الناس بعضهم لبعض علي جهة التعظيم قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين رأهم قاموا له (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا)[3] ونهي ﷺ أصحابه عن الغلو فيه والمبالغة في مدحة فقال (لا تطروني كما أطرت النصاري ابن مريم وأنما عبد فقولوا عبد الله ورسوله)[4] وقال (لاتتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم)[5] وقال للرجل الذي قال له ماشاء الله وشئت (أجعلتني لله نداً بل ماشاء الله وحده)[6] ونهي عن أشراف القبور وتخصيصها وبناء القباب عليها وإيقادها بالسرج والعكوف عليها خشية الافتتان بها والوقوع في تعظيمها 0 وأنكر ﷺ علي معاذ بن جبل رضي الله عنه حين دخل عليه فسجد له وقال له ما هذا يامعاذ ، لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولكن لا ينبغي السجود إلا لله ثم قال له أرأيت يامعاذ لو مررت علي قبري أكنت

---

(1) رواه البخاري في الجنائز (1390) ومسلم في المساجد (1164)

(2) رواه مسلم عن ابن عمر في كتاب الصلاة (1894) والبخاري في الصلاة (582) والنسائي في الصلاة كما في التحفة (8:6-9)

(3) اخرجه ابو داود (5230) واحمد صـ 253-256

(4) رواه البخاري في أحاديث الانبياء (3445)

(5) رواه أحمد (367/2) وأبو داود في المناسك (2042) وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (96) وأخرجه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم رقم (20) وصححه الالباني

(6) رواه احمد (214/1 ، 224 ، 283 ، 347) والبخاري في الأدب المفرد (783) والنسائي في عمل اليوم والليلة (995) وابن ماجد في الكفارات (2117) وحسنه الالباني في الصحيحين (139)

ساجداً لـه قـال لا قـال لا تفعل)[7] ونهـي عـن الوفـاء بالنـذر إذا نـذر فـي مكـان يعبـد فيـه صـنم أو يقـام فيـه عيـد مـن أعيـاد الجاهليـة وهنـاك صـور مـن الشـرك يقـع فيهـا كثيـر مـن النـاس دون أن يفطنـوا لهـا لخفائهـا علـيهم واهـتم أهـل العلماء بيانها والتحذير منها مثل :

الريـــاء : وهو أن يعمل الرجل العمل من صلاة أو صدقة أو حج أو جهاد لا يبتغي به وجه الله ولكن ليراه الناس فيعظم في أعينهم ويعتقدوا فيه الطيبة والصلاح فترى أحدهم يقوم في الصلاة فيزينها ويطل فيها لما يرى من نظر النـاس إليـه قال عليه الصلاة والسلام " إن أخـوف مـا أخـاف علـي أمتـي الشرك الأصغر قيـل ومـا هـو يـا رسول الله قال الريـاء " [8] ومنها إسناد بعض الحوادث إلـي غير الله تعالي واعتقاد تـأثيره فيهـا أن يقـول لـولا وجـود فـلان مـا حصل كذا ولـيس معنـي ذلـك نفـي تـأثير الأسباب فـي مسبباتها فـإن ذلـك جهل بحكمـة الله الـذي وضـعها وجعلنـا أسـبابا بـل المقصود الاعتقاد أن تأثيرها بمشيئة الله وحكمته لا أنها مستقلة بالتـأثير وأعلم أخي الفاضل كما قلنا دائما بأن سبب وقوع الشرك في الغالب هو الغلو فـي تعظيم الأنبياء والصـالحين والمبالغـة فـي مـدحهم والطـواف حـول قبـورهم والسـجود عنـدها وطلـب الحاجـات مـنهم واعتقـاد أنهـم أحيـاء فـي قبـورهم وأنهـم يجيبـون مـن دعـاهم وأنهـم يملكون التصرف والتأثير في الكون إلـي غير ذلك مم يفعلـه الجهلة وقد قال شيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله فـي الرسالة السـنية (فكـل مـن غـلا فـي نبـي أو رجـل صـالح وجعـل فيـه نوعـا مـن الإلهيـة مثـل أن يقـول يـا سـيدي فـلان انصرني وأغثنـي وارزقني وعافني أو أنا في حسبك وحفظك وحمايتك ورعايتك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضـلال يستتاب صاحبه فإن تـاب و إلا قتل فإن الله سبحانه إنما أرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لا شريك لـه ولا يدعوا معه إلـها) 0

---

[7] أخرجه الترمذي (217/1) وابن حبان (1290 ، 1291) والبيهقي (291/7 ، 292) وابن ماجة (1853) واحمد (381/4 ، 227/5) والحاكم (172/4) وصححه الألباني في الادواء (1998/7)

[8] رواه أحمد(428/5 , 429) والطبراني في الكبير (4301) وصححه الالباني في الصحيه (951) وفي صحيح الجامع (1551)

وقال العلامة ابن قيم الجوزية " ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والاستعانة منهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراُ فضلا لمن استغاث به واستعان منه أو سأله أن يشفع له إلي الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده "

ولقد كان الغلو في المشايخ وأدعياء الولاية من الأحياء أو المقبورين أوسع باب دخلت منه هذه الأمة إلي مراتع الوثنية فكثيرمن الناس إلا من عصم الله محترق بنار هذه الفتنة التي استطار شرها وعم ضررها حتى شملت الصغار والكبار والرجال والنساء ومن يدعي العلم حتى أن إماماُ من أئمتهم ألف في مدح رسول الله ﷺ قصيدة غلا فيها إلي حد أن يقول :

فإن من جودك الدينا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم - وقال أيضا

يا أكرم من الخلق مالي ألوذ به سواك عند حلول الحادث الصمم

وقال جاهل آخر في البدوي الموجود بطنطا - كم أغنى محتاجاُ وأنجح قاصداُ كم صد ظلاما وأطلق عاني من مثله تسعي الوفود لحيه كالحج أو كالبيت في الطوفان إن تدعه صدقا أجاب بعزمه بحر الفتوة ومعدن العرفان - فإنا لله وإنا إليه راجعون 0

فانظر رحمك الله إلي قوله فقد تضمن غاية الإطراء ووقعوا في الذي وقع فيه النصارى وأمثالهم فإنه قصر خصائص الإلهية والربوبية التي قصرها الله علي نفسه فصرفها لغير الله وقد جمع في أبياته بين الاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والرهبة إلي غير الله تعالي ونعوذ بالله من الخذلان قال تعالي " هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين "[1] وقال تعالي " قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا قل أني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله

---

[1] سورة غافر آية (65)

أحدا ولن أجد من دونه ملتحدا " [2] فهذا هو الدين الذي بعث الله به محمدا ﷺ وهكذا يتبين لنا أن هناك صلة وثيقة بين أنواع التوحيد الثلاثة 0

فتوحيد الربوبية الذي يقوم علي اعتقاد أنه سبحانه وتعالى رب كل شيء وخالقه ومليكه وأنه القائم علي أمور عباده والكافل لهم والمربي لهم بنعمه المادية والروحية وهذا التوحيد مستلزم لتوحدي الألوهية والعبادة فإنه متي علم العبد أن الله سبحانه وتعالي هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته وأن العبادة حقه الذي لا ينبغي إلا له فإنه لا يصح أن يعبد إلا من كان رباُ خالقاً مالكاً مدبراً ولا يجوز أن يكون معه شريك في شيء من صور العبادة كلها ولهذا جرت سنة القرآن الكريم علي ذكر آيات الربوبية ثم الخلوص منها إلي الدعوة إلي توحيد الإلهية كما قال تعالي في سورة البقرة " يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم إلي قوله تعالي فلا تجعلوا لله أنداداُ وأنتم تعلمون " [1] وكما قال تعالي في سورة النمل " أمن خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ إله مع الله بل هم قوم يعدلون إلي قوله تعالي " أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أ إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " [2] وأما توحيد الإلهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية : فإن من عبد الله وحده لا شريك له ولم يشرك به شيئا لا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو رب كل شيء ومالكه الذي لا رب له غيره ولا مالك له سواه فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه وأن كل ما يدعى من دونه فهو لا يملك لعابديه ضراً ولا نفعاً ولا موتا ولا حياة ولا نشورا كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه " اعبدوا الله واتقوه ذلكم خيرا لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه

---

[2] سورة الجن أية (20: 23)

[1] سورة البقرة أية (21 : 22)

[2] سورة النمل آية (60 : 64)



واشكروا لـه إليـه ترجعون " [3] وأما توحيد الأسماء والصفات فإنـه شامل للنـوعين السابقين فهو يقوم علي إفراد الله سبحانه وتعالي بكل ما لـه من الأسماء الحسني والصفات العليا التي لا تنبغي إلا لـه فكما أنـه لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الإلهية فكذلك لا يصح توحدي الإلهية بدون توحيد الربوبية وكذلك من وحد الله في ربوبيته وإلهيته ولكنه سمي غيره باسمه أو الحد في أسمائه فلم يثبت لـه ما دلت عليه تلك الأسماء من صفات الكمال أو أثبت لغيره مثل صفته لم ينفعه توحيده في الربوبية والإلهية فلا يكمل لأحد توحيده حتي يجمع بين أنواع التوحيد الثلاثة 0

ولا يشك عاقل في أن عقيدة التوحيد هي الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها وأن أحد هذه الفطرة إذا استقامت ولم تفسد بعوامل الهوى والتقليد والعصبية فإنها تكون قوة موجهة للنفس إلي الترقي حافزة علي التحلي بخصال الخير كلها والتنزه من رذائل الأخلاق ومكروه الأعمال فعقيدة التوحيد إذا صحت كانت مركز إشعاع يضيء جوانب النفس فيطهرها من الأوهام والخرافات بحيث يجعلها لا تخضع لأحد إلا لخالق السماوات والأرض وقاهر الناس أجمعين لأنـه مما لا شك فيه أن سلامة العقيدة وضوحها وبعدها عن إغراق الوهم وجموح الخيال وتحكم الأهواء هو الهدف الأكبر الذي يسعى إليه العقل في تفكيره الدائب للوصول إلي الحقيقة والعقيدة التي جاء بها الإسلام في قوتها وبساطتها من الشطط و الانحراف وارتكازها علي أسس ثابتة من الفطرة العامة والمنطق العقلي المستقيم والنصوص الدينية الصريحة بحيث لا يمكن لعقول كل المفكرين أن ينقضوا أصلاً واحداً من أصولها فهي عقيدة تقوم أولاً علي أساس الإيمان بالله رباُ واحداً له الربوبية المطلقة علي الأشياء كلها خلقاً وملكاً وتدبيراً ورعاية وحفظا لا شركة لأحد أصلا لا في خلق شيء ولا في تدبير أمر كما قال تعالي " ألا لـه الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " [4] وأن خلقه للأشياء تم بقدرته وحدها علي وفق علمه و مشيئته دون معين أو وسيط وأن تدبيره لها تحويلا

---

[3] سورة العنكبوت آية (16 : 17)
[4] سورة الأعراف آية (54)

ولا تبديلا وأنه خلق الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه وجعله سيد هذه الكائنات بما منحه من سلطات وقوة الفكر وجعل الأشياء كلها مسخرة له وطوع إرادته يستخدمها فيما يعود علي أفراده بالخير وييسر لهم سبل العيش 0وتقوم علي الإيمان به كذلك إلهاً واحداً لا تنبغي الإلهية إلا له سبحانه فهو الإله المألوه الذي تألهه القلوب يعني تعبده محبه ومخافة وذلاً وإنابة واستكانة وخضوعا وتعظيما ورجاء وخشية وتوكلا واستعانة ورغبة ورهبة وذكرا وشكرا ورضي وصبرا وسؤالا ودعاء وقنوتا وطاعة إلي غير ذلك من أنواع العبادة التي يحبها ويرضاها والتي أمر عباده أن يتقربوا إليه بها كما ذكرنا ذلك بالتفصيل سابقا 0

وعلي الإيمان بأن له وحده الأسماء الحسني والصفات العلى وأنه متصف بجميع الكمالات التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله صلي الله عليه وسلم اتصافا حقيقيا علي الوجه الذي يليق به من غير أن يقتضي ذلك تمثلاً له بأحد من خلقه فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير مع وجوب تنزيهه سبحانه وتعالي عن كل ما لا يليق به من صفات النقص التي تضاد كماله وعن الشريك والصاحبة والولد والند والضد والشبيه والنظير – وتقوم أيضا علي الإيمان بالملائكة علي الوجه الذي ورد في الكتاب والسنة 0

وتقوم علي الإيمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه من خراب هذه الدنيا وفساد نظامها وخروج الناس من قبورهم أحياء وحشرهم إلي ربهم لفصل القضاء بينهم ومحاسبتهم علي كل ما قدموا لأنفسهم " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " [1] وتقوم علي الإيمان بقضاء الله وقدره إيمانا يحمل إلي النفوس الطمأنينة والرضى وينفي عنها الجزع وتقوم أيضا على أن الدين كله لله فهو الذي يتعبد عباده بما شاء ويشرع لهم من الأحكام والحدود والفرائض ما اقتضته حكمته مما يعلم أن فيه صلاحهم وسعادتهم فلا يجوز لأحد أن يشرع ما لم يأذن به الله وتقوم أيضا

---

[1] سورة الزلزلة آية (7 : 8)

علـي أن ديـن الله واحـد وهـو الإسـلام الـذي بعث الـه بـه رسلـه وأنـزل بـه كتبـه وأن الأنبياء كلهم أخوة أبناء علات أصول دينهم واحدة وشرائعهم شتي وأن الواجب هو الإيمان بهم جميعا وبما أنزل إليهم جميعا هذا محل العقيدة الإسلامية ليس فيها ما يجافي الفطرة أو يكابر العقل أو يتعاصى علي الفهم بل هي في صراحتها وبساطتها وقوتها يجب أن تكون عقيدة الإنسانية كلها و نحن نرى أن البشرية تعود اليوم مرة ثانية إلي جاهلية أشد من الجاهلية التي كانت قبل الإسلام فليست هناك أداب الإسلام وليس عندهم أخلاق الجاهلية بل أصبحت الموازين مختلفة فالقوي يفتك بالضعيف والأرض كلها إلا من رحم الله تحت وطأة الجاهلية الحديثة كما قال أحد العلماء بأنـه توجد ردة عن الإسلام ولا أبا بكر لها فتعالى معي ننظر كيف كان حال أهل الأرض قبل بعثة النبي ﷺ وكيف كان حالهم بعد بعثة النبي ﷺ وانتشار نور التوحيد علي وجه الأرض فانظر يا عبد الله إلي حال العالم قبل بعثة النبي ﷺ كما يصف ذلك النبي ﷺ حيث خطب في الناس فقال " وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا فقال في خطبته كل ما نحتله عبدي حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإن الشياطين أتتهم فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا في ما لم أنزل به سلطانا ثم إن الله عزل وجل نظر إلي أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني إسرائيل وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان – الحديث "[1] والشاهد قوله عليه الصلاة والسلام " ثم إن الله نظر إلي أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني إسرائيل فانظر إلي حال أهل الأرض في هذه الفترة التي سبقت بعثت النبي ﷺ فلقد أطبق عليها الشرك ولفها ظلام الوثنية واستشرف بأهلها الفساد والجهل حتي لم يبق منهم أحد علي دين صحيح إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء المتقدمين ولهذا استحقوا مقت الله وغضبه فلقد كان الناس

[1] رواه مسلم (7067) والنسائي في فضائل القرآن (95 , 96)

في تلك الفترة بين وثنية جائزة تتخذ آلهتها من حجارة منحوتة وأصنام منصوبة صورها علي صور وأشكال الأنبياء والصالحين وعبدوها من دون الله فيعكف عليها ويطاف بها ويذبح لها ويهتف بأسمائها وتستشيرها الناس فيما تأتي وما تذر ، ومسيحية جائرة حائرة ضلت عن سوء السبيل فجعلت الآلهة ثلاثة وقالت بأن المسيح ابن الله ونسبت إليه الخلق والتدبير وحساب الخلائق واتخذت من الرهبان أربابا من دون الله وتمرغت في أوحال الوثنية 0وهناك يهودية مدمرة عثت في أرض الله الفساد وأشعلت فيها نار الفتن ونقضت عهد الله وميثاقه وأوغلت في المادية حتى نسيت حياة الروح وتلاعب بنصوص كتابها حتي حرفتها عن مواضعها استجابة لشهوة الرؤساء واتخذت من الدين وسيلة للاستعلاء 00

وهناك مجوسية فاجرة تدين بوجود إلهين إله للخير وإله للشر وتعبد النار وتجعل لها بيتاً وتحج إليه وتقيم لها سدنة يذكون لهيبها ويضرمون أوارها 0وكان هناك عدا هذه النحل جميعا صابئة يعبدون الكواكب والنجوم ويعتقدون تأثيرها ويرجون رضاها ويقولون عنها أنها بنات الله 0ودهرية زنادقة لا يدينون إلا بشرعة الهوى وعبادة الشهوات ولا يؤمنون ببعث ولا حساب ولا يعرفون لهم غاية وراء هذه الحياة الدنيا 0وقد جمع القرآن الكريم هذه الفرق منوهاً بهذه النحل كلها في قوله تعالي " ن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله علي كل شيء شهيد "[2]وهكذا كان الدين الحق قد التبس علي أهل الأرض كلهم فتاهوا في بيداء الضلالة وتمرغوا في أوحال الجاهلية وغرقوا في بحار الوثنية حتى أنقذهم الله ببعثة محمد ﷺ فأخرجهم الله به من الظلمات إلي النور وأرسله الله إلي الناس كافة بشيراً ونذيراً فكانت بعثته أعظم ما امتن الله به علي الإنسانية كلها كما قال تعالي " وما أرسلناك إلا رحمة للعاملين "[3] وقال تعالي

---
[2] سورة الحج آية (17)
[3] سورة الأنبياء آية (107)

" لقد من الله علي المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " [4]

فانظر أخي المسلم إلي حال البشرية قبل مجيء خير البرية فقد كان الاضطراب في العقيدة مظهراً من مظاهر البشرية في كل ناحية فأينما نظرت وجدت الضلال مجسما والإحباط مخيما والأوضاع قد استقرت علي الباطل حتى أصبح الحق باطلاً والباطل حقاً فالشرك الذي هو أكبر الكبائر مخيماً علي جميع نواحي الحياة في هذه الفترة ذلك الشرك الذي هو بمثابة ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض وحجب متلاطمة لا يقر لها قرار فهو يجعل الإنسان عبد للمخلوق وهو لا يعبد المخلوق إلا جلبا لفائدة أو دفعا لضرر فهو في الواقع عبد لمصلحته في هذا الوسط المخيف المليء بالشرك يولد الإنسان ويموت وهو لا يدري عن الإنسانية شيئا يولد وينشأ داخل هذا السجن الرهيب الذي قد أحاط به في هذا المجتمع وساهم كل فرد فيه دون شعور منه في وضع أسسه وتدعيم كيان جدران هذا السجن هم أعضاء المجتمع نفسه ونوافذه الخرافات والكهانة التي فرضها الكهنة لإخضاع العقل البشري لسيطرتهم وسقفه استبدادا لحكام بمصير الأفراد والجماعات وحراسه التقاليد الموروثة وهيهات في مثل هذه البيئة أن يعترف بحقوق الإنسان أو تترك للفرد الحرية اللازمة وبينما البشر علي حالتهم قد غرقوا في بحر لجي من الظلمات المتراكمة إذا بالنور المحمدي يسطع ويشرق من مكة فيملأ الكون هدى وضياء 0

جاء النبي ﷺ لينقذ البشر من هذا الجحيم الذي أججوه لأنفسهم ثم ألفوا العذاب فيه جاء ليقيهم من التردي في مجاهل الانحطاط البشري البهيمي ويرشدهم إلي السبيل السوي للحياة ويهديهم إلي سبيل السلام بإذن الله تعالي ويوضح لهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة فببعثته صلى الله عليه وسلم تنفست البشرية الصعداء وأزاحت عن صدرها ذلك الكابوس الجاثم الذي صنعته لنفسها وأخذت تدب فيها حرارة الإيمان بعد

---

[4] سورة آل عمران آية (161)



أن أوشكت بردوت الموت في أوحال الشرك أن تقضي عليها - حرر ﷺ العبودية لله تعالي من كل عبودية لغير الله لقد حررها من عبادة النفس والمخلوق والجاه والسلطان والقوة والتقاليد الموروثة والكهانة والجن والشياطين هذا علماً بأن أقوى الثقافات الأخرى إلي يومنا هذا لا تستطيع حتى الآن أن تخلص الإنسان من العبودية للإنسان أو استعباده - لقد فتح ﷺ للعالمين أبواب معرفة الله عز وجل ليعرجوا في الكمالات علي قدر ما في وسعهم - ولقد صحح لهم ﷺ عقيد الناس في الملائكة والنبوات وعرفهم معنى النبوة ومقاصدها حتي لا يلتبس عليهم أمر عقيدتهم فيتبعوا كل زائغ ضال أو كاهن أو شيطان رجيم لقد كان البشر قد اخضعوا العقل للتقاليد والخرافات والكهانة حتى أنهم أصبحوا يعيشون في ظل هذا السجن المخيف فلا يعرفون من الذي يجب أن لا يصرف أحد العبادة إلا له تحت ظل التمسك بالعادات والتقاليد البالية فجاء صلي الله عليه وسلم محرر العقل وحرر الإنسانية من ظلم البشرية وتناقضاتها ووحد الهدف فجعل سعادة الإنسان بأن يتحرر من العبودية المصطنعة للبشر وأن يتوجه بالعبادة لمعبود واحد لا إله غيره ولا معبود سواه بهذا تخلصت العقول من الأوهام والخرافات وتخلصت النفوس من جحيم العبودية لغير الله فصار كل فرد في هذا المجتمع بإيمانه ومعرفة ربه عبداً لله وحده حراًُ من العبودية لكل ما سواه فكان له من الحق ما للحر علي الحر وليس هناك تفاوت بين الناس إلا بالتقوى - ولقد جاهد ﷺ في سبيل التوحيد فقال ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علي الله "[1] ولعله لم يبل أحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام في سبيل التوحيد كما فعل النبي ﷺ ولا غرو فهو الذي اختاره الله لحمل أعظم رسالة وإن المتأمل لسيرة النبي ﷺ بعد البعثة يجدها سلسلة حلقات متصلة الحلقات من الجهاد الدائم لإعلاء كلمة التوحيد وتقويضه دعائم الشرك

---

[1] أخرجه البخاري (25) ومسلم (22) وبان حبان (175 , 219) وابن منده في الإيمان

ومحاربة الوثنية في كل صورها ومظاهرها فقد قضي بمكة ثلاثة عشرة سنة لا شغل له إلا إقرار العقيدة الصحيحة والدعوة إلي التوحيد ومكارم الأخلاق ولقد حاولت قريش أن تحول بينه وبين الاستمرار في ذلك بشتى الوسائل فهددت وتوعدت وتفننت في إيذائه وإيذاء أصحابه ﷺ ولكن رغم ذلك كله فإنه لم يزدهم ذلك إلا تمسكا بالحق وصلابة في إيمانهم - والقرآن ينزل في أثناء ذلك بالقوارع يزلزل بها قلوب أهل الكفر والعناد ويأخذهم بأشد الوعيد ويوبخهم علي ا رضوا لأنفسهم من عبادة ما هو أحقر منهم شأنا وأضعف كيدا وينعي عليهم تقليدهم الآباء في الجهل والضلال ويدعوهم إلي النظر الحر والتفكير السليم ولكن القوم مع ذلك ركبوا رؤسهم وتمادوا في الضلال وانزلوا بالمؤمنين أشد أنواع العذاب حتى اضطروهم إلي الهجرة إلي الحبشة كل ذلك ورسول الله ﷺ مثابر علي دعوته ماضي فيها بأمر ربه محتمل ما يلقاه هو وأصحابه من الأذى في سبيل الله لا يثنيه عن دعوته إغراء ولا يلويه تهديد ثم بلغت السفاهة بالقوم والعقوق وقطيعة الرحم أن تعاقدوا علي مقاطعة بني هاشم لا يبعونهم ولا يبتاعون منهم ولا ينكحونهم ولا ينكحون إليهم وحاصروهم في شعب أبي طالب ثلاث سنين ذاقوا فيها من أهوال الجوع والحرمان ما لا تصبر عليه الجبال ثم خرج ﷺ إلي الطائف لدعوة أهلها إلي الإيمان به ونصرته حتى يبلغ رسالة ربه فلم يجد منهم إلا رداً قبيحا وجوابا غليظا بل بلغ بهم السفاهة واللؤم أن أغروا به ورجع ﷺ من الرحلة الشاقة ولم يؤمن به إلا (عداس) وعندما رجع ﷺ لم يستطيع أن يدخل مكة إلا في جوار أحد المشركين وهو المطعم بن عدى ثم رد عليه بعد ذلك جواره ثم أخذ ﷺ يعرض نفسه علي قبائل العرب في موسم الحج فلا يجد من أكثرهم إلا سخرية واستهزاء وعمه أبو لهب يمشي خلفه يحذر الناس منه ومن الاستماع له ويقول لهم إنه ساحر يفرق بين الأخ وأخيه وبين المرء وزوجه فلا يملك الناس إلا أن يقولوا أنت اعلم بابن أخيك ثم كان أن أذن الله بالفرج فهدى الله بعض أهل الأوس والخزرج إلي الإسلام وأمر ﷺ أصحابه بالهجرة إلي المدينة فلما علم

المشركون بذلك اجمعوا لي قتله ووقف على بابه ليلة الهجرة أربعون رجلا بسيوفهم تتحرق قلوبهم شوقا إلي قتله ويتفرق دمه في القبائل ونجاه الله من كيدهم وهاجر ﷺ هو وصاحبه الصديق آوى إلي غار حراء وخرج القوم في طلبهم وانتهى بهم السير إلي أن وقفوا على باب الغار وارتجف أبو بكر وقال والله يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلي تحت قدمه لأبصرنا فيقول له النبي ﷺ ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا ووصل النبي ﷺ هو وصاحبه إلي المدينة حيث كان في إنتظارهما عسكر التوحيد وجند الإيمان من المهاجرين والأنصار ثم أذن الله للمسلمين في الجهاد وبعد ذلك بدأ الصراع بين التوحيد والشرك فكانت غزوة بدر وأحد والأحزاب وغيرها من الغزوات حتى أمكن الله نبيه ﷺ من قريش وفتح عليه مكة ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ثم خضعت الجزيرة العربية كلها لصوت التوحيد ولراية لا إله إلا الله محمد رسول الله 0وهكذا كانت حياته كلها ﷺ دائباً في سبيل نشر دعوة التوحيد لا يفتر حتى جاءه نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً وهكذا بلغ الرسول ﷺ من السمو في الدعوة والجهاد الغاية التي تتضاءل دونها كل همة وكان من حرصه ﷺ علي حماية حمى التوحيد ما بيناه سابقاً فلا يدع مناسبة إلا وبين ذلك ووضحه لأصحابه وسار أصحابه من بعده علي ذلك واقتفوا أثره ووقفوا عند حدود الكتاب والسنة من غير لجوء إلي التأويل ولا نزوع إلي التشبيه أو التعطيل وظلوا يجاهدون في سبيل حماية حمى التوحيد وصيانته من الشرك بكل وسيلة حتى أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقطع الشجرة شجرة الرضوان التي بايع الصحابة النبي ﷺ تحتها علي الموت عام الحديبية لما علم أن بعض الناس يذهبون إليها ويتعمدون الصلاة عندها وهذا على رضي الله عنه يقول لأبي الهياج الأسدي ألا أبعثك علي ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمستها " [1] وإلي هذا المنهج الواضح من المحافظة

---

[1] تقدم تخريجة (صـ)

علي التوحيد سار سلف هذه الأمة الصالح وأئمة الهدى من بعدهم لم يسمحوا لأحد أن يخرق سياج التوحيد أو يستبيح بيضته حتى نبتت طوائف الشيعة والصوفية فأعملوا فيه معاول الهدم بغلوهم في أئمتهم وشيوخهم وتقديسهم للمشاهد والمزارات وتبركهم بالآثار والمخلفات وسجودهم علي العتبات وتقديمهم النذور والقربات

وما زال الأمر يستفحل والخطر يشتد حتى وصل إلي ما نشاهده الآن في معظم بلاد الإسلام من إقامة القباب علي القبور وإنشاء المقاصير حولها وتزينها بالزخارف وفرشها بالبسط وإقامة السدنة حولها وإيقاف السرج عليها ووضع صناديق النذور عندها وفتحها للزائرين يحجون إليها ويرتكبون عندها كثيراً من الأعمال الشركية كالطواف والتقبيل ووضع النذور والتوسل والمناجاة وذبح القرابين وإقامة المهرجانات الجاهلية التي يسمونها الموالد إلي غير ذلك مما يئن منه الإسلام وتتفتت على صخرته كل قواعد التوحيد ولطالما هب العلماء والمصلحون والغيورون من هذه الأمة ناصحين لهم بالإقلاع عن هذه العادات الشركية مبينين لهم سوء العاقبة إن استمروا على هذه الحال ولكن جهودهم كانت تضيع لأن قوى السلطان كانت تقف بجانب حزب الشيطان وجحافل الشرك والطغيان واضطهدت كل داعية إلي التوحيد والإيمان فهل آن الأوان لأن ترجع الأمة إلي ربها فتفرده وحده بالعبودية في جميع شئون حياتها وهل أذن الله لنوره بأن يعتنقه شباب وشيوخ ونساء هذه الأمة حتى تعود إلي سالف عهدها المسلوب وتعيد أمجادها علي هدى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بإقامة التوحيد في القلوب والتجرد لله ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والإقتداء بسلف هذه الأمة الصالح وهذا ما نرجوه من رب العالمين " والله متم نوره ولو كره الكافرون " [2]

فإذا تبين لنا أن التوحيد هو أهم الواجبات وأنه بالنسبة إلي الإنسان واحتياجه إليه في جميع شئون حياته كاحتياج السمك إلي الماء فإذا خرج عن الماء مات فكذلك

[2] سورة الصف آية (8)

التوحيد بالنسبة للإنسان فأول الواجبات هو توحيد رب العبادة والبعد عن الشرك والحذر من الوقوع فيه والخوف منه لأن الشرك أعظم ذنب عصى الله به ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه علي ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نساءهم وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه فلهذا ينبغي علي كل مؤمن أن يحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه ولهذا قال حذيفة بن اليمان كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه [1] وذلك لأن من لم يعرف إلا الخير فإنه قد يأتيه الشر ولا يعرفه ولا يعرف أنه شر فإما أن يقع فيه وإما أن لا ينكره كما ينكره الذي عرفه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية فإذا تبين بهذا أن الشرك أعظم الذنوب لأن لله أخبر أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه وما عداه فهو داخل تحت المشيئة إن شاء غفر الله له بلا توبة وإن شاء عذبه وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم إذ مضمونه تنقيص رب العالمين وصرف خالص حقه لغيره ولهذا دعا خليل الله إبراهيم عليه السلام " واجنبني وبني أن نعبد الأصنام " [2] وإنما دعا إبراهيم عليه السلام بذلك لأن كثيرا من الناس افتتنوا بها فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره ولهذا فإن من لقى الله تعالي لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولا يناله من الله رحمة ويخلد في النار أبد الآبد من غير انقطاع عذاب – فإذا وحد العبد ربه واجتنب الشرك دخل الجنة بإذن الله تعالي فالتوحيد فضله عظيم وتكفيره للذنوب معلوم قال تعالي " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " [3] وقد سأل الصحابة عند نزول هذه الآية النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله

---

[1] أخرجه البخاري في المناقب (7084) ومسلم في المغازي (1847) وابن ماجة في الفتن (3979) والبغوي (4222) والبيهقي (15618)
[2] سورة إبراهيم آيـة (35)
[3] سور الأنعام آيـة (82)

أينا لم يظلم قال عليه الصلاة والسلام إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح " يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " [4] إنما هو الشرك 0 فقد بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الشرك ظلم في كتاب الله وحينئذ لا يحصل الأمن والإهتداء إلا لمن يلبس إيمانه بهذا الظلم - فمن أسلم من أجناس الظلم الثلاثة يعني الظلم الذي هو الشرك وظلم العباد وظلمه لنفسه بما دون الشرك كان له الأمن التام والإهتداء التام ومن لم يسلم من ظلم نفسه كان له من الأمن والإهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه بما هو دون الشرك كبخله لحب المال , وغير ذلك من الذنوب فأن هذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة "



(4) أخرجه البخاري في الأنبياء _ (3636) وأحمد (378/1)

قواعد كليـة في باب الصفـات



وبعد أن تكلمنا علي التوحيد وما يضاده من الشرك بجميع أنواعه علي سبيل التنبيه وليس سبيل التفصيل نعود إلي المؤلف وبيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة من العقيدة الصحيحة فقال رحمه الله تعالي " قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء لا يغني ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد "

قول الشيخ قديم بلا ابتداء , دائم بلا انتهاء – هو معني اسمه الأول والآخر والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلي واجب الوجود لذاته قطعا للتسلل قال تعالي " أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون "[1] أي هل أحدثوا من غير محدث أم هم المحدثون لأنفسهم ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوصف بما لم يبق مقالاً لقائل حيث يقول " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء [2] فمدار هذه الأسماء الأربعة علي الإحاطة بها تنقسم إلي قسمين : زمانية ومكانية فاحاطت أوليته بالقبل وأحاطت آخريته بالبعد وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن فما من ظاهر إلا والله فوقه وما من باطن إلا والله دونه فالأول قدمه والآخر بقائه ودوامه والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فلا يخفي عليه شيء لا دقيق ولا جليل وفي ذلك إثبات أوليته سبحانه وتعالي وسبقه كل شيء وإثبات داومه وبقائه وأنه لا شيء بعده وإثبات علوه علي خلقه وإفادة قربه ودنوه وإحاطته سبحانه مع أنه فوق الخلق وأنه وسع كل شيء علما وأحاط بكل شيء وفيه الرد علي المعتزلة والجهمية والقدرية ومن نحا نحوهم – وأنه سبحانه وتعالي لا يفني ولا يبيد لأنه سبحانه وتعالي

---

(1) سورة الطور آيـة (35)

(2) أخرجه مسلم (78/8 , 79) (2713) وابو داود (5051) والترمزي (3397) وابن ماجه (3873) وأحمد (381/2 , 404) والنسائي (420/9) والبخاري في الادب المفرد (1212)



الباقي بل هو المغني المبيد وهو المبدئ المعيد فكما أنه سبحانه وتعالي أول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء فكا أنه لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته فلا يغني ولا يبيد قال تعالي " كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام "[3] وقال تعالي " ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون "[4] واعلم بأن القديم ليس من أسماء الله تعالي وإنما هو صفة وقوله " ولا يكون إلا ما يريد .

بيان الإرادة

وهذا رد علي القدرية والمعتزلة فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح وهي مسألة القدر المشهورة التي خالف فيها القدرية الذين نفوا القدر , كذلك تسمي الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضا 0أما أهل السنة فيقولون أن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهو لا يحبها ولا يرضها ولا يأمر بها بل يبغضها ويكرهها وينهي عنها وهذا قول السلف قاطبة فيقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن 0
واعلم بأن أهل السنة يقولون بأن الإرادة في كتاب الله نوعان :-

1 - إرادة قدرية كونية خلقية : وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات وهي مرادفة للمشيئة وهذه الإرادة الكونية القدرية مستلزم الوجود المراد أي أنه لا بد من وقوع مرادها وهذه الإرادة شاملة للحوادث كلها وهي المتعلقة بالخلق بأن يريد ما يفعله هو 0 قال تعالي " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون "[1] فالكافر والمسلم , والبر والفاجر , والطاعات والمعاصي , والأرزاق والآجال كلها تحتها وهي أي الإرادة الكونية القدرية تجتمع مع الإرادة الشرعية الدينية في حق الطائع

---

[3] سورة الرحمن آية (26 , 27)
[4] سورة القصص آية (88)
[1] سورة يس آية (82)

وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي وهذه الإرادة أعم من جهة تعقلها بما لا يحبه الله ولا يرضاه من الكفر والمعاصي وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر ، وطاعة الفاسق - وأعلم بأن المراد نوعان مراد لنفسه ومراد لغيره - فالمراد لنفسه هو الذي يرضاه وهو مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصوداً للمريد ولا فيه مصلحة له بالنظر إلي ذاته وإن كان وسيلة إلي مقصوده ومراده فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته مراد له من حيث إفضائه وإيصاله إلي مراده فيجتمع الأمران بغضه وإرادته من غير تناف لاختلاف متعلقها وهذا كالدواء المتناهي في الكراهة إذا علم متناوله أن فيه شفائه .

وقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلي مراده ومحبوبه فالعاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب وإن خفيت عنه عاقبته ، فكيف بمن لا تخفى عليه العواقب فهو سبحانه يكره الشيء ويبغضه في ذاته ولا ينافي في ذلك إرادته لغير وكونه سببا لأمر هو أحب إليه من فقده من ذلك خلق أبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والإعتقادات وهو سبب لشقاء العبيد وعملهم بما يغضب الله فهو مبغوض قد لعنه وأبعده وغضب عليه وطرده , ومع هذا فهو وسيلة إلي محاب كثيرة للباري جل وعلا يترتب وجودها علي خلقه وإيجاده ووجودها أحب إلي الله من عدمها لحكمة جرت منه في عباده علي وفق مراده 0 فمن ذلك إظهار القدرة علي خلق المتضادات المتاقابلات كخلق هذه الذوات التي هي أخبث الذوات وأشرها وهي سبب كل شر في مقابلة ذات جبريل التي هي أشرف الذوات وأطهرها وأذكاها وهي مادة كل خير فتبارك الله خالق الأضداد 0

وكما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار والداء والدواء والحياة والموت والحر والبرد والحسن والقبيح والخير والشر كل ذلك ونظائره من دلائل إظهار قدرته وعزته فإنه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسلط بعضها وجعلها مجال تصرفه

وتدبيره وحكمته فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لكمال حكمته وكما تصرفه وتدبير مملكته , ومنها ظهور أسمائه القهرية القهار والمنتقم والعدل والضار ونحوها وظهور أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه فيما يتعلق بظلم العبد نفسه فيما يتعلق بينه وبين ربه مما هو دون الشرك ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المغضبة إلي ظهور هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد وفي الحديث " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم و لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم[2] " ومنها ظهور أسماء الحكمة والخبرة فإن الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها وينزل الأمور منازلها اللائقة بها ومنها حصول العبودية المتنوعة

– قال تعالي " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " [3] فمن كان أهلا بإرادة الله وتقديره لقبوله دعوة الإسلام الذي هو دين الفطرة والهادي إلي طريق الحق والرشاد وجد لذلك في نفسه انشراحا واتساعا بما يشعر به قلبه من السرور وعلامة ذلك نور يقذف في القلب فينشرح وينفسح فترى العبد ينيب إلي دار الخلود ويتجافى عن دار الغرور ويستعد للموت قبل نزوله , وأما من فسدت فطرته بالشرك والذنوب فإنه يجد في صدره ضيق وتضعف إرادته عن ترك ما هو عليه من باطل والتقاليد والاستكبار عن مخالفة ما ألفه وهذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه فسبحان من بيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء , وقال نوح عليه السلام " ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم " [1] وقال تعالي " ولكن الله يفعل ما يريد " [2]

2 - **الإرادة الدينية الشرعية الأمرية** : وهي المتضمنة لما يحبه الله ويرضاه وهذه الإرادة الدينية الشرعية تتعلق بالأمر بأن يريد من العبد فعل ما أمره به الله سبحانه

---

[2] أخرجه مسلم (6831) (2748 , 2749) وأحمد (305/2 , 309) والترمذي (3526 , 3539)
[3] سورة الأنعام آية (125)
[1] سورة هود آية (34)
[2] سورة البقرة آية (253)

يحبها وقعت أو لم تقع وهي المتضمنة للمحبة والرضا المتناولة لجميع ما أمر الله به شرعاً وديناً وهي مختصة بالإيمان والعمل الصالح قال تعالي " يرد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " [3] وقال تعالي " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم " [4]وقال تعالي " والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيما يرد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا "[5] وقال تعالي " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " [6] فالله تعالي حكيم في شرعه وأفعاله وأقواله فهو سبحانه يرشد العباد إلي ما فيه مصلحتهم في الدنيا والآخرة وبين لهم مناهج من كان قبلهم من الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم ليقتفوا آثارهم في سيرهم الحميدة وأفعالهم السديدة وشمائلهم الكاملة وتوفيقهم التام لما يحبه الله ويرضاه 0

والله سبحانه وتعالي يريد أن يخفف عنكم في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل وحكمته وعلمه بضعف الإنسان من جميع الوجوه ضعف البنية والإرادة والعزيمة والإيمان والصبر فناسب ذلك أن يخفف الله عنه ما يضعف عنه وما لا يطيقه " 0

واعلم أن الله أمر العباد بما يصلحهم ولا يلزم من ذلك أن يعينهم علي ما أمرهم به وإذا عللت أفعاله بالحكمة فهي ثابتة في نفس الأمر وإن كنا نحن لا نعلمها فلا يلزم إذا كان نفس الآمر له حكمة في الأمر أن يكون في الإعانة علي فعل المأمور به حكمه بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه علي ذلك , وإذا أمكن ذلك في حق المخلوق بأن يكون مقتضي الحكمة المصلحة أن يأمر لمصلحة المأمور وأن تكون الحكمة والمصلحة للآمر أن لا يعينه علي ذلك كما قال تعالي عن الذي جاء من أقصي المدينة يسعى وقال لموسي " إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك

---

[3] سورة البقرة آية (185)
[4] سورة البقرة آية (185)
[5] سورة النساء آية (26 : 28)
[6] سورة الأحزاب آية (33)

من الناصحين " [7] فهذا مصلحته في أن يأمر موسي بالخروج لا في أن يعينه علي ذلك وإذا كان يمكن في حق المخلوق أن يأمر غيره بأمر ولا يعينه عليه بمقتضى الحكمة فالخالق أولي بإمكان ذلك في حقه مع حكمته فمن أمره وأعانه علي فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تعلق به خلقه وأمره إنشاء وخلقا ومحبة فكان مراداً بجهة الخلق ومراداً بجهة الأمر ومن لم يعنه علي فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمره ولم يتعلق به خلقه لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده – فإن خلق المرض الذي يحصل به ذل العبد لربه ودعاءه وتوبته وتكفير خطاياه وكذلك يرق قلبه ويذهب عنه الكبرياء والعظمة والعدوان يضاد خلق الصحة التي تحصل معها هذه المصالح , وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره يعجز عن معرفته عقول البشر , والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة مثلوا الله فيها بخلقه ولم يثبتوا حكمة تعود إليه , فلله الحكمة البالغة والإرادة الكاملة و الإلهية الحقه 0

واعلم بأن الله كما بينا ذلك سابقاً قد أخبر في كتابه وعلي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه يحب المحسنين ويحب المتقيين ويحب الصابرين ولا يرضي لعباده الكفر ولا يحب الفساد مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد وقد بينا أن الإرادة والقضاء والأمر كل منها يتقسم إلي كوني وشرعي وأن لفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كقوله تعالي " وما تشاءون إلا أن يشاء الله " [1] ومثال الإرادة الكونية " وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له " [2] ومثال القضاء الكوني " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " [3] وقلنا بأن هذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة وقدرته النافذة وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها – ثم بعد

---

[7] سورة القصص آية (20)
[1] سورة المزمل آية (20)
[2] سورة الرعد آية (11)
[3] سورة الإسراء آية (16)

ذلك بينا الإرادة الشرعية مثل " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " [4] ومثال القضاء الشرعي قوله تعالي " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا " [5] ومثال الأمر الشرعي " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون " [6] فهذه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري هو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكره ويأباه 0

وهنا قد يسأل سائل أليس في قدرته تعالي أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين قلنا بلى وقد قدمنا لك جملة وافيه من الآيات والأحاديث في ذلك لكن يجب أن تعلم أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضي حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله وحينئذ يكون قول القائل لم كان من عباده الطائع والعاصي كقول القائل لم كان من أسمائه الضار النافع والمعطي المانع والخافض الرافع والمنعم والمنتقم ونحو ذلك – واعلم بأنه قد يوسوس الشيطان لبعض الناس فيقول ما الحكمة في تقدير السيئات مع كراهية الله تعالي إياها وهل يأتي المكروه بمحبوب فنقول الحمد لله إيمانا بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته واستسلاماً لأقداره وأرادته وتسليما لعدله وحكمته 0

واعلم بأن الواجب علي العبد أمر أهم من ذلك البحث وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والتسليم لأقداره واليقين بعدله وحكمته والفرح بفضله ورحمته ونحن لا نعلم من حكمة الله وسائر أسمائه وصفاته إلا ما علمناه ولا يحيط بكنه شيء منها ونهايته إلا الذي اتصف بها وهو الله الذي لا إله إلا هو واعلم بأن السيئة لذاتها ليست محبوبة لله كما قال تعالي بعد أن نهى عباده عن الكبائر" كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها"[1]ولكن يترتب عليها من محابه ومرضاته ما هو أعلم به في حق

---

[4] سورة البقرة آية (185)
[5] سورة الإسراء آية (23)
[6] سورة النحل آية (90)
[1] سورة الإسراء آية (38)

فاعلها من التوبة والإنابة والإذعان وملازمة الاستغفار وغير ذلك من الفرائض والطاعات المحبوبة للرب عز وجل - فالواجب على العبد كراهة ما يكرهه الله من السيئات ومحبة ما يحبه الله من الطاعات ومن غلبته نفسه بجهلها وشرارتها فصدر عنها شيء من ذلك المكروه فليبادر إلي التوبة والإنابة والاستغفار فإن الله أرشدنا إلي ذلك فقال " وسارعوا إلي مغفرة من ربكم إلي قوله تعالي والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمون " [2] إلي آخر الآيات " أولئك جزائهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين " فإنه ترتب علي فعل السيئة من فاعلها هذه الأمور المحبوبة للرب عز وجل وهذا غاية مصلحة العبد وسعادته وفلاحة – وإن لم يقع منه ذلك فلخبث نفسه وعدم صلاحيتها والله أعلم بالمهتدين وحينئذ يترتب عليها فرائض الله عز وجل علي أولياءه المؤمنين من الدعوة إلي الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الاسلام وعليه يترتب لأولياء الله الفتح والنصر أو الشهادة ونستغفر الله من الخوض في هذا الباب وقوله " لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام " " ولا يشبهه الأنام " أي أنه لا ينتهي إليه وهم ولا يحيط به علم كما قال تعالي " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما " [3] وقال " ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء " [3] وإنا نعرفه تعالي بما وصف به نفسه في كتبه المنزلة علي رسله بأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأنه سبحانه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وأنه سبحانه عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم وأنه سبحانه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور وأنه سبحانه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم له الأسماء الحسني والصفات العليا إلي غير ذلك من آيات الأسماء والصفات ومع هذا فالواجب علينا

---

[2] سورة آل عمران الآيات (133 : 136)
[3] سورة طه آية (110)
[3] سورة البقرة آية (255)

الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأسرارها كما جاءت واعتقاد أنها حق كما أخبر الله عز وجل وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم التكيف والتمثيل لأن الله عز وجل أحبرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ولم يبين كيفيتها فنصدق الخبر ونؤمن به ونكل الكيفية إلي الله عز وجل فصفات ذاته تعالي من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها وكذلك صفات أفعاله من الاستواء علي العرش والنزول إلي الدنيا والمجيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق علي حقيقتها علمنا اتصافه تعالي بها بما علمنا في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وغاب عن جميع الخلق كيفيتها ولم يحيطون بها علما كما قال مالك بن أنس الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومن الله الرسالة وعلي الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم وكذلك القول في جميع صفاته عز وجل ونحن مؤمنون بما أخبرنا الله عز وجل عنه علي ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ولله المثل الأعلى وله الحمد في السماوات وفي الأرض آمنا بالله وأسلمنا له وبكل ما جاء من عند ربنا " ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين " [1]

الرد على المشبهة

وأما قوله رحمه الله تعالى (ولا يشبه الأنام) هذا رد لقول المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) لأنه سبحانه جل عن أن يشبه الأنام في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله لأن الصفات تابعة لموصفها فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ولا اهتدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى الله إليه أهل السنة والجماعة لما نفوا عن الله ما وصف به نفسه ووصف به رسول الله صلى الله عليه

[1] سورة آل عمران آية (53)

وسلم ولما عطلوه عن صفات كماله ونعوت جلاله فرار بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظم من ذلك ولزمهم أضداد ما نفوه من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وسبب ضلالهم أنهم تقدموا بين يدي الله ورسوله واتهموا الوجين فيما نطقوا به ووزنوها بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة وقوانينهم الفاسدة التي هي ليست من الله في شيء وسموا النور الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم تفصيلا لكل شيء وتبيانا لكل شيء آحاد ظنيه لا تفيد اليقين وسموا زخارف أذهانهم ووسواس شياطينهم قواطع عقلية وما هي إلا خيالات وهمية ووساس شيطانية هي من الدين برئية وعن الحق بعيدة توجب الحيرة وتعقب الحسرة فجمدوا صفات الباري وسموا ذلك تنزيها ليفروا بها الجهال وإنما هو محض التعطيل . وسموا أولياءه المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته شبهة لينفروا الناس عنهم مكراً وخديعة ولأنهم عزلوا كتاب الله عن البيان وحكموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات الديان فلم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التي منحه الله إياها ومتي شاء سلبها منه ولم ينظروا المتصف بها من هو فلذلك نفوها عن الله عز وجل لئلا يلزم من إثباتها التشبيه فشبهوا أولاً وعطلوا ثانيا فلما نفوا عن الله صفات كماله لزمهم إثبات ضدها وهو النقائص فمن نفى عن الله كونه سميعا بصيرا فقد شبهه بالا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئاً وكذلك سائر الصفات وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم كما شاء الله تعالى وعلى الوجه الذي أراد فجميع صفاته صفات كمال وجلال تليق بعظمة ذاته ونفيها ضد ذلك ولا يلزم من اتفاق التسمية أن تكون صفات المخلوق مثل صفات الخالق فإن الله قد سمي نفسه سميعاً بصيرا وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعا بصيرا وسمي نفسه الرءوف الرحيم وأخبر أن نبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رءوف رحيم وغير ذلك ولكن يجب أن نعلم بأنه ليس السمع كالسمع ولا البصر ولا الرأفة كالرأفة ولا الرحمة كالرحمة ولا العزة كالعزة كما أنه ليس

المخلوق كالخالق ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول والآخر الظاهر الباطن وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحي القيوم عما سواه وكل ما سواه فقير إليه بصفات الخالق الحي القيوم قائمة به لائقة بجلاله أزلية بأزليته بديموميته لم يزل متصفا بها ولا يزال كذلك لم تسبق بضد ولم تعقب به بل له تعالى الكمال المطلق أولا وأبدا " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر ومن نفي عنه ما وسف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه أو صوفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيه وقد قال أبو حنيفه رحمه تعالى بأن الله سبحانه وتعالى : لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا أهـ - وقال نعيم بن حماد من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه 0

وقال اسحاق بن راهوية : من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم , واعلم بأن نفي مشابهة شيء من مخلوقاته له مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته ولذلك اكتفي الشيخ بقوله ولا يشبهه الأنام (الحي القيوم)

وقوله " حي لا يموت قيوم لا ينام "

فإنه سبحانه وتعالى هو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء وهو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء قال تعالى " الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم " ففي السنة والنوم دليل علي كمال حياته وقيومته - قال تعالى " وتوكل علي الحي الذي لا يموت " وقال تعالى " هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين " وقال تعالى " وعنت الوجوه للحي القيوم " وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول " اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا

أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والأنس يموتن " وهو سبحانه قيوم لا ينام فهو القيوم بنفسه القيم لغيره فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها إلا به ولا قوام لها بدون أمره كما قال تعالى " ومن لآياته أن تقوم السماء والأرض بأمره " وهو القائم علي كل شيء والقائم بجميع أمور عباده والقائم علي كل نفس بما كسبت وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل " الهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيم السماوات ولأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض " الحديث 0

واعلم بأن الشيخ رحمه الله تعالى لما نفي التشبيه أشار إلي ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه بما يتصف به تعالى دون خلقه فمن ذلك أنه حي لا يموت لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه فإنهم يموتون ومنه أنه قيوم لا ينام إذ هو مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه فإنهم ينامون وفي ذلك إشارة إلي أن التشبيه ليس المراد منه معنى الصفات ولكن يجب أن نعلم بأنه سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال لكمال ذاته فالحي حياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة وكذلك سائر صفاته فصفات الخالق كما يليق به وصفات المخلوق كما يليق به وهذان الاسمان الحي القيوم مذكوران في القرآن الكريم معا في ثلاث مواضع :-

الأول في آية الكرسي من سورة البقرة ,

والثاني في أول سورة آل عمران

والثالث في سورة طه آية (111)

وهما من أعظم أسماء الله الحسني حتى قيل بأنها الاسم الأعظم فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه ويدل القيوم علي معنى الأزلية و الإلهية ما لا يدل عليه لفظ القديم ويدل ويفيد قيامه بنفسه ودوام قيامه وكمال قيامه الذي لم يذل ولا يزال موصفا بصفات الكمال واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال

ويدل علي دوامها وبقائها وانتفاء النقص والعدم عنها أزلا وأبدا ولهذا قال تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم " 0

وقال صلى الله عليه وسلم " إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام " الحديث

وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم فعلي هذين الاسمين الحي القيوم مدار الأسماء الحسنى كلها وإليها ترجع معانيها فإن الحياة مستلزمه لجميع صفات الكمال فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلي غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيره فلا قيام إلا بإقامته فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام 0

سبحانه وتعالى الحي الدائم وتعالى معي أخي الكريم كي ننظر إلي هذا الطعام الذي تأكله لا يسمع ولا يبصر ولا يتحرك ولا ينمو ولا يتنفس ولا يتزوج ولا ينام ولا يستيقظ فإذا دخل الطعام جسمك أصبح جسماً حياً يتصرف بالأوصاف السابقة وكذلك الحال في الحيوان وكذلك مواد الماء والتراب والهواء التي يتغذى بها النبات لا تنمو ولا تثمر ولا تتنفس ولا تتغذي فإذا دخلت جسم النبات تحولت إلي نباتات حية ذات بهجة فهذه الحياة التي تدب كل جسم تشهد أنها من صنع واهب الحياة سبحانه إن الحياة التي نفخت وتنفخ علي الدوام في الكائنات لا تكون إلا من الحي الدائم سبحانه وتعالى وكل حياة يهددها الموت متى جاءت أسبابه لكن خالق الأسباب لا تضره الأسباب فهو الحي الدائم الذي لا يموت " وتوكل علي الحي الذي لا يموت " سبحانه وتعالى حي لا يموت قيوم لا ينام فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة ولهذا كانت الحياة الدنيا متاع ولهو ولعب وكانت الدار الآخرة هي الحيوان فهي الحياة الدائمة وهي للمخلوق في الآخرة ولكن ينبغي أن يعلم بأن هذه الحياة الدائمة ليست الحياة الكاملة لأن الحي الذي الحياة صفة من صفات ذاته اللازمة

هو الذي وهب تلك الحياة الدائمة فهي دائمة بإدامة الله لها وليس أن الدوام وصف لازم لها لذاتها بخلاف حياة الرب تعالى فهي حياة كاملة وكذلك سائر الصفات فصفات الخالق كما يليق به وصفات المخلوق كما يليق به وإلي هذين الاسمين الحي القيوم مدار الأسماء الحسنى كلها فاقترانها يستلزم سائر صفات الكمال ويدل علي دوامها وبقائها وانتفاء النقص والعدم عنها أزلا وأبدا فسبحان الحي القيوم 0

وقوله (خالق رازق بلا حاجة , رازق بلا مؤنة)

سبحانه وتعالى متفرد بالخلق فما من مخلوق في السماوات والأرض إلا والله سبحانه خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه فهو خالق كل صانع وصنعته وخالق الكافر وكفره وخالق المؤمن وإيمانه والمتحرك والساكن وسكونه سبحانه وتعالى خلق الخلق وهو الغني عنهم وعن عبادتهم كما جاء في الحديث " يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنبكم كانوا علي أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر "

وإذا تأملنا في المخلوقات التي تولد في كل يوم من إنسان وحيوان ونبات وتفكرنا في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار وليل ونهار ونظرنا إلي ما يجري في كل حين من حركات منتظمة للمشمس والقمر والنجوم والكواكب إذا تأملنا في هذا وغيره من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود وفي هذه المخلوقات العظيمة فإن العقل يجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه القائل " أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون "

وهكذا نجد أن التفكر في المخلوقات يدل وجود الخالق سبحانه وتعالى وصفاته قال تعالى " الله خالق كل شيء وهو علي كل شيء وكيل " وقال تعالي " هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأني تؤفكون " وقال تعالى " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير " وقال تعالى " خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير " وقال تعالى " والله خلقكم وما تعملون " وقال تعالى " أفرأيتم ما تمنون أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون إلي قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم " وفي الحديث " ما أنا أحملكم ولكن الله حملكم " وفي حديث المصورين " ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرا " وحديث " من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ " وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة فلله الحمد وله الخلق وله الملك وهو علي كل شيء قدير 0

والآيات في هذا الباب كثيرة جداُ فهو سبحانه غني عن خلقه وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم بل هم المحتاجون إليه الفقراء إليه - أما قوله (رازق بلا مؤنه) سبحانه وتعالى هو الرازق ذو القوة المتين وكل شيء رزقه عليه لا رازق له سواه ولا يملك أحد لنفسه نفعاً ولا ضراًّ إلا ما شاء الله وجميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى فهو سبحانه رازقهم بلا مؤنة أي بلا ثقل ولا كلفة " قال تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " وقال تعالى " قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم " وقال تعالى " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا "



وقال تعالي ردا علي المنافقين " وهم الذين يقولون لا تنفقوا علي من عند سول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون "[1] وهو سبحانه المنفرد بالرزق لا رازق سواه ولا معط غيره فما من دابة في الأرض ولا في المساء إلا علي الله رزقها 0

فهو سبحانه الرازق والقوي المتين أي صاحب القوة الكاملة والقدرة التامة فلا يعجزه شيء ولا يخرج أحد عن سلطانه ومن قوته سبحانه وتعالي أن أوصل رزقه إلي جميع العالم ومن أسمائه تعالي المتين والمتانة تدل علي القوة فالله تعالى بالغ القوة والقدرة

– ولننظر إلي الإنسان عندما كان في رحم الأم التي هو في جوفها يتخلق لكن رحمة ربه الرزاق ساقت له الرزق ناضجا مهضوما من أنبوبة حبل السرة وعندما يخرج الطفل وينقطع حبل السرة يخرج الرزق غذاء ذلك الوليد من ثدي أمه ويلهمه استخراج ذلك الغذاء بمص الثدي وهو بعد لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ثم يرزق الله العباد من النباتات والأشجار التي تصنع الطعام من الماء والتراب والهواء ويسخر الله الشمس للنباتات لإتمام صنع الغذاء الذي يحتاجه الإنسان والحيوان وما كان للغذاء أن يوفر لولا أن الله يسوق الماء العذب ويهيئ التربة الصالحة للزراعة ويوجد الجو والظروف المناسبة لإنتاج الغذاء من النباتات قال تعالي " فلينظر الإنسان إلي طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا و قضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لك ولأنعامكم "[2] فإذا أكل الإنسان أو الحيوان الطعام وتم هضمه بما خلق الله لكل كائن من أجهزة الهضم ساقه الرزق إلي كل نقطه في جسم الكائن الحي سواء كانت وسط المخ أو علي سطح الجلد أو مخ العظام وصف الله القائل " أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجو في عتو ونفور "[3] إن الرزاق سبحانه هو الذي قد تكفل بالأرزاق فساق رزق الأسماك والبحار وساق رزق بعض الدود إلي جوف الصخر وساق رزق الأجنة إلي ظلمات

---

[1] سورة المنافقون آية (7)
[2] سورة عبس آية (24 : 32)
[3] سورة تبارك آية (21)

الأرحام وساق رزق جنين النبات إلي جوف البذرة قال تعالي " وما من دابة في الأرض إلا علي الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين "[4] " يا أيها الناس اذكروا نعمت علله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأني تؤفكون "[5] ومن أيقن أن رزقه موهوب له من خالقه فلن يقدر أحد علي سلبه رزقه ولن يخشى علي رزقه أحدا غير الله 0

واعلم بأن صفة الرزق وسعته قسمان :-

الأول : الرزق المطلق وهو ما استمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو رزق القلوب والعلم والإيمان والرزق الحلال 0

الثاني : مطلق الرزق العام لسائر الخلق برهم وفاجرهم والبهائم وغيرها وهو إيصال القوت إلي كل مخلوق وهذا يكون من الحلال والحرام والله رازقه قال ابن القيم رحمه الله تعالي 0

وكذلك الرزق من أسمائه	والرزق من أفعاله نوعان
رزق علي يد عبده ورسوله	نوعان أيضا ذات معروفان
رزق القلوب والعلم والأيمان	والرزق المعد لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا	رازقه والفضل للمنان
والثاني سوق القوت للأضاء	في تلك المجاري سوقها بوازن
هذا يكون من الحلال كما يكون	من الحرام كلاهما رزقان
واله رازقه بهذا الاعتبار	وليس باطلاق دون بيان

يقوا شيخ الإسلام ابن تيميه والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغني أبدا وصف له ذاتي0

(صفة الإماتة والبعث) وقوله (مميت بلا مخافة , باعث بلا معيشة)

[4] سورة الأنعام آية (38)
[5] سورة فاطر آية (3)

اعلم بأن الموت صفة وجودية قال تعالي (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " [1] فمن آثار قدرته علي كل شيء وتملكه المطلق للملك وتعريفه له أنه سبحانه خلق الموت والحياة والموت يشمل الموت السابق واللاحق للحياة واعلم بأن العدم لا يوصف بكونه مخلوقا وقد استدل بهذه الآية علي أن الموت صفة وجودية لأنه مخلوق فإن الله أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أن يختبرهم أيهم أحسن عملا وفي الحديث أنه " يؤتي بالموت يوم القيامة عل صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار " [2] وهو إن كان عرضا فالله يقبله عينا كما ورد في (العمل الصالح " بأنه يأتي يوم القيامة في صورة الشاب الحسن ، والعمل القبيح علي أقبح صورة " [3] وورد في القرآن آية " يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون " [4] وورد في لأعمال أنها توضع في الميزان والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الإعراض وورد بأن سورة البقرة وآل عمران أنهما يوم القيامة يظلان صاحبها كأنهما غمامتان أوغيايتان أو فرقان من طير صواف" [5] وورد أن أعمال العباد تصعد إلي السماء " أما قوله باعث بلا مشقة أي بلا كيفية وتعب سوف يأتي الكلام علي البعث والنشور فيما بع إن شاء الله تعالي (أزلية صفات الله) 0

أما قوله " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا "

اعلم بأن الله تعالي لم يزل متصفا بصفات الكمال وصفات الذات وصفات الفعل ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص 0 ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال وبعد أن كان موصوفا بضده 0

---

(1) سـورة الملك آيـة (2)
(2) أخرجه البخاري (4730) ومسليم (3749) وأحمد (9/3) والترمذي (3156) والطبراني في الكبير (13337) وابو نعيم فقي الحلية (183/8)
(3) أخرجه أحمد في المسند (287/4 , 295 , 296 ,) وسنده حسن وصححه الحاكم (37/1 , 40) وفي مسند الطيالس (753)
(4) رواه أحمد (348/5 , 352) وابن ماجه (3781) والدارمي (450/2 – 451) وابن عدي في الكامل (1/35) والحاكم (256/1) واسناده حسن وصححه الحاكم وابن ابي شيبة (10/ 492 - 493) والغوي (1190)
(5) رواه مسلم (1844 , 1845) وأحمد (348/5 , 352) والدرامي (450/2 – 451) وعبد الرازق (5991) وشرح السنة للنبوي (1193)

ولا يرد علي هذه الصفات الفعل والصفات الإختيارية ونحوها كالخلق والتصوير والأمانة والأحياء والقبض والبسط والاستواء والإتيان والمجيء والنزول والغضب والرضي ونحو ذلك مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا كما قال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالي (الرحمن علي العرش استوى) كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " يعني السؤال عن كيفية الاستواء وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة " إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله " [1] لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن أ ترى من تلكم اليوم وكان متكلما بالأمس لا يقال أنه حدث له الكلام فالساكت لغير آفة يسمي متكلما بالقوة بمعني أنه يتلكم إذا شاء وفي حال تكلمه يسمي متكلما بالفعل وأعلم بأن الله سبحانه وتعالي خلق للإنسان عقلاً يعقل به الحقائق ويعرف به الحق من الباطل والضار من النافع ومن أجل ذلك جعله عماد التكليف فمن فقد عقله رفع عنه القلم وجعل الله للعقل طاقات واسعة وجعل الله للإنسان قوة يتصور بها الأشياء ولكن قوة التصور هذه ضعيفة ومحدودة إذا طرق شخص الباب استطعت أن تدرك وتعقل أن طارقاً يطرق الباب ولكن تصورك يعجز أن يتصور من الطارق وحقيقة وما طوله وما عرضه وما لونه وما حجمه فقوة العقل اخترقت حاجز الباب فعقلت أن طارقاً موجوداً يطرق الباب فقط بينما عجزت قوة التصور وحسها حاجز الباب أن تنفذ , ولله المثل الأعلي فالعقل يؤمن بالله وقوة التصور تعجز عن تصور الله سبحانه وتعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [2] ومن فضل الله علينا أنه سبحانه بعلمه وحكمته قد عرفنا بنفسه في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

---

[1] أخرجه البخاري (3340 , 3361 , 4712) ومسلم (194) وأحمد (435/2 – 436) والترمذي (2434) وابن خزييمة في التوحيد (ص 243) وابو عوانة (171/1) وابن ابي عاصم في السنة (379/2 -) (811)

[2] سورة الشورى آية (11)

فعرفنا أنه له الأسماء الحسنى وصفات الكمال العليا ولا يمكن لأحد أن يصف الله بأحسن وأفضل مما وصف الله به نفسه كما أنه لا يمكن لأحد من المؤمنين أن ينتقص من صفات الله التي وصف نفسه بها سبحانه وتعالى ولقد جاءنا منه الوصف والبيان فنؤمن به سبحانه وتعالى ما وصف نفسه في كتابه العزيز وكما جاء في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أحد الإحاطة به سبحانه وتعالى فهو الكبير المتعال ولقد جاءت امرأة انجليزيه أسلم زوجها علي يد الشيخ عبد الله الحكيمي تجادل الشيخ فقالت إنها لا تؤمن بالله إلا إذا رأت الله بطوله وعرضه فقال لها الشيخ وهل تحبي زوجك هذا قالت نعم قال أنا لا أصدق قالت ولماذا قال لا أصدق أنك تحبي زوجك إلا إذا رأيت كيف هذا الحب وكم رطلا يزن وما لونه وما طوله وما عرضه فقالت له إن الحب موجود ولكنا لا نستطيع أن نعرف كيفيته 0

قال ولله المثل الأعلي فنحن نؤمن به وهو أعلي من أن نحيط به علما وكم من الأمور نؤمن بها ولا ندرك كيفيتها فهذا النوم يأتي ولا ندري كيف هو أو كيف يحدث وكذلك اليقظة والفرح والسرور وبل أغلب الناس لا يعرفون كيف الكهرباء وهم بها مؤمنون وهذا في كثير من الأمور 00

ونقول بأن ما ينزه الله عنه قسمان متصل ومنفصل وضابط المتصل نعي ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كل ما يضاد الصفات الكاملة وذلك المتصل الذي ينزه عنه الله مثل النوم والإعياء والتعب واللغوب والموت والجهل والظلم والغفلة والنسيان والسنة ومثال المنفصل الذي ينزه عنه الله جل وعلا الزوجة والشريك والكفؤ والظهير والشفيع بدون إذن الله والولي من الذل وضابط المنفصل تنزيه الله عن أن يشاركه أحد من الخلق في شيء من خصائصه التي لا تكون لغيره واعلم بأن الصفات تنقسم إلي قسمين ذاتية وفعلية فالذاتية هي التي لا تنفك عن الله مثل العين والنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه والكلام والقدم واليد والرجل والملك والعظمة والكبرياء والعلو والغني والرحمة والحكمة

وضابط الصفات الذاتية أنها الملازمة للذات ويقال هي التي لا ينفك البارئ عنها والصفات الذاتية الفعلية مثل الكلام والرحمة والمغفرة 0

أما صفات الفعل فهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة وصفات الفعل مثل الاستواء , و النزول والمجيء والعجب , والضحك , والرضي , والحب , والكره , والسخط , والفرح , والغضب , وهذا القسم قديم النوع حادث الآحاد ويقدر فيها وإذا شاء -

واعلم بأن القول في الصفات كالقول في الذات فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذاوات فله صفات لا تشبهها الصفات فيجب التصديق بها وإثباتها و امرارها كما جاءت من غير تكيف ومن غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف - وهذا هو المنقول عن سلف هذه الأمة فكلهم يتفقون علي الإقرار و الامرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعرض لتأويلها وقد أمرنا باقتضاء آثارهم والاهتداء بمنارهم 0

قال عمر بن عبد العزيز قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم على كشفها كانوا أقوى وبالفضل لو كن فيها أحرى فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف هيهم ورغب عن سنتهم وقد وصفوا منه ما يشغي وتكلموا منه بما يكفي 0

وقال الإمام الشافعي آمنت بالله وبما جاء عن الله علي مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علي مراد رسول الله 0

وقال الإمام أحمد نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف ولا معني ولا نرد شيئاً منها ونعلم أن ما جاء به الرسول حق وصدق و لا نرد علي سول الله ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ليس كمثله شيء وهو السميع البصير 0

وقال الأوزاعي عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعه ودعا الناس إليها هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعل أم لم يعلموها قال لم يعلموها قال فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته قال الرجل فإني أقول قد علموها قال فوسعهم أن لا يتكلموا به ويدعوا الناس إليه أم لم يسعهم قال بلى وسعهم قال فشيء وسع رسول الله وخلفاءه لا يسعك أنت فانقطع الرجل فقال الخليفة لا وسع الله علي من لم يسعه ما وسعهم 0

واعلم بأنه قد يقول بعض الناس بأن الصفة ليست هي عين الموصوف ولا غيره, وهذا له معنى صحيح وهو أن الصفة ليست ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها وليست غير الموصوف بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد فإن قلت أعوذ بالله فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجه وإذا قلت أعوذ بعزة الله فقد عزت بصفة من صفات الله ولم تستعذ بغير الله وهذا المعني يفهم من لفظ الذات فإن الذات في أصل معناها لا تستعمل إلا مضافة أي ذات قدرة , ذات عز , ذات علم . ذات كرم إلي غير ذلك من الصفات فعلم بذلك أن الذات لا يمكن ولا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه 0

واعلم بأنه قد ورد في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " [(1)] وقال أيضا " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " [(2)] وقال كذلك " اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من

[(1)] أخرجه مسلم (2202) ومالك في الموطأ (2/942/2) وزأبو داود (3891) وأحمد (217/4 , 39/6) والحاكم (343/1) والترمذي في الطب (2080) وابن ماجه في الطب (3522) والطيالس (941) والطبراني في الكبير (8340) والبغوي (1416)

[(2)] أخرجه مسلم (2708 , 2709) وابو داود (3898 , 3899) والبخاري (3191) والترمذي (3437) وابن ماجه في الطب (3547) و أحمد (377/6, 409) والنسئي في اليوم والليلة (560) والطبراني (603/24-607) والبغوي (1347) ومالك (951/2 , 978) والدارمي (289/2) وفي الد علي الجهمية (صـ 92) وابن ابي شيبة (418/10)

عقوبتك وأعوذ بك منك " [3] وقال أيضا " ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا " (4)

واعلم بأن المضاف إلي الله نوعان الأول صفات لا تقوم بنفسها كعلم الله وحياته وإرادته وعزته وسمعه وبصره ويده وقدرته وكلامه ووجهه نفسه فهذا إذا وردت مضافاته إليه فهي من باب إضافة الصفة إلي الموصوف لامتناع قيام الصفة بنفسها 0

الثاني : أعيان قائمة بنفسها كبيت الله وناقة الله وعبد الله وروح الله فهي أعيان قائمة بنفسها وإضافتها إلي الله تقتضي الاختصاص والتشريف وهي من جملة مخلوقات الله 0

والشيخ رحمه الله تعالي أشار بقوله مازال بصفاته قديما قبل خلقه إلي آخر كلامه إنما هو رد على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة فإنهم قالوا أنه تعالي صار قادرا علي الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادرا عليه لأن الفعل والكلام صار ممكنا بعد أن كان ممتنعاً وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلي الإمكان الذاتي فالأشعرية ومن وافقها قالوا أن الفعل صار ممكنا له بعد أن كان ممتنعا منه 0

وأما الكلام عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحد لازم لذاته 0

وأصل هذا الكلام هو من الجهمية فإنهم قالوا إن دوام الحوادث ممتنع وأنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ لامتناع حوادث لا أول لها فيمتنع أن يكون البارئ عز وجل لم يزل فاعلا متكلماً بمشيئة بل يمتنع أن يكون قادرا علي ذلك لأن القدرة علي الممتنع ممتنعة وهذا فاسد منهم يقولون بأنهم لا يسلمون بأن امكان الحوادث لا بداية له ويرد عليهم فيقال بأن امكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا بداية له لأنها ليست قديمة النوع بل يجب حدوثها أو حدوث نوعها ويمتنع قدم نوعها ولا يجب

---

[3] اخرجه مسلم (1071) وابو داود في الصلاة (879) وابن ماجه (3841) والنسائي في الصلاة (2 : 210) (102/1 , 103) والترمذي (3493) والبغوي (1366) واحمد (8/6 , 201) وابي بن شيبة (10/ 191)

[4] أخرجه أبو داود (5074) و أحمد (52/2) يسند صحيح والنسائي (282/8) وابن ماجه (3871) والطبراني في الكبير (13297) والبيهقي في الأسماء والصفات (صـ 138) والبخاري في الادب (698 : 1200) وابن حبان (2356) وصححه الحاكم (517/1 , 518) ووافقه الذهبي 0

الحدوث في وقت بعينه والحاصل أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا أو في المستقبل فقط أو في الماضي فقط علي ثلاثة أقوال أصحها قول أئمة الحديث وهو أنه يمكن دوامها في المستقبل والماضي ولا شك أن جمهور العالم يقولون أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق كائن بعد أن لم يكن وهذا قول الرسل وأتباعهم 0

واعلم بأن تسلسل الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الله سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء فكذلك تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه هو الأول الذي ليس قبله شيء فإن الله سبحانه وتعالي لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء ويتكلم إذا شاء قال تعالي " كذلك الله يفعل ما يشاء " [1] وقال " ولكن الله يفعل ما يريد " [2] وقال تعالي " فعال لما يريد " وقال تعالي " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله " [3] وقال سبحانه " قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا " [4] فاعلم بأنه إذا كان الفعل صفة كمال فدوامه دوام كمال وكل ما سوى الله تعالي محدث كائن بعد أن لم يكن والله سبحانه وتعالي متقدم علي كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له فلكل مخلوق أول والخالق سبحانه لا أول له فهو وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن واعلم بأن الله سبحانه وتعالي هو الحي لفعال لما يريد فإنه تعالي لم يزل متكلما إذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت وهكذا أفعاله التي هو من لوازم حياته فان كل حي فعال والفرق بين الحي والميت الفعل وكل حي فعال ولم يكن ربنا تعالى قط في وقت من الأوقات معطلا عن كماله من الكلام والإرادة والفعل سبحانه وتعالى تعالى عن الضد والند والشبيه والمثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

[1] سورة آل عمران آية (40)
[2] سورة البقرة آية (253)
[3] سورة لقمان آية (27)
[4] سورة الكهف آية (109)

تنزيــه الله تعالــى لصفاتــه

وقولـه (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالـق ولا بإحداثه البريـه استفـاد اسم البـارئ) يقصـد الشيـخ من ذلـك مـع تسلسـل الحـوادث فـي الماضـي ولا يمنعـه فـي المستقبل 0

واعلم بأن الله سبحانه وتعالي هو الحي وحياته سبحانه حياة دائمة فإنه سبحانه لم يزل حيا والفعل من لـوازم الحياة فلم يزل سبحانه فاعلا لما يرد كما وصف نفسه بذلك حيث يقول " ذو العرش المجيد فعال لما يريد " [5] فدلت الآيـة علـي أنـه سبحانـه وتعالـي يفعل بإرادتـه ومشيئتـه وأنـه سبحانـه لـم يزل كذلك لأن ذلك من أوصاف كمالـه ونعوت جلالـه لأن ساقـه في معرض المدح والثنـاء علـي نفسـه وأن ذلك من كمالـه سبحانـه " أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون " [6]

ثالثا : أنه سبحانـه إذا أراد شيأً فعلـه ودلت أيضا علـي أن فعلـه وإرادتـه متلازمـان فما أراد أن يفعل فعل وما فعلـه فقد أراده لأنـه سبحانـه هو وحده الفعال لمـا يريـد بخـلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل وقد يفعل ما لا يريده –

رابعا : أنـه سبحانـه يريـد علـي الدوام ويفعل ما يريـد ففيهـا إثبـات إيرادات متعددة بحسب الأفعال وأن كل فعل له إرادة تخصه 0

سادسا : أن كل مـا صح تتعلق بـه إرادتـه جاز فعلـه فإذا أراد أن ينزل كل ليلـة إلـي سمـاء الدنيـا , وأن يجـيء يوم القيامـة لفصل القضاء , وأن يُـري عبـاده نفسـه , وأن يتجلـى لهـم كيـف شـاء ويخاطبهـم , ويضحـك إليهـم , وغيـر ذلـك ممـا يريـد سبحانـه لم يمتنـع عليـه فعلـه فإنـه تعالـى فعـال لمـا يريد 0

---

[5] سـورة البروج آيـة (15 : 16)
[6] سـورة النحـل آيـة (17)

وإنما يتوقف صحة ذلك علي إخبار الصادق به فإذا أخبر وجب التصديق فإن الله سبحانه وتعالي كل يوم هو في شأن سبحانه وتعالي , ويجب أن نعرف دائما وأبدا بأن الفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى كما أن الغني وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالي فهو غني لذاته والناس علي قولان في هذا العالم واختلفوا في أول هذا العالم ما هو قد قال تعالي " وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علي الماء " [1]

وروى البخاري عن عمر أن بن حصين رضي الله عنه قال قال أهل اليمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال كان الله ولم يكن شيء قبله "

وفي رواية " ولم يكن شيء غيره " وكان عرشه علي الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض وفي لفظ " ثم خلق السماوات والأرض "[2] فقوله كتب في الذكر يعني اللوح المحفوظ كما قال تعالي " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر " [3]

والمراد في هذا الحديث إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى علي العرش كما أخبر القرآن بذلك في غير موضع فقد أخبرهم إلي ما هو حاضر موجود مشهود 0وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " قدر الله تعالي مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علي الماء" [4] فأخبر صلى الله عليه وسلم أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وأن عرش الرب تعالى كان حينئذ على الماء) فعلم أن

---

(1) سورة هـود آيـة (7)

(2) أخرجه البخاري (7418 , 3191) والبيهقي (6 , 270) ورواه أحمد (431/4 , 432) وابن خزيمه في التوحيد (صـ 376) والدرامي في الرد علي الجهمية (صـ 14) والطبراني في الكبير (182/8)

(3) الأنيـاء آيـة (105)

(4) أخرجه مسلم (6624) (2653) وأحمد (169/2) والبيهقي في الاسماء والصفات (269) والترمذي في القدر (2156)

المراد أنه لم يكن شيء من هذا العالم المشهود فقد أخبرهم صلى الله عليه وسلم عن بدء خلق السماوات والأرض وما بينهما وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام لا ابتداء خلق ما خلقه الله قبل ذلك فالعرش كما هو معلوم مخلوق قبل خلق السماوات والأرض وإنما أخبرهم صلى الله عليه وسلم عن بدء خلق هذا العالم الموجود المشهود فأخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه علي الماء وقوله " له معني الربوبية ولا مربوب ومعني الخالق ولا مخلوق وكما أنه محي الموتي بعدما أحياه استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم " يعني أنه تعالي موصوف بوصف الرب قبل أن يود مربوب وموصف بأنه خالق قبل أن يوجد مخلوق فكما أنه سبحانه وتعالي موصوف بأنه محي الموتي قبل إحيائهم فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم فهو سبحانه وتعالي لم يزل يفعل ما يشاء .

ثبوت صفاته تعالى وقدره

وقوله (ذلك بأنه علي كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلي شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ذلك إشارة ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه – واعلم بأن الكلام علي كل وشمولها ومشمول كل في كل مقام بحسب ما يحتف به من القرائن لأنه قد أخطأ كثير من أهل الفرق في فهم معناها وحرفوها عن معناها المفهوم فأما أهل السنة فعندهم أن الله علي كل شيء قدير وكل ممكن فهو مندرج في هذا واعلم أن الأصل هو الإيمان بربوبيته العامة التامة فأنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر علي تلك الأشياء ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من أمن بأنه علي كل شيء قدير فهكذا هدى الله أهل السنة إلي الحق فعرفوه والتزموه 0

أما المعتزلة فقد حرفت المعني المفهوم من قوله تعالي " والله علي كل شيء قدير "[1] فقالوا أنه قادر علي كل ما هو مقدور له , وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها فسلبوا صفة كمال قدرته سبحانه وتعالي علي كل شيء واعلم بأن الله سبحانه وتعالي يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه وقد يذكره ويخبر به كقوله تعالي " إن زلزلة الساعة شيء عظيم "[2] فيكون شيء في العلم والذكر والكتاب لا في الخارج كما قال تعالي إنما أمره " إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون "[3] قال تعالي " وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً "[4] أي لم تكن شيئا في الخارج وإن كان شيئا في علمه تعالي وقال تعالي " هل آتي علي الإنسان حينا من الدهر لم يكن شيئا مذكورا "[5] أما قوله " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "[6] في هذه الآية رد على المشبهة والمعطلة فإنه سبحانه وتعالي موصوف بصفات الكمال وليس له فيها شبيه فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره ولا يلزم من أثبات الصفة تشبيه إذ صفات المخلوق كما يليق به وصفات الخالق كما يليق به 0

واعلم بأن معنى الآية والله تعالى أعلم أنه تعالي ليس يشبهه ولا يماثله شي من المخلوقات لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله لأن أسمائه كلها حسنى وصفاته صفات كمال وعظمة وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك فليس كمثله شيء لانفراده وتوحده بالكمال من وجه ومن فهم هذه الآية الكريمة وتدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله تعالى وهو السميع البصير فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للماثل قد اشتمل علي برد اليقين وشفاء الصدور و إنثلاج القلوب فبهذه

---

[1] سورة البقرة آية (284)
[2] سورة الحج أية (1)
[3] سورة يس آية (82)
[4] سورة مريم آية (9)
[5] سورة الأنسان آية (1)
[6] سورة الشورى آية (11)

الحجة والبرهان القوي يتحطم كثير من البدع ويرغم بها أنوف طوائف من القاصرين المتكلمين والمتكلفين المتأولين ولا ثيما إذ ضم إليه قوله سبحانه " ولا يحيطون به علما " وقوله و " وهو السميع البصير " أي وهو السميع لما ينطق به خلقه علي اختلاف لغاتهم وتغني حاجتهم البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات فيرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء علي الصخرة الصماء ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغير وسريان الماء في الأعضاء : قال بعضهم :

يا من يرى /تد البعوض جناحها *** في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها *** والمخ في تلك العظام النحل
أمنن علي بتوبة تمحو بها *** ما كان مني في الزمان الأول

فلا تنف عن الله ما وصف به نفسه وما وصفه به أرف الخلق بربه وما يحب له وما يمتنع عليه وأنصحهم لأمته وأفصحهم وأقدرهم علي البيان فإنك إن نفيت شيئا من ذلك كنت كافراً بما أنزل علي محمد صلى الله عليه وسلم وإذا وصفته بما وصف به نفسه فلا تشبهه بخلقه فليس كمثله شيء وهو السميع البصير فإذا شبهته بخلقه كنت كافرا به قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصف به رسوله تشبيها ومن لم يتوق النفي والتشبيه ولم يصب التنزيه واعلم بأن التحريف على مراتب منه ما يكون كفرا ومنه ما يكون فسقا وقد يكون معصية وقد يكون خطأ 0



وفي هذه الآية وصف الله نفسه بأن له المثل الأعلى كما قال تعالي " للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى " [1] وقال تعالى " وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم " [2]

فجعل سبحانه وتعالى مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال لأعدائه المشركين وأوثانهم وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمال كله لله وحده فمن سلب صفة الكمال عن الله تعالى فقد جعل له مثل السوء ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى عن غيره و لله سبحانه وتعالى المثل الأعلى لما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل كان له المثل الأعلى وكان أحق به من كل ما سواه فالله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى الذي يتضمن أولا إثبات الصفات العليا لله سبحانه وتعالى سواء علمها العباد أو لا

ثانيا : وجودها في العلم والشعور فإن ما في قلوب عابديه وذاكريه من معرفته ومحبته وجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشركه فيه غيره أصلا بل يختص به في قلوبهم كما اختص به في ذاته 0

ثالثا : ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهها عن العيوب والنقائص والتمثيل

رابعا : محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه والإنابة إليه وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص أقوى ، فمن أضل ممن يعارض بين قوله تعالى " وله المثل الأعلى " وبين قوله " ليس كمثله شيء " ويستدل بها علي نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية وهي قوله تعالى " وهو السميع البصير " وفي هذه الآية رد على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ورد

[1] سورة النحل آية (60)
[2] سورة الروم آية (27)

على المعطلة وهم الذين ينفون الصفات كالجهمية وفيها رد على المعتزلة ونحوهم ممن يثبتون الأسماء دون الصفات فيقولون سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وفيها أيضا رد على الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات ويؤولون البعض الأخر وهم متناقضون في كلامهم غاية التناقض فإن من لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه 0

واعلم بأن بعض الناس يجيء في كلامهم وهو علي ما يشاء قدير وليس ذلك بصواب بل الصواب ما جاء في الكتاب والسنة وهو علي كل شيء قدير لعموم مشيئته وقدرته تعالى خلافاً لأهل الإعتزال الذين يقولون إن الله سبحانه وتعالي لم يرد من العبد الوقوع في المعاصي بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله لأنهم لم يهتدوا إلي معرفة الحق في هذه المسألة فلم يعرفوا الصواب وهدى الله أهل السنة إلي الحق فعرفوه و التزموه ودعوا إليه أما قوله (خلق الخلق بعلمه)

علم الله وقدرته مع بيان صفة الخلق

مراده رحمة الله تعالى إثبات صفة العلم وهي من الصفات الذاتية التي لا ينفك البارئ عنها فهو سبحانه يعلم ما يدخل في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها قال تعالي " يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير " [1] فالجميع في علمه علي السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم فهذه معية العلم والإطلاع والإحاطة وقال تعالي " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين " [2] هذه الآية

[1] سورة الحديد آية (4)
[2] سورة الأنعام آية (53 : 60)

العظيمة من أعظم الآيات تفصيلا لعلم الله المحيط فهو سبحانه وتعالي عنده خاصة مخازن ومفاتيح الغيب التي يتوصل بها إليه فهو الذي يحيط بها علماء وسواه جاهل لا يعلم منها شيئا إلا ما أعلمه الله فالله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة والأحوال الظاهرة و الباطنة والرطبة واليابسة وأنه سبحانه لا يعزب عن علمه شيء في الزمان ولا في المكان ولا في البر ولا في البحر ولا في الجو ولا في الأرض 0

روى البخاري عن سلام بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل (مفاتيح الغيب خمس أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا أو ما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير " [3]

وقال تعالي " لتعلموا أن الله علي كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما " [4]

أي أنه سبحانه وتعالى بالغ القدرة لا يعجزه شيء فهذا عام يتناول أفعال العباد من الطاعات وكل شيء ومن قدرته أنه علي كل شيء قدير فإذا شاء فعل من غير مانع ولا معارض ومن أسمائه تعالى القدير فجميع الأشياء منقادة لقدرته تابعة لمشيئته ولا يخرج عن علمه شيء منها كائنا ما كان وفي هذه الآية إثبات صفة العلم لله سبحانه وتعالى وإذا كان في المخلوقين من هو عالم والعلم صفة كمال فلو لم يكن سبحانه وتعالى عالما لكان في المخلوقات من هو أكمل منه , والعلم في المخلوق استفادة من الخالق وواهب الكمال أحق به وفاقد الشيء لا يعطيه فإن الذي لا يملك مالاً لا يطلب الناس منه المال والجاهل لا يأتي منه العلم ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه 0

---

[3] البخاري (4778)
[4] سورة الطلاق آية (12)

وبالتفكر رأينا العلامات والآيات في المخلوقات التي تعرفنا بصفات الخالق سبحانه وإذا عرفنا الصفات عرفنا الموصوف لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم عليم خبير هاد رازق حافظ رحيم واحد أحد ومن هنا يمكن الرد علي الذين يزعمون أن الطبيعة خلقتهم والطبيعة الصماء الجامدة لا تملك علماً ولا حكمة ولا حياة ولا رحمة ولا إرادة فكيف ظن الجاهلون هذا الظن وفاقد الشيء لا يعطيه 0 وإذا تأملت في أجنة الحيوانات سترى العيون تخلق في أرحام الأمهات حيث الظلام الشديد مع أن العيون لا ترى إلا في الضوء فيشهد ذلك الذي أن الذي يخلق العيون يعلم أن تلك الأجنة ستخرج إلي عالم فيه النور , وهكذا يشهد خلق الأجنة للطيور داخل البيض أن الخالق يعلم أنها ستطير في الهواء فخلق لها الأجنحة قبل ولادتها وهكذا كل مخلوق نرى خلقه وهو جنين قد أد بما يناسب ظروف الحياة التي سيعيش سفيها حتى جنين الشجرة (البذرة) يهيئه الله بجزء يكون الأوراق والأغصان وجزء يضرب في الأرض لامتصاص الماء والتراب (الأملاح) ولا يكون ذلك إلا من صنع من يعلم أن النبات سيحتاج إلي الماء والتراب والضوء والهواء 0

وإذا رأيت الذكور تخلق فسترى أن الخالق قد علم أعدادها فخلق لها من الإناث ما يكافئ تلك الأعداد وسيشهد لك ذلك أنه من صنع العليم سبحانه قال تعالي " ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون " [1] والماء العذب إذا كان راكدا تعفن ولكن العليم بذلك جعل البحار مالحة وجعل موجها (متحركا حتى لا تفسد الحياة على الأرض بعفونة البحر 0

هذا وكل ما في الكون يشهد بأن الخالق لهذا الكون لا شك عليم بما يخلق سبحانه وهو القائل " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " [1] وعلم الله محيط بكل شيء لم يسبقه جهل ولا يدخل عليه نسيان قال تعالى " لتعلموا أن الله علي كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما " [2]

---

[1] سورة الفرقان آية (2)
[1] سورة تبارك آية (14)
[2] سورة تبارك آية (12)

فيقال في علم الله بأنه غير مكتسب فهو سبحانه محيط بكل شيء ولا يطرأ عليه ما يزيله أو ينقصه وعلم المخلوق ليس كذلك من جميع الاعتبارات فهو مكتسب حصله بعد أن لم يكن وهو جزئي قاصر وسيطرأ عليه ما يزيله أو ما ينقصه ويضعفه قال تعالى " فبشرناه بغلام عليم " لكن هل العليم كالعليم " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " [3]

واعلم الدليل العقلي على علمه تعالي وهو أنه يستحيل " إيجاده الأشياء مع الجهل وإيجاده الأشياء بإرادته تستلزم تصور المراد وتصور المراد هو العلم بالمراد فالإيجاد مستلزم للعلم ولأن المخلوق فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع ألا يكون الخالق عالماً لأن الخالق سبحانه وتعالي أكمل من المخلوق بل هو سبحانه وتعالي واهب المخلوق هذا العلم فهو سبحانه أحق بهذه الصفة وهي صفة العلم الذي هو صفة كمال والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى فسبحان العليم بالأشياء جملة وتفصيلا ومن عنده علم ما كان وما هو كائن إلي يوم القيامة وما يكون قبل ذلك وبعده – بل نقول بأن كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق أحق , وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتر به الخالق أولي 0

وقد ناظر الإمام عبد العزيز المكي صاحب الإمام الشافعي رحمه الله ناظر بشراً المريسي عند المأمون فسأل الإمام عبد العزيز المكي بشراً عن علم الله تعالى فقال بشر لا يجهل ولا يعترف له أنه عالم بعلم فقال الإمام عبد العزيز نفى الجهل لا يكون صفة مدح فإن هذه الأسطوانة لا تجهل وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم لا ينفي الجهل بمن أثبت العلم فقد غنى الجهل ومن غني الجهل لم يثبت العلم وعلي الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه ونيفوا ما نفاه ويمسكوا عما أمسك عنه وقوله " وقدر لهم أقدارا " " وضرب لهم آجالا " "

---

[3] سورة الشورى آية (11)

تقدير الأقدار وضرب الآجال

قال تعالى " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " [1] وقال تعالى " أن كل شي خلقناه بقدر " [2] وقال تعالى " وكان أمر الله قدرا مقدورا " [3] وقال تعالى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى " [4] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " قدر الله بمقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علي الماء " [5]

وقد قدر الله سبحانه وتعالى آجال الخلائق بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال تعالى " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " [6]

وقال تعالى " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا " [7]

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها اللهم أمتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي سفيان وبأخي معاوية قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم " قد سألت الله أجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيء قبل أجله ولن يؤخر شيئا عن أجله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار وعذاب في القبر كان خيرا وأفضل " [8] فالمقتول ميت بأجله فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض وهذا بسبب القتل وهذا بسبب الهرم وهذا بسبب الحرق وهذا بالغرق إلي غير ذلك من الأسباب والله سبحانه خلق الموت والحياة وخلق سبب الموت والحياة 0

---

[1] سورة الفرقان آية (2)
[2] سورة القمر آية (49)
[3] سورة الاحزاب آية (145)
[4] سورة الأعلي آية _(2:3)
[5] تقدم تخرجه
[6] سورة النحل آية (61)
[7] سورة آل عمران آية (145)
[8] أخرجه مسلم في القدر (262 , 263) والنسائي في اليوم والليلة



واعلم بأن القصاص والضمان على القاتل لارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور وعلي هذا يخرج قوله صلى الله عليه وسلم " صلة الرحم تزيد من العمر " أي سبب طول العمر لم يصل إلي هذه الغاية ولكن قدر هذا السبب وقضاه وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلي كذا 0

وقد عرفنا من حديث أم حبيبة أن الأعمار مقدرة لم يشرع الدعاة بتغيرها بخلاف النجاة من عذاب الآخرة فإن الدعاء مشروع له نافع فيه وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك علي الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خير لي " الدعاء 0

ويؤيد هذا الحديث الأخر الذي فيه " لا يرد قدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر " وفي الحديث رد علي من يظن أن النذر سبب لدفع البلاء وحصول النعماء وقد ثبت في الصحيحين عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وأنه يستخرج به من البخيل " واعلم بأن الدعاء يكون مشروعا نافعا في بعض الأشياء دون بعض وكذلك هو ولهذا لا يجيب اللـه المعتدين في الدعاء , وكان الأمام أحمد يكره أن يدعى له بطول العمر ويقول هذا أمر قد فرغ منه 0

(علم الله بخلقه وما هم عاملون قبل أن يخلقهم "

أما قوله ولم يخفى عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته " ذلك بأنه سبحانه وتعالي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون كمال قال تعالى " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه " وإن كان سبحانه وتعالى يعلم أنهم لا يردون ولكن أخبر أنه لو ردوا لعادوا كما قال تعالى " ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولا أسمعهم لتولوا وهم معرضون " وفي ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا أنه لا يعلم الشيء قبل يخلقه ويوجده , ثم ذكر الشيخ بعد أن ذكر الخلق والقدر ذكر بعد ذلك الأمر والنهي

إشارة إلي أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " ومعنى الآية أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته فهذا هو الحكمة في خلقهم ولم يرد منهم ما تريده السادة من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق 0

والإطعام بل هو الرزق ذو القوة المتين الذي يطعم ولا يطعم كما قال تعالى " قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين " وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وتر المحظور وذلك هو حقيقة دين الإسلام لأن المعنى الحقيقي للإسلام هو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في معني الآية إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم لعبادتي وقال مجاهد إلا لأمرهم وأنهاهم قال تعالى " أيحسب الإنسان أن يترك سدى " قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى وقد أمرنا الله بما خلقنا له وعبادته سبحانه وتعالى فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق العباد ليعبدوه العبادة الشرعية وهي طاعته وطاعة رسله لا ليضيعوا حقه الذي خلقهم له فالله سبحانه وتعالى ما خلقهم إلا للعبادة ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون وهو سبحانه المستحق للعبادة وحده لا شريك له والآية دالة على وجوب اختصاص الخالق تعالى بالعبادة لأنه هو الذي ابتدأ خلقهم والإنعام عليهم بقدرته ومشيئته ورحمته من غير{ سبب منك أصلا وما فعله سبحانه لا يقدر عليه غيره ثم إذا احتجت إليه في جلب رزق أو دفع ضر ولا شك أنا جميعا بل جميع المخلوقات مفتقرة إليه محتاجة إليه وهو الذي يأتي بالرزق ولا يأتي به غيره وهو الذي يدفع الضر لا يدفعه غيره كما قال تعالى " آمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور "

وهو سبحانه ينعم عليك ويحسن إليك بنفسه فإن ذلك موجب ما تسمى به ووصف به نفسه إذ هو الرحمن الرحيم الودود المجيد و هو قادر بنفسه وقدرته من لوازم ذاته وكذلك رحمته وعلمه وحكمته÷ لا يحتاج إلي خلقه بوجه من الوجوه بل هو الغني عن العالمين فالله سبحانه غني بنفسه وما يستحقه من صفات الكمال ثابت له بنفسه وواجب له من لوازم ذاته لا يفتقر في شيء من ذلك إلي غيره ففعله وإحسانه وجوده من كماله لا يفعل شيئاً لحاجة إلي غيره بوجه من الوجوه بل ما يريد فعله فإنه فعال لما يريد وهو سبحانه بالغ أمره فكل ما يطلبه فهو يبلغه وينااله ويصل إليه وحده ولا يعينه أحد ولا يعوقه أحد وليس له ولي من الذل 0
قال تعالي " " الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملا "

عموم قدرة الله تعالى ومشيئته

أما قوله " وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته و مشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن " يعني أن مشيئته تعالى وإرادته شاملة لكل ما يقع في هذا الكون من خير أو شر أو هدى أو ضلال والآيات علي ذلك كثيرة معروفة منها قال تعالي " وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما "
وقال تعالى " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا "
وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام إذ قال لقومه " ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم " وقال تعالى " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " إذ غير ذلك من الأدلة علي أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكيف يكون في ملكه ما لا يشأ ومن أضل سبلا وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر والكافر شاء الكفر فغلبت مشيئة الكافر



مشيئة الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا قال تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن من كان أهلا بإرادة الله وتقديره لقبول دعوة الإسلام الذي هو دين الفطرة والهادي إلي طريق الحق والرشاد وجد لذلك في نفسه انشراحا واتساعا بما يشعر به قلبه من السرور فلا يجد مانعا من النظر الصحيح فيما ألقي إليه فيتأمله وتظهر له عجائبه وتتضح له دلائله فتتوجه إليه إرادته ويدعو له قلبه بما يرى من ساطع النور الذي يستضيء به له ويباهر البرهان الذي يتملك نفسه - ولذلك قيل بأن علامة انشراح الصدر هو نور يقذف فيه فينشرح له وينفتح قالوا وأمارة ذلك هو الإنابة إلي دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت 0

وأما من فسدت فطرته بالشرك وتدنست نفسه بالآثام والذنوب يجد في صدره ضيق لما استحوذ على قلبه من باطل التقاليد والاستكبار عن مخالفة ما ألفه وصار عليه أكثر الناس وضعف إرادته عن ترك ما هو عليه فتكون إجابته للداعي إلي دين الإسلام والتمسك به ثقيلة وهذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه بقوله فمثله في امتناعه عن قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلي السماء وعجزه عنه لأنه ليس في وسعه وطاقته الوصول إليه ومن هذا نعلم بأن الهداية والضلال بيد الله وأن العباد مفتقرون إلي ربهم في كل شيء وأن العباد لا يمتلكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً وأن من تفرد بالخلق والرزق هو المستحق أن يفرد بالإلهية والعبادة والسؤال وأنه ليس عند أحد من هداية القلوب وتفريج الكروب شيء لا الأنبياء ولا الملائكة ولا غيرهم وفيها إثبات الإرادة الكونية القدرية المرادفة للمشيئة وأيضا إثبات صفة العلم وأنه سبحانه وتعالى أعلم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الضلال 0

فإن قيل ما هو الجواب علي قوله تعالي " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا "[1] وقوله تعالي " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء " [2] وقوله تعالي وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون " [3] فقد ذمهم الله تعالي حيث جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله وكذلك ذم إبليس حيث أضاف الإغواء إلي الله تعالي إذ قال " رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض و لأغوينهم أجمعين " [4] فإن الله أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته وقالو لو كره ذلك وسخطه ما شاءه فجعلوا مشيئته دليل رضاه فرد الله عليهم ذلك أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به أو أنه أنكر عليهم معارضته شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر فلم يذكروا المشيئة علي جهة التوحيد وإنما ذكروها معارضين بها لأمره دافعين بها الشرع كفعل الجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر وقد احتج سارق علي عمر رضي الله عنه بالقدر فقال وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره 0ويشهد لذلك قوله تعالي " كذلك كذب الذين من قبلهم " [5] فعلم أن مرادهم التكذيب فهو من قبل الفعل من أين له أن الله لم يقدره أطلع الغيب – وأما قول ابليس "رب بما أغويتني " إنما ذم علي احتجاجه بالقدر لا على اعترافه بالمقدر وإثباته له ألم تسمع قول نوح عليه السلام لقومه " ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون " [6] ولقد أحسن القائل 0

فما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن تشأ لم يكن

---

(1) سورة الأنعام آية (148)
(2) سورة النحل آية (35)
(3) سورة الزخرف آية (20)
(4) سورة الحجر آية (39)
(5) سورة الأنعام آية (148)
(6) سورة هود آية (34)



واعلم بأنه قد يقال لذلك ماذا تقول في احتجاج آدم علي موسى عليهما السلام بالقدر إذا قال له أتلومني على أمر قد كتبه الله علي قبل أن أخلق بكذا وشهد النبي ﷺ أن آدم حج موسى أي غلبه بالحجة - نقول بأن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر وهو كان أعلم بربه وبما فعله من الذنب وكذلك موسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم علي ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه وغنما وقع اللوم علي المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم بالقدر علي المصيبة لا علي الخطيئة فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضى بالله ربا وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب وإذا أذنب فعليه أن يستغفر فيتوب من المعائب ويصبر علي المصائب قال تعالي " فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك "[7] وقال تعالي " وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا "[8]

واعلم بأن المقصود هو الرد علي المعتزلة النافين لعموم مشيئته تعالي لكن يجب أن يعلم أنه لا يلزم من ذلك أن الله يحب كل ما يقع فالحب غير الإرادة و إلا كان لا فرق عند الله بين الطائع والعاصي وهذا ما صرح به بعض القائلين بوجوده الوجود من أن كلا من الطائع والعاصي مطيع لله في إرادته 0 ومذهب السلف والفقهاء من أهل السنة علي التفريق بين الإرادة والمحبة - ثم إن القدرية قالوا هو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يريد ذلك فيكون ما يشأ ويشاء ما لم يكن وقالت طائفة من المثبتة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وإذن فقد أراد الكفر والفسوق والعصيان ولم يرده ديناً أو أراده من الكافر ولم يرده من المؤمن فهو لذلك يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يحبه دينا – ويحبه من الكافر ولا يحبه من المؤمن وكلا القولين خطأ مخالف

---

[7] سورة المؤمنون آية (55)
[8] سورة آل عمران آية (120)

للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون علي أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته فالله سبحانه وتعالي لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر والكفار يبتغون ما لا يرضى من القول " وأنه تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضاه ولا يحبه فيشاؤه كوناُ ولا يرضاه ديناً لأن كل شيء بقضاء الله وقدره وأنه تعالي يخلق أفعال العباد قال تعالي " إنا كل شيء خلقناه بقدر "[1] وقال سبحانه " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " [2]

وقوله " يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا 0 ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله " " وهو متعال عن الأضداد و الأنداد " لا مراد لقضائه ولا معقب لحكمته ولا غالب لأمره " آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلاً من عنده "

يقصد الشيخ بذلك الرد علي المعتزلة الذين يقولون بوجوب فعل الأصلح للعبد علي الله وهي مسألة الهدى والضلال حيث قالوا بأن الهدى من الله بيان طريق الصواب والإضلال تسمية العبد ضالا وحكمه تعالي علي العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه وهذا مبني علي أصل مذهبهم الباطل الفاسد أن أفعال العباد مخلوقة لهم 0

واعلم بأن الهداية تنقسم إلي قسمين :

الأولى : هداية بيان وإرشاد ودعوة وتنبيه إلي الخير وهذه مهمة الرسل وأتباعهم وفي هذا يقول الله تعالي " وإنك لتهدي إلي صراط مستقيم " [3] ويقول " ولكل قوم هاد " [4] ويقول سبحانه " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى علي الهدى " [5]

---

[1] سورة البقرة آية (49)
[2] سورة الفرقان آية (2)
[3] سورة الزخرف آية (52)
[4] سورة الرعد آية (7)
[5] سورة فصلت آية (17)



الثانيـة : هدايـة التوفيـق والتأييـد والتسـديد والهـدى التـي بهـذا المعنـى لا يقـدر عليـه إلا الله عز وجل فهـي الـذي تفرد بهـذا فـلا يقـدر عليـه ملـك مقـرب ولا نبـي مرسـل وفـي ذلـك يقـول سـبحانه وتعـالي " إنـك لا تهـدي مـن أحببـت ولكـن الله يهـدي مـن يشـاء "[6] وقـال سـبحانه " إن تحـرص علـي هـداهم فـإن الله لا يهـدي مـن يضـل ومـا لهـم مـن ناصـرين "[1] ويقـول ﷺ " ومـن يهـده الله فـلا مضـل لـه ومـن يضـلل فـلا هـادي لـه "[2] فـالله تعـالي يهـدي مـن يشـاء فضـلا ويضـل مـن يشـاء عـدلا ولـه الحكمـة التامـة والحجـة البالغـة - فالحمـد لله الـذي هـدى المـؤمنين إلـي هدايـة التوفيـق وهدايـة البيـان ولـو كـان الهـدى معنـاه بيـان الطريـق فقـط لمـا صـح هـذا النفـي عـن نبيـه لأنـه ﷺ بـين الطريـق لمـن أحـب وأبغـض قـال تعـالي " لـو شـئنا لآتينـا كـل نفـس هداهـا "[3] وقـال سـبحانه " يضـل مـن يشـاء ويهـدي إليـه مـن يشـاء "[4] ولـو كـان الهـدى مـن الله البيـان فقـط لمـا صـح التقيـد بالمشيئـة قـال تعـالي " مـن يشـأ الله يضـلله ومـن يشـأ يجعلـه علـى صـراط مسـتقيم "[5] ثـم بـين المصـنف رحمـه الله أن العبـاد كلهـم يتقلبـون فـي مشـيئته تعـالى بـين فضـله وعدلـه فمـن هـداه الله إلـي الإيمـان فبفضـله ولـه الحمـد ومـن أضـله فبعدلـه ولـه الحمـد قـال تعـالي " هـو الـذي خلقكـم فمـنكم كـافر ومـنكم مـؤمن "[6] واعلـم بأنـه لا يـرد قضـاء الله ردا ولا يغضـب أي لا يـؤخر حكمـه ولا يغلـب أمـره غالـب بـل هـو الله الواحـد القهـار 0وهـو سـبحانه وتعـالى متعـال عـن الأضـداد والأنـداد - والضـد المخـالف , والنـد المثـل فهـو سـبحانه لا معـارض لـه بـل مـا شـاء كـان ومـا لـم يشـأ لـم يكـن ولا مثـل لـه كمـا قـال تعـالى " قـل هـو الله احـد الله الصـمد لـم يلـد ولـم يولـد ولـم

---

(6) سورة اتلقصص آية (56)
(1) سورة المحل آية (37)
(2) أخرجه أبو داود (2118) والترمزي (1105) والنسائي (89/6) وبان ماجه (1892) وأحمد (432/1) وابن ابي شيبة ((381/4) وابن ابي عاصم في السنة (255 , 256) والطبراني في الكبير (121/10) والدعاء (932) واسناده صحيح
(3) السجدة آية (13)
(4) المدثر آية (31)
(5) سورة الأنعام آية (39)
(6) سورة التغابن آية (2)

يكـن لـه كفـواً أحـد " [7] وهـذه السـورة أخلصـت لوصـف الـرحمن وكـذلك فـأن قارئهـا قـد تخلـص مـن الشـرك العملـي الاعتقـادي وأمـا دلالتهـا علـي أنـواع التوحيـد فـدلالتها علـي توحيـد الأسـماء والصـفات فبالمطابقـة وعلـي توحيـد الربوبيـة فبالتضـمن وعلـى توحيـد الإلهيـة والعبـادة فبالالتـزام لأن دلالـة الـدليل علـي كل معنـاه تسمى مطابقـة وعلـي بعضـه تضمن , وعلـي مـا يستلزمه مـن الخـارج يسـمي التزامـا – ومعنـي الأحـد أي الواحـد الـذي لا نظيـر لـه ولا وزيـر لـه ولا نـد لـه ولا شـبيه ولا عـديل ولا يطلـق ولا يطلـق هـذا اللفظ فـي الإثبـات علـي أحـد إلا علـي الله لأنـه الكامـل فـي جميـع صـفاته وأفعالـه 0 وأمـا معنـى الصـمد فهـو الـذي تصـمد إليـه الخلائـق فـي حـوائجهم ومسـائلهم وأمـا معنـي الكفـؤ فمعنـاه المكـافئ والمماثـل والنظيـر وقـد تضـمنت هـذه السـورة نفـي الشـريك بجميـع أنواعـه فقـد نفـي عـن نفسـه التعـدد والكثـرة بقولـه الله أحـد ونفـي عـن نفسـه الاحتيـاج بقـول الله الصـمد ونفـى عـن نفسـه المشـابهة والمجانسـة بقولـه لـم يلـد ونفـى عـن نفسـه الحـدوث بقولـه ولـم يولـد ونفـى عـن نفسـه الأنـداد والأشـباه بقولـه " ولـم يكـن لـه كفـوا أحـد " ويشـير الشـيخ رحمـه الله بنفـي الضـد والنـد إلـي الـرد علـي المعتزلـة فـي زعمهـم أن العبـد يخلـق فعلـه آمنـا بـذلك كلـه وأيقنـا أن كـلا مـن عنـده أمـا الإيمـان فسـوف يـأتي الكـلام عنـه إن شـاء الله تعـالى أمـا قولـه وأيقنـا أن كـلا مـن عنـده أي كـل كـائن محـدث مـن عنـد الله أي بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه .

---

[7] سـورة الصمـــد

الأدلة القاطعة على نبوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم

وأما قوله " وأن محمدا عبده المصطفي ونبيه المجتبي ورسوله المرتضي "
أعلم بأن كمال المخلوق في تحقيق العبودية لله تعالي وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه وأن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم قال تعالي " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون "[1] إلي غير ذلك من الآيات وذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم باسم العبد في أشرف المقامات فقال ذكر الإسراء " سبحان الذي أسرى بعبده " [2] وقال تعالي " وأنه لما قام عبد الله يدعوه "[3] وقال تعالى " فأوحي إلي عبده ما أوحى " [4] وقال تعالي " وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا " [5] وبذلك استحق التقديم علي الناس في الدنيا والآخرة ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة إذا طلبوا منه الشفاعه اذهبوا إلي محمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالي ولنتعرف علي رسول الله ﷺ

أولا نسبه : فهو محمد بن عبد المطلب بن هاشم , وهاشم من قريش , وقريش من العرب والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل علي نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ولد بمكة يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من ربيع الأول عام القيل , ومات والده وهو حمل في بطن أمه وكفله جده عبد المطلب وماتت أمه وهو ابن ست سنين وحضنته أم أيمن جارية أبيه ومات جده فكفله عمه أبو طالب

---

(1) سورة الأنبياء آية (26)
(2) سورة الاسراء آية (1)
(3) سورة الجن آية (19)
(4) سورة النجم آية (10)
(5) سورة البقرة آية (23)

زواجه : لما بلغ الخامسة والعشرين من عمره تزوج بخديجة بنت خويلد وأنجب منها ولدين وهما القاسم , وعبد الله ماتا صغيرين وأربع بنات هن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء -

ولم يزاول من الأعمال ﷺ في هذه الفترة من عمره سوى رعي الغنم والتجارة – إذ قال ﷺ " ما بعث الله نبيا إلا ورعي الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها علي قراريط لأهل مكة " [6] وأما التجارة فقد خرج مع عمه إلي الشام مرة واحدة وخرج بعد ذلك في تجارة لخديجة رضي الله عنها فربح لها ربحاً عظيماً 0 وكان ﷺ في هذه المدة من حياته يتمتع بأفضل الأخلاق وأطيب الشمائل فلم يؤثر عليه ما يخل بمكارم الأخلاق قط فلم يأت ولا مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبداً فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمرا ولم يلعب قماراَ ولا ميسرا ولم يستقسم بالأزلام ولم يظلم أحداً في عرض ولا مال ولا دم لقد كان بشهادة أعدائه وخصومه مثالاً أعلي في الأخلاق حتى لقد لقبوه ﷺ بالصادق الأمين هذا اللقب الذي لم يظفر به أحد بينهم غيره ﷺ لقد وصفه الله تعالى فقال عنه " وإنك لعلى خلق عظيم " [1] وقد عصم الله نبيه ورسوله ﷺ قبل الرسالة فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكبة لما أرادوا تجديد بنائها وعليه إزاره فقال له العباس عمه يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة قال فحله فجعله علي منكبيه فسقط مغشيا عليه فما رؤى بعد ذلك عريانا ﷺ " [2]

نبوئته ﷺ : ونبىء ﷺ وعنده من العمر أربعون سنة نبىء بإقرأ وأرسل بالمدثر ولا ريب أنه ﷺ كان في بداية الأمر يتحنث الليالي ذوات العدد في غار حراء حتى جاءه جبريل ذات مرة على صورته الملائكية وقال له إقرأ

---

[6] البخاري باب الإجارة 0
[1] سورة القلم آية (5)
[2] أخرجه البخاري (3 , 8953 ظ9 ومسلم (160 , 196) و أحمد (153/6 , 232) والترمزي (3636) والمصنف (9719) وابن حبان (33) واطبري (251/3) وابن مسعد (194/1 – 195)

ثلاثا وفي كل مرة يقول له ما أنا بقارىء فقال له " إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم " فذهب ﷺ إلي خديجة زوجه ترجف بوادره وهو خائف علي نفسه فهدأت من روعه وسكنت من اضطراب نفسه وهي تقول له كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين علي نوائب الحق وانطلقت به رضي الله عنها إلي ورقة بن نوفل بن أسد ابن عمها وكان امرأَ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيراَ قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة أي بن أخي ماذا ترى : فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله علي موسي يا ليتني فيها جذعا يا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال النبي ﷺ أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن يتوفى وفتر الوحي "

يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ولو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

والناس يميزون بين الكاذب والصادق والكاذب بأنواع من الأدلة وإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن من القرائن فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله كيف يخفي صدق هذا من كذبه وكيف لا يميزون الصادق في ذلك من الكاذب 0وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ولهذا قال تعالي " هل أنبئكم علي من تنزل الشياطين تنزل علي كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون

وأنهم يقولون ما لا يفعلون "[1] فالكهان ونحوهم وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من المغيبات ويكون صدقاً فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك وليسوا بأنبياء ولهذا قال ابن صياد لما قال النبي قد ﷺ خبأت فقال هو الدخ قال له النبي ﷺ إخسأ فلن تعدو قدرك " يعني إنما أنت كاهن وقد قال النبي ﷺ " يأتني صادق وكاذب "[2] وقال أرى : " أرى عرشاً على الماء " [3] وذلك هو عرش الشيطان وقد بين تعالي بأن الشعراء يتبعهم الغاوون والغاوي هو الذي يتبع هواه وشهواته وإن كان ذلك مضرا له في العاقبة 0أما من عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله علم يقيناً إنه ليس بشاعر ولا كاهن 0 فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولا بد أن يفعل أمورا يبين بها صدقه ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق قالت له لما قال لها عندما جاءه الوحي " إني قد خشيت علي نفسي " فقالت كلا والله لا يخزيك الله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين علي نوائب الحق "[4] وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يخبر به و استقرأهم القرآن فقرؤوا عليه " إن هذا والذي جاء به موسي عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة " [5] وكذلك هرقل ملك الروم فإنه كتب له ﷺ كتابا يدعوه فيه إلي الإسلام طلب من كان هناك من العرب كان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلي الشام وسألهم عن أحوال النبي ﷺ فسأل أبو سفيان وأمر الباقين إن كذب أن

---

[1] سورة الشعراء آية (221 : 226)

[2] رواه البخاري في الجنائز (1354 , 3055 , 6173 , 6618 , 6172) ومسلم في الفتن (2930) والبخاري في الأدب المفرد (958) وأبو داود (4329) والترمزي في الفتن (2235 , 2250) وأحمد في المستند (380/1 , 148/2, 149 , 82/3 , 36 , 148/5) والطحاوي في مشكلة الآثار (103/4)

[3] رواه مسلم في الفتن (2930 , 7206) والترمذي في الفتن (2247) (2248)

[4] رواه البخاري في التفسير (3 , 8953) ومسلم في الإيمان (160 , 396) وأحمد (153/6 , 232) والترمذي (3636) والمصنف (9719) وابن حبان (33) والطبري (251/30) , وابن سعد (194/1 – 195)

[5] أخرجه أحمد في المسند (201/1 – 23 , 290/5 – 292) وابن هشام في السيرة (334/1 -337) وحسنه الشيخ الألباني وأورده الهيثمي في المجمع (24/6 , 27) وقال راوه احمد ورجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع 0



يكذبوه فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار سألهم هل كان في آبائه من ملك فقالوا لا هل قال هذا القول احد قبله فقالوا لا سألهم أهو ذو نسب فيكم فقالوا نعم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقالوا لا ما جرينا عليه كذبا وسألهم عن أتباعه هل يزيدون أم ينقصون وذكروا أنهم يزيدون وسألهم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطه له بعد أن يدخل فيه فقالوا لا وسألهم هل قاتلتموه قالوا نعم وسألهم عن الحرب بينهم وبينه فقالوا يدال علينا مرة وندال عليه أخرى وسألهم هل يغدر فذكروا أنه لا يغدر وسألهم بماذا يأمركم فقالوا يأمرنا و يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة : وهذه أكثر من عشرة مسائل ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة 0فقال سألتكم هل كان في آبائه من ملك فقلتم لا قلت لو كان في آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتكم هل قال هذا القول فيكم أحد قبله فقلتم لا فقلت لو قال هذا القول أحد قبله لقلت رجل ائتم بقول قيل قبله وسألتكم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقلتم لا فقلت قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب علي الناس ثم يذهب فيكذب علي الله تعالي وسألتكم أضعاف الناس يتبعونه أم أشرافهم فقلتم ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل يعني في أول أمرهم ثم قال وسألتكم هل يزيدون أم ينقصون فقلتم يزيدون وكذلك الإيمان حتي يتم وسألتكم هل يرتد أحد منهم سخطة له بعد أن يدخل فيه فقلتم لا وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشة القلوب لا يسخطه احد وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه فقلتم إنها دول وكذلك الرسل تبتلي و تكون العاقبة لها قال وسألتكم وهل يغدر فقلتم لا وكذلك الرسل لا تغدر وقال سألتكم عما يأمر به فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ويأمركم بالصلاة والصدق و العفاف والصلة وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم وهذه صفة نبي وقد كنت أعلم أن نبيا يبعث ولم أكن أظنه منكم و لوددت أني أخلص إليه



ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه وإن يكن ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضاَ وعداوة للنبي ﷺ قال أبي سفيان بن حرب فقلت لأصحابي ونحن خروج لقد أصبح أمر أبي كبشه إنه ليعظمه ملك بني الأصغر وما زلت موقنا بأن أمر النبي ﷺ سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره " [1]

فهكذا علم هرقل أن هذه علامات الرسل لما كان عنده من علم بعادة الرسل وسنة الله فيهم وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء لينالوا درجة الشكر والصبر ونحن اليوم إذ علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم يقينا أنهم كانوا صادقين علي الحق 0 ومن هذا أيضا نعلم بأن إنكار رسالته صلى الله عليه وسلم طعن في الرب تبارك وتعالى ونسبة الظلم والسفه له تعالي عن ذلك علوا كبيرا بل جحد للرب بالكلية 0أفلا تراه سبحانه يخبر أن كماله وحكمته وقدرته تأبي أن يقر من تقول عليه بعض الأقاويل لأنه لا بد أن يجعله عبره لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه فقال تعالي " ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين "[2] وقال تعالي " أم يقولون افترى الله كذبا فإن يشأ الله يختم علي قلبك " [3] وهنا انتهى جواب الشرط ثم أخبر خبرا جازماً غير معلق أنه يمحق الباطل ويحق الحق قال تعالي " وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله علي بشر من شيء " [1] فأخبر سبحانه أن من نفي عنه الإرسال والكلام لم يقدره حق قدره 0وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول ذكر منها الشارح واختاره أن من نبأه الله بخبر السماء فإن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي ورسول وإن لم

---

[1] أخرجه البخاري (7 , 51 , 2681 , 2804 , , 2941) ومسلم (4527) وأبو داود في الأدب (5136) والترمذي في الاستئذان (2717) والنسائي في التفسير في الكبرى علي ما في تحفة الأشراف (4 : 159) وأحمد (1/262 – 273)

[2] سورة الحاقة آية (44 : 47)

س سورة الشورى آية (24)

[1] سورة الأنعام آية (91)

يأمر أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول 0

ولعل الأقرب إلي الصواب أن الرسول من بعث بشرع جديد والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله وهو بالطبع مأمور بتبليغه إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك فهم أولي بذلك واعلم بأن إرسال الرسل من أعظم نعم الله علي خلقه وخصوصا محمد ﷺ كما قال تعالى " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين "[2] وقال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " [3]

ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ

وقوله " وإنه خاتم الأنبياء " وإمام الأتقياء " وسيد المرسلين " وحبيب رب العالمين "

اعلم بأن الله تعالي قد ختم سائر النبوات بأخر نبوة وهي نبوة محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء قطعاً قال تعالي " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً " [4] ومن الأدلة السمعية علي ختم النبوة وأن محمدا هو خاتم الأنبياء حديث الصحيحين الذي فيه يقول الرسول ﷺ " إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " [5] ومثل هذا الحديث في الدلالة علي ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ وأنه الخاتم

---

[2] سورة آل عمران آية (164)
[3] سورة الأنبياء آية (107)
[4] سورة الأحزاب آية (40)
[5] أخرجه البخاري في المناقب (3534 . 3535) ومسلم في الفضائل (5849 , 5850 , 5851 , 5852 , 5853 والترمذي في الأمثال (2862) والنسائي في التفسير في الكبرى ما في التحفة (9 : 430) وأحمد في المسند (9/3)

للأنبياء قبله فداه أبي وأمي كما في الصحيح أنه ﷺ قال " إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي "[6]0وقوله ﷺ " إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعدي أحد " [1] وحديث " فضلت علي الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا وأرسلت إلي الخلق كافة وختم بي النبيون " [2] واعلم بأنه ﷺ هو الإمام الذي يؤتم به ويقتدي به والنبي ﷺ إنما بعث للإقتداء به لقوله تعالى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " [3] وهو ﷺ إمام الأتقياء وكل من تبعه واقتدى به فهو من الأتقياء وهو ﷺ سيد المرسلين قال ﷺ " أنا سيد ولد أدم يوم القيامة و أول ممن ينشق عنه القبر و أول شافع وأول مشفع " [4] وفي حديث الشفاعة " أنا سيد الناس يوم القيامة "[5] وقال ﷺ " إن الله اصطفي كفاية من ولد اسماعيل واصفي قريشا من كنانة واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " [6] وقال ﷺ " أنا سيد ولد آدم ولا فخر" [7] وقد أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم لأننا لا يمكن أن نعلم ذلك إلا بخبره إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله كما أخبرنا هو ﷺ بفضائل الأنبياء قبله ﷺ أجمعين 0 وهو ﷺ حبيب رب العالمين وقد ثبت له ﷺ أعلى

---

[6] أخرجه مسلم (7203) وأبو داود في الفتن (4252) وأحمد في المسند (278/5) وابي نعيم في الحلية (289/2) والبخاري في المناقب (4609) والترمذي في الفتن (2218)

[1] أخرجه البخاري في المناقب (3522) ومسلم في الفضائل (2354 , 5990 , 5992) والترمذي في الاستئذان (2840 , 2842) والنسائي في التفسير في الكبرى علي ما في التحفة (2 : 413) ومالك (1004/2) والطالس (942) وأحمد (81/4 , 84) والحميدي (555) والطحاوي (50/2) وابن ابي شيبة (457/11) والدارمي (317/2 , 318)

[2] أخرجه مسلم في الصلاة (1147) والترمزي في السير (4 : 122) وابن ماجه في الطهارة (567) وأحمد (412/2)

[3] سورة آل عمران آيـة (31)

[4] أخرجه مسلم في الفضائل (2278 , 5830) وابو داود في السنة (4673) واحمد في المسند (540/2) وابن سعد في الطبقات (20/1) وابن ابى شيبة (477/11)

[5] أخرجه البخاري في التفسير (4712) ومسلم في الإيمان (472) والترمذي في صفة القيامة (2434) وابن ماجة في الأطعمة (3307)

[6] اخرجه مسلم في الفضائل (2276 , 5828 , 5829) والترمذي في المناقب (3605 , 3606 , 3612) و أحمد (17/4) والخطيب في تاريخه (64/13)

[7] اخرجه الترمذي (3618) وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه (4308) وأحمد (2/3) (1/ 281 , 295) وله شاهد عند مسلم وابو داود وابن سعد في الطبقات

مراتب المحبة وهي الخلة كما صح ذلك عنه ﷺ أنه قال " إن الله اتخذني خليلاَ كما اتخذ إبراهيم خليلاَ "[8] وقال ﷺ لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن " [9] وقال إني أبرأ إلي كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن " [10] والحديثات يبطلان قول من قال الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد فإبراهيم خليل الله ومحمد خليله وحبيبه لأن المحبه قد ثبتت له ولغيره قال تعالي " والله يحب المحسنين " [11] وقال " فإن الله يحب المتقين " [12] وقال " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " [13] فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة لمحمد بل الخلة خاصة لهما والمحبة عامة لهما ولغيرهما 0واعلم بأن وصف الله تعالي بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالي وعظمته كسائر الصفات التي يوصف بها الله سبحانه وتعالي ويوصف الله تعالي بالإرادة والود والمحبة والخلة حسبما ورد النص في هذه الأنواع بعينها 0

واعلم بأن المحبة علي مراتب :-

أولها : العلاقة وهي تعلق القلب بالمحبوب

الثانية : الإرادة وهي ميل القلب إلي محبوبه وطلبه له

الثالثة : الصبابة وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه

الرابعة : الغرام وهو الحب الملازم للقلب

الخامسة : المودة والود وهي صفو المحبة وخالصها ولبها

السادسة : الشغف وهي وصول المحبة إلي شغاف القلب

---

[8] اخرجه مسلم في الصلاة (1532 , 1168) والنسائي في التفسير في الكبرى (2 : 432) كما في التحفة والطبراني في الكبير (1686)
[9] (10) اخرجه مسلم في الفضائل (6053 : 6059) وأخرج البخاري عن ابن سعيد الخدري مثله في الصلاة وفي فضائل الصحابة (466 , 3654) والترمزي في المناقب (3655 , 3660) وابن ماجه في المقدمة (93) والنسائي في الكبرى (3 : 396 , 74 : 123) علي ما في التحفة وابي ابن شيبة (11/ 473) واحمد (377/1)

[11] سورة آل عمران آية (134)
[12] سورة آل عمران آية (76)
[13] سورة البقرة آية (222)

السابعة : العشق : وهو الحب المفرط الذي يخاف علي صاحبه منه ولكن لا يوصف به الرب تعالي ولا العبد في محبة ربه والسبب لأن العشق محبة متع شهوة

الثامنة : التيم : وهو بمعني التعبد

التاسعة : التعبد

العاشرة : الخلة : وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه

أما قوله " وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى)

لما ثبت ﷺ خاتم النبيين فقد ختم الله تعالي به ﷺ سائر النبوات فلم يبق من مطمع لأحد أن يدعي النبوة أو يؤتاها بعد النبي ﷺ ومن جهل هذه الحقيقة أو تجاهلها تضليلا وخداعا وادعي النبوة فقد كذب علي الله وأعظم الفرية عليه وكذبه في قوله , وكذب علي خلقه 0وقد أخبر النبي ﷺ أمته نصحاً لهم وتحذيراً في أحاديث كثيرة أنه سيكون بعده دجالون كثيرون كلهم يزعم أنه نبي وهو ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده ومن هؤلاء الدجالين الذين لم يلبثوا طويلا حتى افتضح أمرهم شر فضيحة مسيلة الكذاب وغيره في الزمن الأول ومن هؤلاء الدجالين في هذه العصور ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة وله اتباع منتشرون في الهند والمانيا و انكلترا وامريكا ولهم فيها مساجد يضلون بها الناس ولهم عقائد كثيرة غير اعتقادهم بقاء النبوة بعده ﷺ وسلفهم في ذلك ابن عربي الصوفي الضال المضل ولهم في ذلك رسالة جمعوا فيها أقواله في تأييد اعتقادهم وهم بلا شك ممن عناهم رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح عنه " يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم وآباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم " [1] وإن من أبرز علاماتهم أنهم

---

[1] أخرجه مسلم في مقدمته

حين يبدأون التحديث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شيء بإثبات موت عيسي عليه السلام فإذا تمكنوا من ذلك بزعمهم انتقلوا إلي مرحلة ثانية وهي ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسي عليه الصلاة والسلام ويتظاهرون بالإيمان بها ثم سرعان ما يتأولونها ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته بأن المقصود نزول مثيل عيسي وأنه هو غلام أحمد القادياني , وهناك فرق كثيرة مثل القاديانية منشقة من الباطنين الملحدة والدروز ، والاسماعيلية والنصيرية , والرافضه , والقرامظة , والبهائية , وغيرها كثير علي ما سنوضحه إن شاء الله تعالى 0 وهكذا كل من يدعي النبوة لا بد وأن يظهر أمارة كذبه في دعواه لأن الله تعالى أخبر بأنه ﷺ خاتم النبيين حيث قال الله تعالى " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما " [2]

[2] سورة الأحزاب آية (40)

عموم بعثته صلى الله عليه وسلم

أما قوله " وهو المبعوث إلي عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء " أما كونه ﷺ مبعوثا إلي عامة الجن فقد قال تعالى حكاية عن قول الجن " يا قومنا أجيبوا داعي الله "[1] وكذا سورة الجن تدل علي أنه أرسل إليهم أيضا قال تعالى " يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم "[2] والرسل من الإنس فقط وليس من الجن رسول كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلق وقال ابن عباس رضى الله عنهما الرسل من بني أدم ومن الجن النذر أو نذر وظاهر قوله تعالي حكاية عن الجن " إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسي "[3] تدل علي أن موسي مرسل إليهم أيضا ، ومن ضلالات القاديانية إنكارهم الجن كخلق غير الإنس ويتألون كل الآيات والأحاديث المصرحة بوجودهم ومباينتهم للإنس في الخلق بما يعود إلي أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون إنه إنسي شرير فما أضلهم 0وأما كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلي كافة الورى فقد قال تعالى " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا "[4]وقال تعالى " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا "[5] وقال تعالي " تبارك الذي نزل الفرقان ليكون للعاملين نذيرا "[6] وقال تعالى " أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ "[7] أي وأنذر من بلغه وقال ﷺ " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس

(1) سورة الأحقاف آية (31)
(2) سورة الأنعام آية (130)
(3) سورة الاحقاق آية (30)
(4) سورة سبأ أية (28)
(5) سورة الأعراف آية (158)
(6) سورة الفرقان آية (1)
(7) سورة الأنعام آية (19)

عامة " [8] وقال صلى الله عليه وسلم " لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا ودخل النار " [9] وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ وفي مفهومة دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور ولكن بعد بعثة النبي ﷺ فقد بلغ جميع الناس بعثته صلى الله عليه وسلم أما من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور وهذا جار علي ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع علي الصحيح والله أعلم وقوله ﷺ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة أي ممن هو موجود في زمنه ﷺ ومن جاء بعده إلي يوم القيامة فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً علي من سواهما وذلك لأن اليهودي والنصراني لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب لهم أولي والله أعلم 0وأما قول بعض النصارى واليهود أنه رسول إلي العرب خاصة فظاهر البطلان فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به وقد قال إنه رسول الله إلي الناس عامة والرسول لا يكذب فلزم تصديقه حتماً فقد أرسل ﷺ رسله وكتبه إلي جميع أقطار الأرض إلي كسري وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر الملوك في جميع أقطار الأرض يدعوهم إلي الإسلام وقد جاء ﷺ بالحق والهدى وبالنور والضياء وهذه أوصاف ما جاء به رسول ﷺ من الدين والشرع والمؤيد بالبراهين من القرآن والأدلة .

---

[8] رواه البخاري في الطهارة (335) (438) (3122) ومسلم في الصلاة (521) (523) (1143 , 1144) والنسائي في الطهارة (1 : 209) وفي الصلاة (2 : 56) والدرامي (1/322 – 323) وأحمد (2/412) وابو عوانه ((1/395) والترمذي (1553)

[9] اخرجه مسلم في الإيمان (379) وابن منده في التوحيد (ق 1/44) وفي الإيمان (401)

إثبات أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى

وأما قوله " وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وأنزله علي رسوله وحياً وصدقه المؤمنون علي ذلك حقا وأيقنوا أنه كلام الله تعالي بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه و وعده بسقر حيث قال تعالي " إن هذا إلا قول البشر " علمنا وإيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر "

هذه قاعدة شريفة وأصل كبير من أصول الدين ضل فيه طوائف كثيرة من الناس وهذا الذي حكاه الإمام الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرها وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة 0فالقرآن الكريم كلام الله لفظه ومعانيه فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال ولا يقال المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم 0فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله وسمعه النبي ﷺ من جبريل والصحابة سمعوه ممن النبي فهو المكتوب بالمصاحف والمحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة – قال الحافظ ابن القيم رحمه الله

وكذلك القرآن من كلامه المسموع منه حقيقة بيان
هو قول ربي كله لا بعضه لفظاً ومعني ما هما خلقان
تنزل رب العالمين ووحيه اللفظ والمعني بلا روغان

فنحن نعتقد اعتقادا جازما بأن الله متكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد وأنه لم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم إذا شاء كيف شاء وأنه يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من



شاء من خلقه سمعه موسي عليه السلام من الله من غير واسطة ومن أذن له من ملائكته ورسله وأنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة 0

واعلم بأن الأدلة الدالة علي أن الله متكلم أكثر من أن نحصي لمن أراد معرفة الحق فمن ذلك فوله تعالي " ومن أصدق من الله حديثا " [1] " ومن أصدق من الله قيلا " [2] وقال " وإذ قال الله يا عيس ابن مريم " [3] وقال " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا " [4] وقال " وكلم الله موسي تكليما " [5] وقال تلك الرسل فضلنا بعضها علي بعض فمنهم من كلم الله " [6] وقال " ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه " [7] وقال " وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا " [8] وقال " وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين " [9] وقال " وناداهما ربهما ألم أنهكما عن هذه الشجرة " [10] وقال " ويوم يناديهم ماذا أجبتم المرسلين " [11] ويقول ﷺ " يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار " [12] وقال " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان " [13] والكلام إما أن يكون بواسطة عن طريق الوحي للأنبياء أو بإرسال رسولا إليهم يكلمهم من أمره بما شاء , أو يكون بلا واسطة ككلامه لموسى وآدم وحواء وجبريل والكلام أيضا بهذين القسمين موضح في هذه الآية " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي فإذنه ما يشاء وإنه علي حكيم " [14]

---

[1] سورة النساء آية (87)
[2] سورة النساء آية
[3] سورة المائدة آية (116)
[4] سورة الأنعام آية (115)
[5] سورة النساء آية (164)
[6] سورة البقرة آية (253)
[7] سورة الأعراف آية (143)
[8] سورة مريم أية (52)
[9] سورة الشعراء آية (10)
[10] سورة الأعراف آية (22)
[11] سورة القصص آية (65)
[12] اخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (3348)(6530)(7483) ومسلم في الإيمان (521 , 522) والنسائي في التفسير في الكبرى (3 : 346)
[13] أخرجه البخاري في الرقاق (6539) ومسلم في الزكاة (2770 , 3110) والترمذي في صفة القيامة (2415) وابن ماجه في المقدمة (185)
[14] سورة الشورى أية (51)

والكلام إما أن يكون كوني قدري وهو الذي توجد به الأشياء كقوله تعالي " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " [15] وقوله تعالي " إنما قولنا إذا أردنا شيئا أن نقول له كن فيكون "[16] وإما أن يكون ديني شرعي كقوله تعالي " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى " [17] وقوله تعالى " وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة " [18] وقد افترق الناس في الكلام علي تسعة أقول :-

الأول : أن كلام الله بغيض علي النفوس من معاني وهذا قول الصابئة المتفلسفة

الثاني : أنه مخلوق خلقه الله متفضلا عنه وهذا قول المعتزلة والجهمية

الثالث : أنه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر و الاستخبار فأن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان تواره وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا 0 فالألفاظ مخلوقة وهي هذا الألفاظ الموجودة , والمعاني قديمة قائمة بالنفس وهي معني واحد لا تبغض فيه ولا تعدد وهذا قول الكلابية ومن وافقهم من الأشاعرة

0الرابع : قول الكرامية وهو أنه حروف وأصوات لكن الله تكلم بها بعد أن لم يكن متكلماً أي أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب وهو حروف وأصوات مسموعة وهو حادث بعد أن لم يكن وقد أخطئوا في قولهم أن له ابتداء في ذاته "

الخامس : أن كلامه يتضمن معنى قائما بذات الله وهو ما خلقه في غيره وهذا قول أبو منصور الماتريدي

السادس : أن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ونثره حقه وباطله وسحره وكفره والسب والشتم والهجر والغش وأضداده كله عين كلام الله تعالي القائم به وهو مذهب الاتحادية

---

[15] سورة يس آية (82)
[16] سورة النحل آية (40)
[17] سورة النحل آية (90)
[18] سورة البقرة آية (43)

السابع : أنه صفة قائمة بذات الله لازمة له كلزوم الحياة ولا يتعلق بالمشيئة والقدرة 0 ومع ذلك هو حروف واصوات وسور وآيات لا يسبق بعضها بعضا بل مقترنة بالباء مع السين مع الميم في آن واحد لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم بل هي لم تزل قائمة بذات الله 0 أي أنه حروف وأصوات مجتمعة في الأزل وهذا مذهب السالمية 0

الثامن : أنه مشترك بين المعني القديم والقائم بذاته وبين ما يخلفه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه ويقول صاحب المعتبر هو أي كلامه يرجع إلي ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته 0

اللتاسع : أنه تعالي لم يزل متكلما إذا شاء ومتي شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وحروف تقرأ وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة والقول الحق في القرآن أنه كلام الله حيث تصرف سواء كان محفوظا في الصدور أو متلواً بالألسنة أو مكتوباً في المصاحف فلا يخرج بذلك ُن أن يكون كلامه وهو منزل غير مخلوق 0 وأما كتابة العباد وأصواتهم والورق الذي كتب عليه القرآن والمداد الذي كتب به بهذه كلها مخلوقة فإن جميع ما يرجع إلي ذوات العباد وأوصافهم مخلوق وأما الذي يرجع إلي الله تعالي ويضاف إليه فإنه كلامه غير مخلوق وهذا الفرق واضح شرعاً وعقلاً 0فلا يجوز إطلاق القول بأنه عبارة عن كلام الله كما هو قول الأشاعرة ولا يجوز اطلاق القول بأن حكاية كما هو قول الكلابية بل إذا قرأ الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالي حقيقة فإن الكلام إنما يضاف إلي من قاله مبتدئا لا من قاله مبلغا ومؤديا وهو كلام الله حروفه ومعاينه – ولهذا قال الشيخ كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وفي ذلك رداً علي المعتزلة وغيرهم فإنهم قالوا بأن القرآن لم يبد منه وقالوا بأن إضافته إليه تشريف كبت الله وناقة الله يحرفون الكلام عن مواضعه وقولهم باطل فإن المضاف إلي الله تعالى معان وأعان بإضافة الأعيان إلي



الله للتشريف وهي مخلوقة كبت الله وناقة الله بخلاف الإضافة المعاني كعلم الله وقدرته وعزته وجلاله وكبريائه وكلامه وحياته وعلوه وقهره فإن هذا الكلام من صفاته لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقا والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص قال تعالي " واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا " [(1)] فكان عباد العجل مع كفرهم فيما فعلوه من عبادة العجل من دون الله لكنهم كانوا أعرف بالله من المعتزلة فإنهم لم يقولوا لموسي وربك لا يتكلم أيضا وغاية شبهتهم أنهم يقولون يلزم منه التشبيه والتجسيم فيقال لهم إذا قلنا أنه تعالي يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم إلا ترى أنه تعالى قال " اليوم نختم علي أفواههم وتكلمها أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " [(1)] فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم وقال تعالى " وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالو أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء " [(2)] وكذلك تسبيح الحصى والطعام وكلام الحجر كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من لديه المعتمد علي مقاطع الحروف وإلي هذا أشار الشيخ بقوله منه بدا بلا كيفية قولا أي ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به ولقد قال أحد المعتزلة لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة أريد أن تقرأ " وكلم الله موسى تكليما " [(3)] بنصب اسم الله ليكون موسى هو المتكلم لا الله فقال أبو عمرو هب أني قرأت هذه الآية هكذا فكيف تصنع بقوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " [(4)] فبهت المعتزلي 0 وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله تعالي لأهل الجنة وغيرهم واعلم بأن كلام الله تعالي في الآخرة لأوليائه يكون كلام تكريم وأما كلامه لأعدائه فهو كلام توبيخ وإهانة قال تعالي " إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم

---

(1) سورة الأعراف آية (148)
(1) سورة الأعراف آية (65)
(2) سور فصلت آية (21)
(3) سورة النساء آية (164)
(4) سورة الأعراف آية (43)

ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم " [5] فأهانهم بترك تكليمهم والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم حيث قال تعالي لأهل النار " اخسئوا فيها ولا تكلمون " [6] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا قال البخاري رحمه الله في صحيحه (باب كلام الرب تبارك وتعالي مع أهل الجنة) وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الحنة رؤية وجهه تبارك وتعالي وتكليمه لهم فإنكار ذلك إنكارا لروح الجنة وأعلي نعيمها وأفضله " وما استدلاهم بقوله تعالي " الله خالق كل شيء " [7] وقولهم والقرآن شيء فيكون داخلا في عموم كل فيكون مخوقاً فإن ذلك من أعجب العجب وذلك لأن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة الله تعالى وإنما يقولون بأن العباد يخلقونها جميعها لا يخلقها الله فأخرجوها عن عموم كل وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته به تكون الأشياء المخلوقة إذ بأمره تكون المخلوقات قال تعالى " والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر " [8] ففرق بين الخلق والأمر فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر والآخر إلي مالا نهاية وهو باطل 0

واعلم بأن طرد باطلهم ذلك يكون بالرد عليهم فيقال لهم إذ كانت جميع صفاته تدخل تحت عموم كل فتكون مخلوقة كالعلم والقدرة وغيرهما كذلك وذلك صريح الكفر فإذا كان علمه شيء وقدرته شيء وحياته شيء فيدخل ذلك في عموم كل فيكون مخلوقا بعد أن لم يكن تعالي الله عما يقولون علوا كبيرا وكيف يصح أن يكون متكلما بكلام يقوم بغيره ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من كلام في الجمادات كلامه ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق وإنما قالت الجلود " أنطقنا الله " ولم تقل نطق الله بل يلزم أن يكون متكلما بكل كلام خلقه في غيره زوراً كان أو كذبا أو كفر أو هذيانا

---

[5] سورة آل عمران آية (77)
[6] سورة المؤمنون آية (108)
[7] سورة الرعد آية (16)
[8] سورة الأعراف آية (54)



تعالى الله عن ذلك – وبمثل هذا ألزم الإمام عبد العزيز الملكي 0 بشراً المريسي بين يدي المأمون بعد أن تكلم معه ملتزما أن لا يخرج عن نص التنزيل وألزمه الحجة فقال بشر يا أمير المؤمنين ليدع مطالبتي بنص التنزيل ويناظرني بغيره فإن لم يدع قوله ويرجع عنه ويقر بخلق القرآن الساعة و إلا فدمي حلال قال عبد العزيز تسألني أم أسألك فقال بشر أسأل أنت وطمع في فقلت له يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها إما أن تقول أن الله خلق القرآن وهو عندي أنا كلامه إما أن تقول أن الله خلق القرآن في نفسه أو خلقه قائما بذاته ونفسه أو خلقه في غيره قال أقول خلقه كما خلق الأشياء كلها وحاد عن الجواب فقال المأمون اشرح أنت هذه المسألة ودع بشراً فقد انقطع فقال عبدالعزيز: إن قال خلق كلامه في نفسه فهذا محال لأن الله لا يكون محلا للحوادث المخلوقة ولا يكون فيه شيء مخلوق وإن قال خلقه في غيره فيلزم في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه فهو محال أيضاً لأنه يلزم قائله أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيرع هو كلام الله وإن قال خلقه قائما بنفسه وذاته فهذا محال لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد ولا العلم إلا من عالم ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً علم أنه صفة لله تعالي 0 أهـ كلامه باختصار 0

واعلم بأن عموم كل في كل موضوع بحسبه و يصرف ذلك بالقرائن ألا ترى إلي قوله تعال " تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم "[1] ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير وقال تعالي عن بلقس " وأوتيت من كل شيء "[2] المراد من كل يحتاج إليه الملوك وهذا يفهم من قرائن الكلام والمراد من قوله تعالي " خالق كل شيء " أي كل شيء مخلوق وكل موجود سوى الله فهو مخلوق فدخل في العموم أفعال العباد حتما ولم يدخل في العموم الخالق سبحانه

---

(1) سورة الأحقاق آية (25)
(2) سورة النمل آية (23)



وتعالي وصفاته ليست غيره لأنه سبحانه وتعالي هو الموصوف بصفات الكمال وصفاته ملازمة لذاته المقدسة لا يتصور انفصال صفاته عنه - وبالجملة فأهل السنة كلهم متفقون علي أن كلام الله غير مخلوق والذي يدل عليه كلام الطحاوي أنه تعالي لم يزل متكلما إذا شاء كيف شاء وأن نوع كلامه قديم , قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقة الأكبر قال والقرآن في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلي الألسن مقروء وعلي النبي ﷺ منزل ولفظنا بالقرآن مخلوق والقرآن غير مخلوق 0وما ذكر الله في القرآن عن موسي وغيره وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كلام الله إخبارا عنهم وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق والقرآن كلام الله لا كلامهم وسمع موسى كلام الله تعالى فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا - ويفهم من هنا الرد علي من يقول من أصحابه أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور ولا يسمع وإنما يخلق الله الصوت في الهواء والرد علي من يقول أنه حدث له وصف الكلام بعد أن لم يكن متكلما 0

ولا شك أن الله نفسه هو الذي تكلم والكلام قائم به لا بغيره وأنه هو الذي تكلم به وقال كما أخبر بذلك رسل الله , وكما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك " ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلي " [1] ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وهل بعقل قادر لا تقوم به القدرة أو حي لا تقوم به الحياة وقد قال ﷺ " أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر " [2] فهل يقول عاقل أنه ﷺ عاذ بمخلوق وقد استعاذ ﷺ بصفة من صفات الله تعالي - والحق أن التوراة والأنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة وكلام الله لا يتناهي فإنه لم يزل يتكلم بما شاء كيف شاء ولا يزال كذلك قال تعالي " قل لو كان

(1) رواه البخاري في الشهادات (2661 , 4141 , 4750) وفي مراجع أخري ومسلم في التوبة (2770 , 6882) والنسائي في التفسير في الكبـــرى (11 : 414) التحفة والترمذي في التفسير (3180) وأحمد (197/6) وابو داود (4735)

(2) أحمد (419/3) وابن السني في مل يوم والليلة (642) وإسناده صحيح والطبراني في كبير (3838) وفي المجمع (127/10)

البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا " [3] ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله لما حرم علي الجنب مسه بل لو كان يقرأه القارئ ليس كلام الله لما حرم علي الجنب قراءته 0بل كلام الله محفوظ في الصدور مقروء بالألسن 0 مكتوب في المصاحف وهو في هذه المواضع كلها حقيقة – وحقيقة كلام الله تعالي الخارجية هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه فإذا سمعه السامع وعلمه وحفظه فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو فإن كتبه فهو مكتوب له مسوم وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه قال تعالى " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " [4] وهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغه عن الله والآية تدل علي فساد قول من قال إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله فإنه تعالى قال " حتي يسمع كلام الله " ولم يقل حتي يسمع ما هو عبارة عن كلام الله أو حكاية كلام الله وليس فيها كلام الله وكلام الطحاوي يرد قول من قال إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه فإن الطحاوي رحمه الله قال كلام الله منه بدا وكذلك قال غيره من السلف منه بدا وإليه يعود – أي هو المتكلم به سبحانه فمنه بدا لا من بعض مخلوقاته كما قال تعالي " تنزل الكتاب من الله العزيز الحكيم " [5] وقال " ولكن حق القول مني " [6] ومعني قولهم وإليه يعود أي يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقي في الصدور منه آية ولا في المصاحف كما جاء في عدة آثار وقوله بلا كيفية أي لا تعرف كيفية تكلمه به قولا ليس بالمجاز وأنزله علي رسوله وحيا وصدقه المؤمنون علي ذلك وحقا وأيقنوا أنه كلام الله تعالي بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية 0

---

[3] سورة الكهف آية (109)
[4] سورة التوبة آية (6)
[5] سورة غافر آية (2)
[6] سورة السجدة آية (13)

وفي هذا رد علي من قال أن كلام الله هو معني واحد قائم بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به أن هنا كلام حقيقة والالتزام أن يكون الأخرس متكلما ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله 0 يقولون بأن الملك فهم منه معني قائما بنفسه لم يسمع منه حرفا ولا صوتا بل فهم معني مجردا ثم عبر عنه فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي وأن الله خلق بعض الأجسام كالهوى الذي هو دون الملك هذه العبارة – ولا شك أن من قال أن كلام الله معني واحد قائم بنفسه تعالي وأن المتلو المحفوظ المكتوب من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر ، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد آتوا بمثل كلام الله فأين عجزهم ويكون التالي في زعمهم قد حكي بصوت وحرف ما ليس بصوت ولا حرف وليس القرآن إلا سور مسورة وآيات مسطرة في صحف مطهرة وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين – أما قوله ومن سمعه وقال إنه كلام البشر فقد كفر فلا شك في تكفير من أنكر أن ا لقرآن كلام الله – وأما إذا أقر بأنه كلام الله ثم أول وحرف فقد وافق قول من قال " أن هذا إلا قول البشر " في بعض ما به كفر وأولئك الذين استزلهم الشيطان وأما قوله و لا يشبهه قول البشر يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق قال تعالي " ومن أصدق من الله قيلا "[1] ومن اصدق من الله حديثا "[2] فهو كلام الله منه بدا وإليه يعود الذي تحدى الله به الإنس والجن علي أن يأتوا بمثله المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة من سوره وإعجازه من جهة نظمه ومعناه .

---

(1) سورة النساء آية (122)
(2) سورة النساء آية (87)

بيـــان أن صفات الله لا تشبــه صفات البشــر

أما قوله " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر من أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر علم أنـه بصفاته ليس كالبشر "

لمـا ذكـر فيمـا تقدم أن القرآن كـلام الله حقيقـة منـه بـدا بعد ذلك علي أنــه تعالى بصفاته ليس كالبشر نفيا للتشبيه عقب الإثبات يعني أن الله وصف بأنـه متكلم لكن لا يوصف بمعني من معاني البشر التـي يكون الإنسان بها متكلمـا فإن الله لـيس كمثلـه شيء وهو السميع البصير وليس ما وصف به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهـا بـل صفـات الخـالق كلها كما يليق بـه - وصفات المخلوق كما يليق بـه فالمعطل يعبد عدماً والمشبه يبعد صنماً ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيـه فإنه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

رؤيــة الله تعالى والرد على دعاة التأويــل

أما قولـه (والرؤيـة حـق لأهل الجنـة بغير احاطـة ولا كيفيـة كما نطق بـه كتـاب ربنـا " وجـوه يومئـذ ناضـرة إلـي ربهـا ناظـرة " [1] وتفسيـره علـى مـا أراد الله تعالى وعلمـه وكـل مـا جـاء فـي ذلـك من الحديـث الصحيح عن رسول ﷺ فهـو كما قال ومعنـاه علـى ما أراد لا نـدخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنـا فإنـه ما سلم فـي دينـه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علـى ما اشتبـه عليـه إلـي عالمـه "وإعلم بأن الكتاب والسنـة قد دل علـى أن المؤمنين يرون ربهـم يـوم القيامـة ولذلك فإن المؤمنين يعتقدون اعتقاداً حازما بـأنهم يرون ربهـم بأبصارهم فـي عرصـة القيامـة وفـي الجنـة ويزورونـه ويكلمهـم ويكلمونـه قال تعالـى " وجـوه يومئـذ ناضـرة

---

[1] سـورة القيامــة آيــة (22 : 23)

إلي ربها ناظرة " [1] فأخبر تعالى عن وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيامة أنها حسنة بهية مشرقة مسرورة مما هم فيه من نعيم القلوب والنفوس ولذة الأرواح إلي ربها ناظرة أي تنظر إلي ربها عيانا بلا حجاب – وقال تعالى " للذين أحسنوا الحسني وزيادة " [2] فأخبر الله تعالى عن الأعمال الموصلة إلي دار السلام بقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أي للذين أحسنوا في عبادة الخالق فقاموا بما أوجبه الله عليهم من الأعمال والكف عما نهاهم عنه من المعاصي – وأحسنوا إلي عبادة الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي فحسنوا الاعتقاد وأحسنوا العمل وأحسنوا معرفة الصراط المستقيم فلهم الحسني وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلي وجه الله الكريم كما فسرها رسول الله ﷺ حيث قال ﷺ " إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ... الحديث " [3] ففيه أن العباد ينظرون إلي ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلي القمر ليلة البدر وأن الرؤية خاصة بالمؤمنين وأنها ستكون في الآخرة دون الدنيا وفيه تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير له وقدر ورد أحاديث كثيرة صحيحة صريحة تضمنت معنى هذه الآيات من أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى فألق لها سمعك واحضر لها قلبك وتأملها تأمل طالب الحق لا نافر عنه وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وإياك وسوء الظن بكلام الله وكلام رسوله فذلك الهلكة وما ضل من ضل وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله – فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلية البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في

---

[2] سورة يونس آية (26)

[3] أخرجه البخاري في الصلاة (554 , 7436) ومسلم في الصلاة (633 , 1407) وابو داود في السنة (4729) والترمذي في صفة الجنة (2551 , 2554) وابن ماجة في المقدمة (177) والنسائي في الصلاة والنعوت والتفسير في الكبرى (2 : 427 – 428) التحفة وابن منده (791) والطبراني في الكبير (2224 , 2225) وأحمد (36/4 – 365) وابن ابي عاصم (445)

رؤية الشمس ليس دونها السحاب قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك "[1] وعن صهيب رضي الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ " للذين أحسنوا الحسنة وزيادة " قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادي منادي يا أهل الجنة عن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة " [2] وقال أبو بكر رضي الله عنه وقرأ هذه الآية " للذين أحسنوا الحسنة وزيادة " فقالوا ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ قال النظر إلي وجه الله تبارك وتعالي وقال علي رضي الله عنه من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلي وجه الله تبارك وتعالي في جنته وقال حذيفة رضي الله عنه الزيادة النظر إلي وجه الله تبارك وتعالي 0وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلي بعض عماله أما بعد فأني أوصيك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة علي ما حملك الله ممن دينه واستحفظك من كتابه فإن بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته نجا أولياؤه من سخطه وبها وافقوا أنبياءه وبها نضرت وجوههم ونظروا إلي خالقهم وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة - وقال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالي " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " قال عبد الله من أراد النظر إلي وجه الله خالقه فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحدا 0وقال نعيم بن حماد سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل احدا عنه إلا عذبه ثم قرأ " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون " قال بالرؤية وقال عقبه بن قبيضة أتينا أبا نعيم يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال حدينا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن

---

[1] أخرجه البخاري في التوحيد (7437) وفي الرقاق (6573) ومسلم في الإيمان والنسائي في الصلاة (2 : 229) والطيالس (2382) وابو داود في السنة (473) والترمذي في الجنة (2554 , 2560) وابن ماجه في المقدمة (178 , 179) وابن منده في الايمان (802 , 803) واللالكائي (814 – 824) والآجري في الشريعة (صـ 259) والحميدي (1178) وابن ابي عاصم (443 – 447) وأحمد (2

[2] أخرجه مسلم في الإيمان (181 , 442) والترمذي في صفة الجنة (3104 , 2552) وابن ماجة في المقدمة (187) والنسائي في النعوت والتفسير (4 : 198) واحمد (332/4 , 333) والطيالس (13/5) والطبري (17626) والأجري (صـ 261)



معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى " يعني بشر المريسي قبحه الله " وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى الناس ينظرون إلي ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم 0وسئل رحمه الله عن قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة " أتنظر إلي الله عز وجل قال نعم قال أشهب فقلت إن أقوامنا يقولون تنظر ما عنده قال بل تنظر إليه نظرا وقال موسي " رب أرني انظر إليك قال لن تراني " [3] وقال تعالي " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " [4] وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله عز وجل " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " فقال الشافعي رحمه الله تعالى : لما أنه حجب هؤلاء في السخط كان هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا 0 قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول قال نعم وبه أدين لله عز وجل وإن لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل 0 وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال إن الله يرى في الآخرة فغضب غضباً شديدا ثم قال من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر وعليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل " وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة " [1] وقال " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "[2] وقال ابو طالب قال ابو عبد الله قول الله عز وجل " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة " [3] وقال " وجاء ربك والملك صفا صفا " [4] فمن قال أن الله لا يرى فقد كفر ، وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى " لن تراني " [5] ويقوله تعالى " لا تدركه الأبصار " [6] فالجواب عن ذلك :-

---

(3) سورة الأعراف آية (143)
(4) ا سورة المطففين آية (15)
(1) سورة القيامة آية (22 : 23)
(2) سورة المطففين آية (15)
(3) سورة البقرة آية (210)
(4) سورة الفجـ{ة آية (46)
(5) سورة الأعراف آية (143)
(6) سورة الأنعام آية (103)

أولاً : أما الاستدلال بالآية الأولي علي ثبوت رؤيته هو الصواب وذلك لأنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هو عنهم من أعظم المحال 0

ثانيا : أن الله لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال " إني أعظك أن تكون من الجاهلين " [7] 0

ثالثا : أنه تعالى قال " لن تراني " ولم يقل إني لا أُرى أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي والفرق بين الجوابين ظاهر ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما فقال أطعمنيه فالجواب الصحيح أنه لا يؤكل أما إذا كان طعاما صح أن يقال إنك لن تأكله – وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ولكن موسي لا تحتمل فواه رؤيته في هذا الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه قوله تعالى " ولكن انظر إلي الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني " [8] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف قال تعالى " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا " [9] فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله و أولياءه في دار كرامته ولكن الله ألأعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف و إذا كان الله قد كلم موسي وناداه وناجاه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة فرؤيته أولي بالجواز ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه وهؤلاء قد جمعوا بينهم نسأل الله العافية وأما الآية الثانية فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية وأما لعدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به أحد وإنما يمدح الرب تعالى النفي إذا تضمن أمراً وجوديا كمدحه بنفس السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والإعياء

---

[7] سورة هود آية (46)
[8] سورة الأعراف آية (143)
[9] سورة الأعراف آية (143)

المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والألوهية وقهره ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه ونفي الشفاعه عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وغناه ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتيا فإن العدم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فإن المعنى أنه لا يرى ولا يدرك ولا يحاط به فقوله تعالي " لا تدركه الأبصار " يتدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به 0 فم ينف موسى الرؤية وإنما نفي الإدراك فالرؤية ثابته فهو سبحانه وتعالى يرى في الآخرة ولا يدرك 0 كما أننا نرى هذه الشمس المخلوقة ولا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه واعلم بأن هذا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة والصريحة وهذه أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهدى كلها مجتمعة على أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى في الجنة ويتلذذون بالنظر إلي وجهه الكريم وذلك غاية النعيم وأعلى الكرامات و أفضل فضيلة ولذا يذهلون بالنظر إليه عن كل ما هم فيه من النعيم فنحن نؤمن بذلك كله ونشهد الله تعالى وملائكته وأنبيائه ورسله والمؤمنين علي ذلك ونضرع إلي الله تعالى وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزقنا لذة النظر إلي وجه تعالى في جنة عدن وأن لا يحجبنا عنه فنكون من الذين أخبر عنهم أنهم يومئذ لمحجوبون نعوذ بالله من ذلك 0 ومن أراد معرفة الحق فليواظب علي سماع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فإن فيها إثبات الرؤية وأن الله تعالى يكلم من شاء إذا شاء وأنه يأتي لفصل القضاء يوم القيامة وانه فوق العالم وأنه على العرش استوى وأنه يتجلى لعباده وأنه يضحك وأنه يناديهم إلي غير ذلك من الصفات و كيف نعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكيف يفسر كتاب الله بغير ما فسره به

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم الذين نزل القرآن بلغتهم : بل إننا نقول كيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة وإنما يتلقاه من قول فلان وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينظر فيها ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان الثقات الذين تخيرهم النقاد فإنهم لم ينقلوا لنا نظم القرآن وحده بل نقلوا لنا نظمه ومعناه ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان بل كانون يتعلمونه بمعانيه ولا شك أن من لم يسلك سبيلهم فإنه يتلكم برأيه ومن تكلم برأيه في كتاب الله فهو مأثوم و إن أصاب 0

أما قوله والرؤية حق لأهل الجنة وفي تخصيص أهل الجنة بالرؤية يفهم منه نفي الرؤية عن غيرهم ولا شك في رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقول ألم أبعث إليك رسولا يبلغك فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطيك مالا وأفضل عليك فيقول بلى يا رب " [1] ويدل عليه قوله تعالى " تحيتهم يوم يلقونه سلام " [2] واختلف في رؤية أهل المحشر في ثلاثة أقوال :0

الأول : أنه لا يراه إلا المؤمنون 0

الثاني : يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك

الثالث : يراه مع المؤمنون المنافقون دون بقية الكفار وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف واتفقت الآمة على أنه يراه لا أحد في الدنيا بعينه ولم يأتي في ذلك خلاف إلا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة فمنهم ممن أثبت الرؤية للنبي ﷺ بالعين ولكن ينبغي أن يعلم أن ما ينسب إلي ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ

(1) رواه مسلم في الزكاة (1016 . 67 . 2310) والبخاري في الرقاق (1413 , 6539) والترمذي في صفة القيامة (2415) وابن ماجة في المقدمة (185) والنسائي في الزكاة (5 : 75) واللالكائي (834) وأحمد (4/256 – 377) والآجري في الشريعة (صـ 269 – 270)

(2) سورة الأحزاب آية (44)

رآه بعينه فهو ضعيف وروى عطاء عنه أي عن ابن عباس أنه ﷺ رآه بقلبه " [3] أما القول بأنه رأه بقلبه فقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس – وأما القول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص 0 واعلم بأن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه بل ورد ما يتدل على نفي الرؤية وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ هل رأي ربك فقال نور أني أراه " وفي رواية " رأيت نورا "[4]0وقد روى مسلم أيضا عن موسى الأشعري رضي الله عنه انه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " [5] فهذا صريح 0

أما قوله والرؤية حق لأهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا " وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة " [6] فقوله بغير احاطة ولا كيفية هذا لكمال عظمته وبهائه سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به كما أنه سبحانه يُعلم ولا يُحاط به علما قال تعالى "لا تدركه الأبصار " [7]

وقال تعالى " ولا يحيطون به علما " [8] أما قوله وتفسيره عل ما أراد الله وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا 0وفي هذا رد على المعتزلة وغيرهم في تعاملهم مع نصوص الكتاب والسنة في الرؤية وذلك تحريف

---

[3] أخرجه مسلم (429) وورد أيضا في صحيح مسلم عن أبي العالية عن ابن عباس أنه قال رآه بفؤاده مرتين , زمسلم الايمان (430) ومسلم أيضا (176) والطبري (27 / 52) والترمذي ((3281) وابن خزيمة في التوحيد (صـ 131) واللالكائي (910 – 911)

[4] أخرجه مسلم في الإيمان (178 , 436 , 437) والترمذي في التفسير (3282) وابن منده في الايمان (770) واحمد (147/5) والدراني في الرد علي الجهمية (صـ 49) وأورد السيوطي في الدر المنثور عن الدارقطني (191/6)

[5] أخرجه مسلم في الإيمان (189 , 438) وابن ماجه في المقدمة (195 , 196) وأحمد (405/4) وابن منده (775 – 778) وابن حبان (266) وابن خزيمة توحيد (صـ 49) والآجرة شريعة (صـ 304) والبيهقي أسماء وصفات (صـ 180 – 181)

[6] سورة القيامة آيـة (22 : 23)

[7] سـورة الأنعـام آيـة (103)

[8] سـورة طـه آيـة (110)

لكلام الله وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة والفاسد المخالف لها فكل تأويل لم يدل عليه دليل السياق ولا معه قرينة تقتضيه فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه إذ لو قصده لحف الكلام بالقرائن التي تدل علي المعني المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ فإن الله أنزل كلامه بياناً وهدى فإذا أراد به خلاف ظاهره ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلي فهم كل أحد لم يكن بياناً ولا هدى فالتأويل إخبار بمراد المتكلم لا إنشاء 0 وفي هذا الموضوع يغلط كثير من الناس فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه فإذا قيل معنى اللفظ كذا كذا كان إخبار بالذي عن المتكلم فإن لم يكن الخبر مطابقاً كان كذبا على المتكلم ويعرف مراد المتكلم بطرق متعددة منها أن يصرح بإرادة ذلك المعنى 0 ومها أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع ولا يبين بقرينه تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعني 0 فكيف إذا حف بكلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقه وما وضع له كقوله " وكلم الله موسي تكليما "[1] وقوله ﷺ " إنكم ترون ربكم عيانا كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب "[2] فهذا مما يقطع به السامع له بمراد المتكلم فإذا تأول الكلام بما لا يدل عليه ولا اقترن به ما يدل عليه فإخباره بأن هذا مراد كذب عليه وهو تأويل بالرأي وتوهم بالنظر 0ولكن إذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة كان صادقاً في إخباره .

كمال الانقياد فى التسليم لله ولرسولـه

أما قوله (فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلي عالمه) أي سلم لنصوص الكتاب والسنة ولم يعترض عليها

---

(1) سورة النساء آية (164)
(2) تقدمــت

بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة أو بقوله العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل والعقل أصل النقل فإذا عارضه قدمنا العقل وهذا لا يكون قط لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك فإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح إذا للمعارضة فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً ولكننا نقول لهؤلاء إذا تعارض العقل والنقل الصحيح وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقضين ورفعها رفع النقضين وتقديم العقل ممتنع لأن العقل قد دل عل صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل 0

لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء فكان تقديم موجبا عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه لأنه إذا لم يكن دليلا لم يجز أن يتبع بحال فضلا عن أن يقدم فصار تقديم العقل علي النقل قدحا في العقل لأن العقل هو الذي دل علي صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلا صحيحا 0 إذاً فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسيمه معقولا أو نحمله شبهة أو شكا أو نقدم عليه أراء الرجال وزبالة أذهانهم فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نوحد المرسل وهو الله بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاه للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسل وهو الله سبحانه وتعالى وتوحيد متابعة الرسول فلا نحاكم إلي غيره ولا نرضى بحكم غيره ولا نوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره علي عرضه علي قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه فإن أذنوا له نفذه وقيل خبره و إلا طلب السلامة وفوضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره وإلا حرفه عن مواضعه وسمي تحريفه تأويلا وحملا فقال نؤوله

ونحمله فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأى فلان وكلامه ومذهبه بل كان الغرض المبادرة إلي امتثاله من غير التفات إلي سواه يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان بل يستشكل الآراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل نهدر الأقيسة ونتلقى نصوصه بالتسليم ولا نحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يوافق قبول قوله على موافقة فلان دون فلان كائنا من كان ولا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم قال تعالى " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " [1] وقال تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم " [2] فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه فيصدق بأنه حق وما سواه من كلام سائر الناس يعرضه عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل وإن لم يعلم هل خالفه أو وافقه فإنه يمسك عنه ولا يتكلم إلا بعلم والعلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ وقد يكون علم من غير الرسول لكن في الأمور الدنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة 0 وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية فهذا العلم فيها ما أخذ عن الرسول ﷺ لا غيره .

---

[1] الأعراف آية (33)
[2] سورة الإسراء آية (36)

تقديـم الشـــرع والاتبـاع على العقـــل

أما قوله " ولا تثبت قدم الإسلام إلا علي ظهر التسليم والاستسلام " أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقاد إليها ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيـه و معقوله وقياسه كما قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التسليم 0 والعاقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى لا يجوز عليه الخطأ فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره وقد علمنا الاضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول هذا القرآن الذي تلقيـه علينا والحكمة التي جئتنا بها قد تضمن كل منهما أشياء كثيرة تتناقض ما علمناه بعقولنا ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحاً في ما علمنا به صدقك فنحن نعتقد موجب العقول الناقصة لما ظهر من كلامك وكلامك نعرض عنه لا نتلقى منه هديا ولا علما لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول بهذا بل يعلم أنه هذا لو ساغ لأمكن كل أحد أن يؤمن بشيء مما جاء به الرسول ﷺ إذ العقول متفاوتة والشبهات كثيرة والشياطين لا تزال تلقي الوسواس في النفوس فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول ﷺ وما أمر به وقد قال تعالى " وما على الرسول إلا البلاغ " وقال تعالى " فهل على الرسل إلا البلاغ المبين " وقال تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء " وقال تعالى " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين " وقال تعالى " حم والكتاب المبين " وقال تلك آيات الكتاب المبين " وقال تعالى " ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين " فأمر الإيمان بالله واليوم الآخر إما أن يكون

الرسول تكلم فيه بما يدل علي الحق أم لا والثاني باطل 0 وإن كان تكلم بما يدل على الحق بألفاظ مجملة محتملة فما بلغ البلاغ المبين وقد شهد له خير القرون بالبلاغ وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين وقد افترى عليه صلى الله عليه وسلم 0 أما قوله " فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان "

التحذير من الكلام فى الدين بغير علم

هذا تحذير من أن يتكلم أحج في أصول الدين بل وفي غيرها بغير علم وقد قال تعلى " ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا " وقال تعالى " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلي عذاب السعير " وقال تعالى " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق " وقال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين " وقال تعالى " إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى " وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل " ثم تلا " ما ضربوه لك إلا جدلا " وقال رسول الله ﷺ " إن أبغض الرجال إلي الله الألد الخصيم " واعلم أنه مما لا شك فيه أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده فإنه يقول برأيه وهواه ويقلد ذي رأي وهوى بغير هدى من الله فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول فأنه قد اتخذه في ذلك إلها غير الله قال تعالى " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه " أي أنه عبد

ما تهواه نفسه وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه :

رأيت الذنوب تميت القلوب *** وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب *** وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك *** وأخبار سوء ورهبانها

والملوك الجائرة يعترضون علي الشريعة بالسياسات الجائرة ويعارضونها بها ويقدمونها علي حكم الله ورسوله وأخبار السوء 0 وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة تخليل ما حرم الله ورسوله وتحريم ما أباحه واعتبار ما ألفاه ما اعتبره واطلاق ما قيده وتقييد ما أطلقه ونحو ذلك والرهبان وهم جهال المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة تشريع دين لم يأذن به الله وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس فقال الأولون إذا تعارضت الساسة والشرع قدمنا السياسة وقال الآخرون إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وقال أصحاب الذوق إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف 0واعلم بأن الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أئمة الحديث من السلف ذهبوا إلي تحريم علم الكلام لما يتولد منه من الشر وقد قال ﷺ " هلك المتنطعون " وقالوا بأن ذلك لو كان من الدين لكنا أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثني على أربابه 0 ولما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم 0 وما كرهوه إلا لاشتماله علي أمور كاذبة مخالفة للحق ومن ذلك مخالفتها للكتاب والسنة وما فيه من علوم صحيحة فقد وعروا الطريق إلي تحصيلها مع قلة نقلها فهي لحم جمل على رأس حبل وعر ولا سهل فيرتقي ولا سمين فينتقي وأحسن ما عندهم فهو في القرآن أصح تقريرا وأحسن تفسيرا فلس عندهم إلا التكليف

والتطويل والتقييد – واعلم أنه من المحال أن يحصل الشفاء والهدى والعلم اليقين من كتاب الله وكلام رسوله ويحصل من كلام هؤلاء المتحيرين بل الواجب علي كل مكلف بأن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل ويتدبر معناه ويعقله ويعرف برهانه ودليله العقلي والسمعي ويعرف دلالته على هذا وهذا 0 وسبب الإضلال هو الإعراض عن تدبر كلام الله وكلام رسوله ﷺ واعلم بأن كل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر به بل قال " أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " وقال تعالى " من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولي فما أرسلناك عليهم حفيظا " وقال تعالى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم " وقال تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت 0ويسلموا تسليما " فأقسم سبحانه وتعالى بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليما "

(بيان حال من قدم عقله علي الكتاب والسنة)

أما قوله " فيتذبذب بن الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسا تائها شاكا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا "

وهذه الحالة التي وصفها الشيخ رحمه الله حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلي علم الكلام المذموم أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة وعند التعارضيتـــــأول النص ويرده إلي الرأي والآراء المختلفة فيؤول أمره إلي الحيرة والضلال والشك كما صرح بذلك كل من سار في هذا الطريق ثم تاب عليه وعاد إلي رشده وصوابه وعلم أنه قد أفني عمره فيما لا يفيد ثم أعرض عن تلك الطرق كلها وأقبل على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما فعل أبو حامد الغزالي حيث مات وصحيح الإمام البخاري على صدره وكذلك ابو عبد الله محمد بن عمر الرازي , وابو المعالي الجوني فقد نصح اخوانه قائلا يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام 0فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي

إلي ما بلغ ما اشتغلت به وقال عند موته لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن فإن لم يتداركنى ربي برحمته فالويل لاين الجويني وها أنا ذا أمرت على عقيدة أمي 0قال الشافعي رحمه الله : حكمى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد النعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام وقال لقد اطلعت من أهل الكلام علي شيء ما ظننت مسلماً يقوله ولأن يبتلي العبد بكل ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خيرا له من أن يبتلى بالكلام 0واعلم بأن النافع لمثل هذا المرض ما كان طبيب القلوب صلوات الله وسلامه عليه يقوله إذا قام من الليل يفتتح الصلاة " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض علم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيم كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلي صراط مستقيم " فأنه صلى الله عليه وسلم توجه إلي الله بربوبيته فهو رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق إذ حياة القلوب بالهداية وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة بجبرائيل موكل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان واسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة الأبدان وحياة العالم وعود الأرواح إلي أجسادها فالتوسل إلي الله سبحانه وتعالى بربوبيته هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير عظيم في حصول المطلوب.

بيـــان حقيقـــة الرؤيـــة

أما قوله بعد ذلك ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معني يضاف إلي الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق النفي

والتشبيه زل ولم يصب التنزيه " وفي هذا رد علي المعتزلة ومن يقو بقولهم في نفي الرؤية وعلي من يشبه الله بشيء من خلقه فإن النبي ﷺ قال " إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر " واعلم بأن (نرى) تارة تكون بصرية وتارة تكون قلبية , وتارة تكون من رؤيا الحلم وغير ذلك ولكن ما يخلوا الكلام من قرينة تبين أحد معانيها وإلا لو أخلي المتكلم كلامه من القرينة المخلصة لأحد المعاني لكان مجملاً ملغزا لا مبيناً موضحاً وأي بيان وقرينه فوق قوله " ترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب " فهل مثل هذا مما يتعلق بالبصر أو رؤية القلب وهل يخفي مثل هذا إلا على من أعمى الله قلبه " فإن قالوا ألجأنا إلي هذا التأويل حكم العقل بأن رؤيته تعالى محال لا يتصور إمكانها فالجواب أن هذه دعوى منكم خالفكم فيها أكثر العقلاء وليس في العقل ما يحيلها كذلك لا يتوهم أحد أن الله تعالى يرى على صفة كذا فيتوهم تشبيها ثم بعد هذا التوهم إن أثبت ما توهمه من الوصف فهو مشبه وإن نفي الرؤية من أصلها لأجل ذلك التوهم فهو جاحد معطل بل الواجب ذلك الوهم وجده ولا يعم بنفيه الحق والباطل فينفيهما رداً على من اثبت الباطل بل الواجب رد الباطل وإثبات الحق ولهذا قال الشيخ رحمه الله تعالى ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه 0 وفي هذا رد على المعتزلة الذين يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال إذ المعدوم لا يرى وإنما الكمال في إثبات الرؤية و نفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة كما أن العلم صفة كمال ونفي العلم به ليس بكمال وإنما الكمال في إثبات العلم ونفي الاحاطة به علما فهو سبحانه لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علما كذلك بتأولها بفهم يخالف ظاهرها وما يفهمه كل عربي من معناها فلا ندخل بأهوائنا علي النصوص متأوليين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا وإذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلي الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين – ومراد الشيخ ترك التأويل الذي يسميه

الأهـواء تأويـل وهو تحريـف وهو مـن القول علـي الله بـلا علـم - فمـراده إذاً تـرك التأويـلات الفاسـدة المبتدعة المخالفة لمذهب السلف التـي يـدل الكتاب والسنـة على فسادهـا ومـن التـأويلات الفاسدة تأويل أدلـة الرؤيـة وأدلـة العلـو وأنـه يكلم موسـى تكليما ولم يتخذ إبراهيـم خليـلا - أما التأويـل الذي هـو الحقيقـة التـي يـؤول إليهـا الكـلام فتأويل الخبر هو عين المخبر بـه وتأويل الأمر نفس الفعل المأمور به كما قالت عائشـة رضـي الله عنهـا " كـان رسول الله ﷺ يقول فـي ركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لـي " يتأول القرآن فهذا التأويـل الذي فـي كتـاب الله وسنـة رسـوله صلـى الله عليـه وسلم قـال الله تعالـى " هـل ينظرون إلا تأويلـه يـوم يـأتي تأويلـه يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنـا الحق " ومنـه تأويل الرؤيا وتأويل العمل كقولـه تعالـى " هذا تأويل رؤيـاي من قبل " وقولـه " ويعلمك تأويل الأحاديث " وقولـه تعالى " سأنبك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا " إلي قولـه تعالي " ذلك تأويل مـا لـم تستطع عليـه صبرا " فمن الذي ينكر وقوع هذا التأويـل والعلم بما تعلق بالأمر والنهي منه وأما ما كان خيراً كالإخبار عن الله واليوم الآخر . فهذا قد لا يعلم تأويله الذي هو حقيقته إذا كانت لا تعلم بمجرد الإخبار لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأله نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المخاطب إياه ومن هذا نعلـم أننـا لسنـا مطالبين فـي آيات الأسماء والصفات بمعرفة كيفيتها وإن كما نعلـم المعنـى فنقـول كمـا قـال الإمـام الاستواء معلـوم والكيـف مجهـول والإيمـان بـه واجـب وكذلك نقول في جميع الأسماء والصفات - إذا يجب أن يعلم بأن التأويل الصحيح هو الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما خالف ذلك فهو من التأويل الفاسد والأخبار التي فيها من صفات الله تعالى ما يؤدي ظاهره إلـي التشبيه فإننـا نمرها كما جاءت ونؤمن بها ولا نقول كيف وكيف ويجب أن نعلم أن المعنـي الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه وأن منـه فهم ذلك منـه فهو لقصور فهمـه ونقص علمه كما أن الخوض في علم الكلام هو الذي جعل كثيرا ممن خاض فـي هذا

العلم المذموم ينصح غيره بعد أن تبين له الحق والصواب بعدم الاشتغال بهذا الكلام المذموم حتى لا يؤول مصيره إلي الحيرة والضلال والشك فهذا ابو عبد الله بن عمر الرازي يقول :

نهاية إقدام العقول عقال *** وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا *** وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا *** سوى أن جمعنا به قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة *** فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفتها *** رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلمية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات (الرحمن علي العرش استوى (
(وإليه يصعد الكلم الطيب) واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء)(ولا يحيطون به علما) ثم قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي 0 واعلم بأن التأويل في كلام المفسرين المعتبرين معناه التفسير أي تفسير الكلام وبيان معناه وهذا التأويل الذي هو بمعني التفسير يحمد حقه ويرد باطله ولقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول إنا من الراسخين في العلم يعلمون تأويله ولقد صدق رضي الله عنه فإن النبي ﷺ دعا له وقال " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل " وقد توافرت النقول عنه أنه تكلم في جميع معاني القرآن ولم يقل عن آية أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا لله أما قوله " ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه " وذلك لأن النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب.

أسباب أمراض القلــوب

أمراض القلوب نوعان :

الأول : مرض شبهة والثانـي : مرض شهوة وكلاهمـا في القرآن

قال تعالى في ذكر من كان قلبه مرض شهوة " فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض " وقال فيمن كان في قلبـه مرض شبهـة " في قلوبهـم مرض فزادهم الله مرضا " وقال تعالى " وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلي رجسهـم " فهذا مرض الشبهة وهو أردأ من مرض الشهـوة إذ مرض الشهـوة يرجـي لـه الشفـاء ويقضـاء الشهـوة , أما مـرض الشبهة لا شفـاء لـه إن لـم يتداركـه الله برحمتـه - واعلم بـأن الشبهـة التي فـي مسألة الصفات نفيها وتشبيهها وشبه النفي أردأ من شبه التشبيه فإن شبه النفي رد وتكذيب لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وشبه التشبيه علو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول ﷺ وتشبيـه الله بخلقـه كفر فإن الله تعالى يقول " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " و نفي الصفات كفر وهذا أصل نوعي التشبيه فإن التشبيه نوعان :-

الأول تشبيه الخالق بالمخلوق وهذا الذي يتعب أهل الكلام في رده وإبطاله

والثاني : تشبيه المخلوق بالخالق : كعبادة المشايخ , والصالحين , والأولياء , والأصنام والقبور , والجن , والملائكـة - وهؤلاء الذين أرسلت لـه الرسل يدعونهم غلي عبادة الله وحده لا شريك له

(تنزيه الله عز وجل عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات)

أما قوله " فإن ربنا جلا وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه أحد من البرية وتعالى عن الحدودية والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعـات "

اعلم بأن الشيخ رحمه الله تعالى بشير إلي تنزيه الرب تعالى بإثبات ما وصف به نفسه كما وصف سبحانه نفسه نفياً وإثباتا0وكلام الشيخ مأخوذ من معنى سورة

الإخلاص فقوله موصوف بصفات الوحدانية مأخوذ من قوله تعالى " قل هو الله أحد الله الصمد " وقوله منعوت بنعوت الفردانية مأخوذ من قوله " الله الصمد لم يلد ولم يولد " وقوله ليس في معناه أحد من البرية مأخوذ من قوله تعالي " ولم يكن له كفواً أحد " واعلم بأن الوصف والنعت مترادفان وقيل متقاربان وقيل في الفرق بينهما بأن الوحدانية للذات والفردانية للصفات فهو تعالي موحد في ذاته " ليس كمثله شيء " أكمل في التنزيه من قوله ليس في معناه أحد من البرية 0ثم رد المؤلف رحمه الله تعالى بعد ذلك علي المجسمة والمشبهة الذين يصفون الله بأن له جسماً وأعضاء وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – والرد على المعطلة الذين ينفون علوه تعالى على خلقه وأنه بائن من خلقه – وقد صرح بعضهم بأنه تعالى موجود في كل الوجود وهذا معناه حلول الله تعالى في مخلوقاته وأنه محاط بالجهات الست المخلوقة وليس فوقها فنفي المؤلف ذلك كما بينه الشارح بهذا الكلام ولكن قد يستغل ذلك بعض المبتدعة ويتأولونه بما قد يؤدي إلي التعطيل – واعلم بأننا ليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله ﷺ نفيا ولا اثباتا وإنما نحن متبعون لا مبتدعون فالواجب أن ينظر في هذا الباب أعني باب لصفات فما أثبته الله ورسوله أثبتناه وما نفاه الله ورسوله ﷺ نفيناه والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي فنثبت ما أثبته الله ورسوله ﷺ من الألفاظ والمعاني و أما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتي ينظر في مقصود قائلها فإن كان المعنى صحيحاً قبل لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد – وذلك كلفظ الجهة فلو أن قائل قال هل نثبت لله تعالى جهة قلنا له لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباتا ولا نفيا ويغني عنه ما ثبت فيها من أن الله تعالى في المساء مستوي علي عرشه – وأما إذا كان معناه أن يراد به جهة سفل فهذا باطل لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع , و إما إذا أراد به جهة علو



تحيط بالله فهذا أيضا باطل لأن الله تعالى أعظم منم أن يحيط به شيء من مخلوقاته , وأما إذا أراد به جهة علو لا تحيط ب سبحانه فهذا حق لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته - ولذلك كان السلف الصالح متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حد وأنهم لا يجدون شيئا من صفاته ولا يشبهون ولا يمثلون وكانوا يروون الحديث ولا يقولون كيف وإذا سئلوا قالوا بالأثر سئل عبد لله بن المبارك بم نعرف ربنا قال – بأنه على العرش بائن من خلقه قيل بحد قال بحد ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره , والله تعالى غير جال في خلقه ولا قائم بهم بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه – قال ابو حنفيه في الفقه الاكبر رضي الله عنه في وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم له يد ووجه ونفس كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والنفس فهو له صفة فلا كيف ولا يقال أن يده قدرته ونعمته أنه فيه إبطال الصفة 0 وهذا الذي قاله الإمام ثابت بالأدلة القطعية 0قال تعالي في صفة اليدين " ما منعك أن تسجد لم خلقت بيدي " فالله تعالى يقول علي سبيل الإنكار والتوبيخ يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي , أي شيء منعك وصرفك وصدك عن السجود لما توليت خلقه بيدي من غير واسطة وفي تثنية اليد أعظم دلالة على أنها ليست بمعني القدرة أو القوة بل للدلالة علي أنها صفات من صفاته وفي هذه الآية إثبات صفة اليدين وهما من الصفات الذاتية , وفيها أيضا أن الله أراد من إبليس كونا وقدراً أن لا يسجد لآدم وأراد منه ديناً وشرعاً أن يسجد بأبي أبليس قبحه الله , وفيها أيضا إثبات صفة الخلق وهي من الصفات الذاتية الفعلية وإثبات صفة الكلام وهي أيضا من الصفات الذاتية الفعلية والرد على من أنكر شيئا من الصفات أو أولها بتأويل باطل 0 وفيها أيضا إثبات قدرة الله التي لا يعجزها شيء وهي من الصفات الذاتية وقال تعالى " وما قدرا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه " فلو كان مجازاً



في القدرة والنعمة لم يستعمل لفظ اليمين , وفي الحديث الصحيح " المقسطون علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين " فلا يقال هذه يد النعمة والقدرة وقوله صلى الله عليه وسلم " يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك " فهنا هز وقبض وذكر يدين ولما أخبر ﷺ جعل يقبض يديه ويبسطها تحقيقاً للصفة لا تشبيها لها - وقد ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً مقرونا بما يدل علي أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة و النفح باليد والخلق باليدين وكتب التوراة بيده وغرس جنته عدن بيده وقوف العبد بين يديه وكون المقسطين عن يمينه وقيام رسول الله يوم القيامة عن يمينه وأنه مسح ظهر أدم بيده إلي غير ذلك من الأدلة التي تكاد لا تحصى في مثل هذه الرسالة 0

وأما صفة الوجه فقد قال تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " وقال تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه " ففي الآية الأولي يخبر تعالى أن كل من على الأرض يعدم ويموت ويبقى وجهه سبحانه وقد دل الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة أما الكتاب فهذه الآية والتي بعدها فيها إثبات الوجه على الوجه اللائق بجلاله وعظمته وأما السنة فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ بوجه الله وكان يقول في دعائه " أسألك لذة النظر إلي وجهك " وفي الآية الثانية إثبات الوجه لله وبأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت وهو الذي خلق الموت والحياة وفي هاتين الآيتين الرد عى من أنكر صفة الوجه أو أولها بتأويل باطل 0

أما صفة النفس : فقد قال تعالى " تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك " وقال تعالى " كتب ربكم علي نفسه الرحمة " وقال تعالى " واصطنعتك لنفسي " وقال تعالى " ويحذركم الله نفسه "

صفة المجيء والنزول :- فقد قال تعالى " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله – الآية " فيخبر تعالى ويقول هل ينظر الكفار الساعون في الأرض بالفساد التاركون الدخول في السلم المتبعون لخطوات الشيطان النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال الذي قد مليء من الأهوال والشدائد والفظائع التي تقلقل قلوب الظالمين وذلك أن الله تعالى يطوي السموات وتنتشر الكواكب وتكور الشمس وتنزل الملائكة فتحيط بالخلائق وينزل الجبار في ظلل من الغمام للفصل بالقضاء بين العباد بالعدل 0 وفي هذه الآية دليل لمذهب السلف المثبتين للصفات الاختيارية كالإتيان علي ما يليق بجلاله وعظمته – قال تعالى " هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك " وقال تعالى " وجاء ربك والملك صفا صفا " واعلم بان المجيء والإتيان المضافين إلي الله تعالى نوعان – مطلق , مقيد فإن كان مجيء رحمته وعذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما قال تعالى " ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم " وكما جاء في الحديث " أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي "

أما النوع الثاني وهو الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله " وقوله تعالى " وجاء ربك والملك صفا صفا "

أما صفة النزول فقد ورد أيضا في الحديث قوله " ينزل ربنا إلي السماء الدنيا " فأخبر صلى الله عليه وسلم بنزول ربنا جل وعلا كل ليلة إلي السماء الدنيا وأنه من لطفه بعباده وإحسانه إليهم يحثهم ويرغبهم في دعائه واستغفاره وسؤاله ويتكفل لهم جلا وعلا بالإجابة ففي هذا الحديث إثبات صفة النزول وإثبات علو الله وإثبات الجهة وأنه فوق الخلق وإثبات صفة الكلام لله وهي ممن الصفات الذاتية الفعلية وإثبات الأفعال الاختيارية والرد على من أنكر صفة النزول أو أولها بتأويل باطل – وإثبات أن كلام الله بحرف وصوت وقرب الله من خلقه وأفضلية ثلث الليل الأخير 0

أما صفة المحبة والمودة : فقد وردت في قوله تعالى " وأحسنوا إن الله يحب المحسنين " والإحسان ضد الإساءة وهو نوعان أحدهما : إحسان في عبادة الخالق كما فسره صلى الله عليه وسلم في الحديث " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "

الثاني : الإحسان إلي المخلوق : فهو إما أن يكون في إبطال النفع الديني والدنيوي إليه ويدخل في ذلك انفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الظالمين ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات و إما أن يكون بدفع الضرر عنهم بحسب استطاعته وفي هذه الآية إثبات صفة المحبة لله علي ما يليق بجلاله وعظمته وان محبته الله تتفاضل فبعض العباد أعلا محبة من الآخر عند الله لأن الجزاء من جنس العمل - قال تعالى " وأقسطوا إن الله يحب المقسطين " وقال تعالى " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " وقال تعالى " إن الله يحب المتقين " وقال تعالى " قل إن كمنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم " فأخبر تعالى بأنه هو الغني عن العالمين وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه وأن لله عباداً مخلصين ورجالاً صادقين قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم ووعد بالاتيان بهم وأنهم أكمل الخلق أوصافاً وأقواهم نفوساً وأحسنهم أخلاقاً وأن من أجل صفاتهم أن الله يحبهم فجمعوا بين المجاهدة في سبيل الله وعدم خوف الملامة في الدين لا يبالون بما يفعله أعداء الدين الإسلامي وما يفعله حزب الشيطان من ازدراء بأهل الدين وقلب محاسنهم مساوئ حسداً وبغضا وكراهة للحق وأهله هم الرجال وغبن أن يقال لمن لم يتصف بمعالي وصفهم رجل 0

أما صفة المغفرة : فإن من أسمائه تعالى الغفور والغفار وهو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها وفي الآية " إن ربك واسع المغفرة " وفي الحديث أيضاً " يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة " قال ابن القيم رحمه الله 0

وهو الغفور فلو آتي بقرابها من غير شرك بل من العصيان
لاقاه بالغفران مثل قرابها سبحانه هوا واسع الغفران

أما صفة الودود : فمعناه المحب المحبوب فالحب الكثير الحب لأهل طاعته وهو سبحانه محبوبهم ولا تعادل محبة الله عند أصفيائه محبة أخرى وهذا هو الواجب ويتعين أن تكون المحاب تبعاً لها لأن محبة الله هي روح الأعمال وجميع العبودية الظاهرة والباطنة تبع لها ومحبة العبد لربه فضل من ربه وإحسان وليست بحول العبد وقوته فهو الذي أحب عبده فوفقه وجعل المحبة في قلبه ثم لما أحبه جازاه بحب أخر وفي الآية إثبات صفة المغفرة وصفة المودة 0

صفة الرحمة : قد وردت في قوله تعالى " ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما " وفيها إثبات صفة الرحمة والعلم وسعتها وشمولها لكل شيء 0

وقال تعالى " وكان بالمؤمنين رحيما " فيخبر تعالى أن÷ بالمؤمنين رحيم أما في الدنيا فإنه هداهم إلي الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحد عنه سواهم من الدعاة إلي الكفر أو البدعة وأتباعهم وإما رحمة في الآخرة فأمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته بأن يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار ففي هذه الآية إثبات صفة الرحمة 0 قال تعالى " ورحمتي وسعت كل شيء سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون " وقال تعالى " كتب ربكم على نفسه الرحمة " أي فضلاً منه وإحسانا ولم يوجبها عليه أحد



كما قيل – ما للعباد عليه حق واجب 0 كلا ولا سعي لديه ضائع إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

وتنقسم الرحمة إلي قسمان :

أولا : قسم مشترك عام بين جميع الخلائق المسلم والكافر والبر والفاجر والبهائم وسائر الخلق ودليل هذا القسم قوله تعالى " ورحمتي وسعت كل شيء " وقوله " ربنا وسعت كل شيء رحمة و علما " 0

القسم الثاني : خاص بأنبيائه ورسله وأوليائه وعباده المؤمنين ودليله قوله تعالى " وكان بالمؤمنين رحيما " وقوله " أنه بهم رؤوف رحيم "

أما الرحمة المضافة إلي الله فهي نوعان 0

أحدهما : مضاف من إضافة المفعول إلي فاعله ومنه ما في الحديث " احتجت الجنة والنار فقال للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء " فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة إلي خالقه وسماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة وخص بها أهل الرحمة لأن من يدخلها الرحماء 0 ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض " ومنه تسمية المطر رحمة كقوله " وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته " ومنها قوله " لئن أذقنا الإنسان منا رحمة "

والنوع الثاني : مضاف إليه إضافة صفة إلي موصوف وذلك مثل قوله تعالى " إن رحمة الله قريب من المحسنين " وكما في الحديث " يا حي يا قيوم برحمتك استغيث " وقوله صلى الله عليه وسلم " أنزل رحمة من رحمتك "

أما صفة عيني الرحمن : فقد وردت في قوله تعالى " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا " والصبر لغة الحبس والمنع واصطلاحاً حبس النفس على ما تكره تقربا إلي الله قال ابن القيم الصبر ثلاثة أقسام صبر على طاعة الله , وصبر عن معصية الله , وصبر على امتحان الله 0 فالأولان صبر علي ما لا كسب للعبد



فيه وصبر الاختيار اكمل من صبر الاضطرار وتمام الصبر أن يكون ابتغاء وجه الله قال تعالى " والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم " و أقواه أن يكون بالله معتمداً فيه عليه لا على نفسه ولا علي غيره من الخلق والصبر من المقامات العالية كما قيل

الصبر مثل اسمه مر مذاقه ولكن عواقبه أحلى من العسل

واعلم بأن حكم الله ينقسم إلي قسمين : حكم كوني قدري , وحكم شرعي ديني ويؤخذ من الآية الحث على الصبر , وإثبات صفة الحكم لله , إثبات المعية الخاصة , إثبات صفة العينين لله وهما من الصفات الذاتية , إثبات صفة الربوبية وتربيته تعالى للناس نوعان : تربية خلقيه تكون بتنمية أجسامهم حتى تبلغ الأشد وتنمية قواهم عليها النفسية والعقلية 0

وتربية دينية : تكون بما يوحيه تعالى إلي أفراد منهم ليبلغوا الناس ما به تكمل عقولهم وتصفوا نفوسهم 0 وليس لغيره أن يشرع للناس عبادة ولا أن يحلل شيئا ويحرم آخر إلا بإذن منه يأمر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصبر على أذاهم ولا يبالي بهم وأمض لأمر الله ونهيه وبلغ ما أرسلت به فإنك بمرأى منا ومنظر نراك ونرى أعمالك , ونحوطك ونحفظك فلا يصل إليه منهم أذى , وقال تعالى " وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر " ففي هذه الآية دليل على أن نمن قام بأمر الله وصدع بدعوته وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن الله ينجيه عندما يأخذ الظالمين كما قال تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون "

إثبات قدرة الله تعالى حيث نجى رسوله نوحاً عليه السلام وأهلك الظلمة قال تعالى " أن تنصروا الله ينصركم " و قال تعالى " وألقيت عليك محبة مني ولتصنع علي عيني " وقال صلى الله عليه وسلم " إن الله ليس بأعور إلا أن المسيخ الدجال أعور عينه اليمنى كأنه عنبة طافية " وفي الآية السابقة إثبات العينين لله

وهما من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله فيجب إثباتها لله على الوجه اللائق بجلاله وعظمته لثبوتها بالكتاب والسنة 0

صفة العففو : قال تعالى " إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا "

صفة المغفرة : قال تعالى " ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " وهي من الصفات الذاتية الفعلية وكذلك إثبات صفة الرحمة وهي من الصفات الذاتية الفعلية

صفة العزة : قال تعالى : ولله العزة ولرسوله " الآية

اعلم بأن كل من له نوع بصيرة يعلم أن القوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده وعزة الله فهره وغلبته لأعدائه 0 وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين بنصر الله إياهم على أعدائهم – فالمؤمن له من العزة حسب ما معه من الإيمان وحقائقه فإذا فاته حظه من العلو والعزة ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان علما و عملا ظاهرا وباطنا فالمؤمن عزيز عال مؤيد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أينما كان ولو اجتمع من باقطارها إذا قام بحقائق الإيمان وواجباته فمن نقص إيمانه نقص نصيبته منم النصر والتاييد بحسب ما نقص من إيمانه 0

ويؤخذ من هذه الآية إثبات صفة العزة وهي من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله ومن الصفات الفعلية فهو سبحانه يعز من يشاء عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوى المتين 0 وعزة الامتناع فإنه الغني فلا يحاج إلي أحد ولن يبلغ العباد ضره فيضروه ولا نفعه فينفعوه , وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات وكل هذه المعاني ثابتة لله 0

واعلم بأن العزة المضافة إلي الله تنقسم إلي قسمين الأول قسم يضاف إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلي خالقه وهي العزة المخلوقة التي يعز بها أنبيائه وعباده

الصالحين , والثاني قسم يضاف إليه من باب إضافة الصفة إلي الموصوف بها كما في الآية وكما في الحديث " أعوذ بعزة الله وقدرته "

صفة الجلال والعظمة :- قال تعالي " تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام " والمعني تعالت أسمائه وصفاته وتعظمت صفاته وتقدست والجلال والعظمة صفتان لله جل جلاله – أما تباركه سبحانه فهو من الصفات الذاتية والدليل علي ذلك أنه سبحانه يسند التبارك إلي اسمه وتباركه سبحانه يكون في المواضع التي أثني فيها على نفسه بالجلال والعظمة والأفعال الدالة على ربوبيته وإلهيته وحكمته وسائر صفات الكمال من إنزال القرآن وخلق العالمين 0 وجعله في السماء بروجا وانفراده بالملك وكمال القدرة وتباركه سبحانه من الصفات الذاتية 0

واعلم بأن البركة نوعان : – بركة هي فعله سبحانه والفعل منهار بارك والمفعول منها مبارك وهو جعل كذلك فكان مباركاً كما جعله لله تعالى 0

والثاني : بركة هي صفة تضاف إلية إضافة الرحمة والعزة والفعل منها تبارك ولهذا يقال لغيره كذلك ولا يصلح إلا له عز وجل فهو سبحانه المبارك ممن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك كما قال تعالى عن عبده ورسوله المبارك " وجعلني مباركاً " وأما صفته تعالى فمختصة به كما أطلقها على نفسه بقوله تعالى " تبارك الله رب العالمين "

صفة الفرح " وردت في قوله صلى الله عليه وسلم " الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته .. الحديث " الفرح : لغة هو السرور , والتوبة الرجوع عن المعصية وهذا حديث جليل فيه بشارة عظيمة ترتاح لها قلوب التائبين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في توبتهم الخالعين ثياب الإصرار على المعاصي البعيدين عن سوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده الطالبين عفوه الملتجئين إليه في مغفرة ذنوبهم , وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح وهي من الصفات الفعلية 0

صفة الضحك : وردت في قوله صلى الله عليه وسلم عن كرم الله وجوده وأنه متنوع فهذان الرجلان الذين قتل أحدهما الآخر جعل الله لكل منهما سببا أوصله إلي الجنة فالأول قاتل في سبيل الله فأكرمه الله علي يد الرجل الآخر الذي لم يسلم بعد بالشهادة التي هي أعلى المراتب بعد مرتبة الصديقين وأما الآخر فأن الله جعل باب التوبة مفتوحاً لكل من أراد التوبة بالإسلام فما دونه فلما تاب محا الله عنه الكفر وآثاره ثم من عليه بالشهادة فدخل الجنة كأخيه الذي قتله وفي هذا الحديث إثبات صفة الضحك وهي من الصفات الفعلية 0

صفة العجب : وردت في الحديث الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم " عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره , ينظر إليكم أزلين قانطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب " وبأسهم من نزوله وقد اقترب الفرج ورحمته لعباده بإنزال الغيث عليهم وتغيره لحالهم وهم لا يشعرون وفي هذا الحديث إثبات صفة العجب والضحك وهما من الصفات الفعلية 0 كذلك إثبات صفة العلم وهي من الصفات الذاتية , وإثبات قدرة الله ورحمته ورأفته بعباده وإثبات حياة الله وحكمته سبحانه , وأن خير الله لا يستبعد إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون "

صفة الرضى :- وردت في قوله تعالى " رضي الله عنهم ورضوا عنه " [1] لما ذكر الله سبحانه وتعالى أعمالهم الصالحة ذكر أنه أثابهم عليها رضاه الذي هو أعظم وأجل من كل نعيم قال تعالى " ورضوان من الله أكبر " [2] وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم " أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولن لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك فيقول أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا " [3] ففي الآية صفة الرضى لله علي ما يليق بجلاله وعظمته وفيها إثبات صفة الكلام لله

---

[1] سورة البينة آية (8)
[2] سورة التوبة آية (72)
[3] أخرجه مسلم في صفة الجنة (7001) والبخاري في الرقاق (6549) والترمذي في صفة الجنة (2555) والنسائي في الكبرى (3 : 405) تحفة

خلافا لمن أنكر كلام الله وأوله بتأويل باطل كمن يقولون أن كلام الله ما نفه وهذا تعبير عنه " كالأشاعرة والكلابية " : الرد علي من أول الرضى بإرادة الإحسان أو أنكر صفة الرضي 0

صفة الغضب : قال تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما " [4] ففي هذه الآية وعيد شديد علي من يقتل مؤمنا متعمدا بأن عقابه جهنم خالداً فيها أي مقيماً والخلود المكث الطويل وغضب الله عليه ولعنه أي طرده من رحمته وهيأ له عذاباً عظيماً لا يدرك كنهه إلا العزيز الجبار لعظيم ذنبه وهذا وعيد ترجف له القلوب وتتصدع له الأفئدة وينزعج منه أولوا العقول

وقد اختلف العلماء هل للقاتل توبة أم لا فذهب الجمهور إلي أن التوبة من القاتل مقبولة واستدلوا بقوله تعالى " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " [5] وغيرهما من الآيات مثل قوله تعالى " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم 000 الآية " [6] قال ابن القيم والتحقيق في المسألة أن القتل تتعلق به ثلاثة حقوق : حق الله ، وحق المقتول ، وحق الولي , فإذا سلم القاتل نفسه طوعاً واختيارا فليس بمخلد فيها خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين وقد تواترت الأحاديث بإخراج من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار 0 وفي هذه الآية إثبات صفة الغضب وهي من الصفات الفعلية وإثبات صفة العدل وهي من الصفات الذاتية 0

صفة السخط : قال تعالى " ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم " [1] وفي هذه الآية إشارة إلي أن التوفي المذكور على هذه الصفة المذكورة من الهول الذي يرونه من أجل أنهم أنهكوا في المعاصي وزينت لهم الشهوات

---

[4] سورة النساء آية (93)
[5] سورة النساء آية (116)
[6] سورة الزمر آية (53)
[1] محمد (28)

وكرهوا ما يرضيه من الإيمان والتوحيد والطاعة فأحبط أعمالهم من الخير قبل الردة أنه لا عمل لكافر 0

وفي هذه الآية إثبات صفة السخط والرضا وهي من الصفات الفعلية

صفة الأسف : قال تعالى " فلما آسفونا انتقمنا منهم " [2] آسفونا : أي أغضبونا وأسخطونا بأعمالهم السيئة التي لم ترتدعوا عنها رغم التنبيه وتوالي النذر والانتقام هو أن يبلغ في العقوبة حدها 0 ومن أسمائه تعالى (المنتقم) كما جاء في الحديث و إنما جاء هذا الاسم في القرآن مفيداً كقوله تعالى " إنا من المجرمين منتقمون " [3]

ويؤخذ من الآية إثبات صفة الآسف والانتقام ممن عصاه وخالف أمره

صفة الكره : قال تعالى " ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع الخالفين " [4] أي أنه سبحانه لما كره خروجهم معكم إلي الغزو فثبطهم قضاء وقدراً وإن كان قد أمرهم بالغزو شرعا وأقدرهم عليه ولكن ما أراد إعانتهم بل خذلهم وثبطهم لما في خروجهم من المفاسد التي تترتب عليه والتي شرع الله في بيانها في الآية التي بعدها 0

وفي الآية إثبات صفة الكره لله علي ما يليق بجلاله وعظمته 0

صفة المقت : قال تعالى " كبر مقتا عند الله أن تقولا ما لا تفعلون " [5]

المقت هو أشد البغض أي أعظم المقت والبغض عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون

وفي الآية إثبات صفة المقت وأن مقته تعالى يتفاوت

إثبات صفة القدم والرجل للرحمن :- ورد في الحديث " لا تزال جهنم يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد حتي يضع رب العزة فيها رجله " [6] وفي رواية " عليها

---

[2] سورة الزخرف آية (55)
[3] السجدة (22)
[4] سورة التوبة آية (46)
[5] سورة الصف آية (3)
[6] أخرجه البخاري في التفسير (4850) ومسلم في كتاب صفة الجنة والنار (7035)

قدمه فينزوي بعضها إلي بعض فتقول قط قط " [7] هذا الحديث يتضمن الإنذار والتخويف مما أمامنا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن جهنم لا تزال يطرح فيها من أهلها المستحقين لها وهي تطلب الزيادة إلي أن يضع الرب جل وعلا رجله فيها فعند ذلك ينضم بعضها إلي بعض وتقول حسبي ويكفيني 0 وفي هذا الحديث إثبات صفة الرجل والقدم وإثبات العزة وأن جهنم تتكلم وأنها مخلوقة , وإثبات قدرة الله , وإثبات صفة الوضع , والرد علي منكري صفات الله

واعلم أنه أحيانا يأتي أسم الله بلفظ الاسم وأحياناً ياي الاسم بلفظ المضاف فما جاء بلفظ الاسم على وجه التسمي به مثل الرحمن , الرحيم , الحكيم , السميع , العليم , فهذه الأسماء يدل كل منها علي صفة من صفات الله ويشتق منها الفعل , وأما ما جاء بلفظ الاسم المضاف كقوله " يخادعون الله وهو خادعهم " [1] وقوله " وهو شديد المحال " [2] وقوله " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " [3] وقوله " إنهم

كما ورد في قوله " وهو شديد المحال " [5] وبلفظ الفعل فيقال خادع المنافقين ويخادع من خادعه , وإن أخذ الله شديد ويأخذ من عصاه ويأخذ الظالمين و وكذلك يقال في المكر والكيد فيقال مكر بمن يمكر بأوليائه ويمكر بمن يمكرون ولا يجوز أن يشتق منها اسم فلا يقال من أسمائه تعالى المخادع ولا الخادع ولا الشديد ولا الآخذ ولا الماكر ولا الكائد لأنه لم يرد وأما تسميته مكراً وكيدا فقيل من باب المقابلة نحو " وجزاء سيئة سيئه مثلها " [6] ونحو " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به " [7] وهو ينقسم إلي قسمين محمود , ومذموم

---

[7] أخرجه البخاري في الإيمان والنذور (1661) وفي التوحيد (7384) وسلم في صفة الجنة والنار (7037)
[1] النساء (143)
[2] الرعد (13)
[3] آل عمران (54)
[5] الرعد (13)
[6] الشورى (40)
[7] النحل (126

فالحسن إيصاله من يستحقه عقوبة له , والمذموم إيصاله إلي من لا يستحقه والمحمود منه نسبته إلي الله لا نقص فيه , وأما المذموم فلا ينسب إلي الله 0
ومن المحمود مكره سبحانه بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزء لهم من جنس عملهم وكذا يقال في الكيد والله انما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة 0
فنعود ونقول بأن مراد الشيخ رحمه الله تعالى بقوله " تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات " مراده بذلك الرد على المجسمة والمشبهة كما ذكرنا سابقا والمعطلة فنفى المؤلف ذلك بهذا الكلام ولكن قد يستغل ذلك بعض المبتدعة ويتأولونه إلي التعطيل كما وضح ذلك الشيخ محمد بن مانع عليه رحمة الله حيث قال مراده بذلك الرد على المشبهة ولكن هذه الكلمات مجملة مبهمة وليست من الألفاظ المتعارضة عند أهل السنة والجماعة والرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة أحق وأولي من ذكر ألفاظ توهم خلاف الصواب ففي قوله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " [(8)] رد على المعطلة والمشبهة فلا ينفي لطالب الحق الالتفات إلي مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها فإن الله موصوف بصفات لكمال منعوت بنعوت العظمة والجلال سبحانه فهو فوق مخلوقاته مستو علي عرشه المجيد بذاته بائن من خلقه بنزل كل ليلية إلي السماء الدنيا ويأتي يوم القيامة وكل ذلك علي حقيقته ولا نؤوله كما لا نؤول اليد بالقدرة , ولا النزول بنزول أمره وغير ذلك م الصفات بل نثبت ذلك إثبات وجود لا إثبات تكييف

بيان حقيقة العرش والكرسي وبيان غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش

أما قوله " والعرش والكرسي حق " " وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإحاطة خلقه " هذه العبارة قد أتت متأخرة فأتيت بها في هذا الموضوع تكميلا لبقية الصفات التي أوردها متتابعة لما في ذلك من إتمام للكلام عن صفة الاستواء والعلو 0 قال تعالى في كتابه " ذو العرش المجيد " [(8)] وقال

---
(8) الشورى (11)
(8) البروج (15)

رفيع الدرجات ذو العرش " [9] وقال تعالى " ثم استوى على العرش " [10] وقال " الرحمن على العرش استوى " [11] وقال " لا إله إلا هو رب العرش الكريم " وقال " الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم " وقال " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " وقال " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم "

ورد في الحديث الصحيح في دعاء الكرب " لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا هو رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم " وورد في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أوسط ا لجنة وفوقه عرش الرحمن "

واعلم بأن العرش خلق عظيم جدا كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولذلك أضافه تعالى إلي نفسه في قوله " ذو العرش المجيد " وهو لغة سرير الملك فهو عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى عن بلقيس " ولها عرش عظيم " وليس هو فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة كما قال ذلك طائفة من أهل الكلام وليس ذلك في لغة العرب والقرآن إنما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو سقف المخلوقات ومن شعر عبد الله بن رواحة حينما عرض به القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته **0**

شهدت بأن وعد الله حــق وأن النـار مثـوى الكافريـن

وأن العرش فوق المـاء طـاف وفوق العـرش رب العالميـن

وتحملـه ملائكـة شــداد ملائكـة الإلـه مسومينــا

وقد ثبت في الشرع بأن له قوائم تحمله الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم " فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى يأخذ بقائمه من قوائم العرش فلا أدري أفاق قلبي أم جوزي بصعقة الطور " وقال " أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنيه إلي عاتقه مسيرة

---

[9] غافر (15)
[10] النمل (26)
[11] المؤمنون (116)

سبعمائة عام " وذلك كله مما يبطل تأويل العرش بأنه عبارة عن الملك وسعة السلطان قال تعالي " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " وكان عرشه على الماء " فإذا يقولون في هذه الآيات أيقولون ويحمل ملكه يومئذ ثمانية أو كان ملكه علي الماء هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول 0 وأما الكرسي فقد قال الله فيه " ووسع كرسيه السماوات والأرض " والكرسي هو الذي بين يدي العرش وقد صح عن ابن عباس موقوفاً عليه من قوله " ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة علي تلك الحلقة " وصح أيضا قوله صلى الله عليه وسلم " ما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض " وذلك مما يبطل أيضا تأويل الكرسي بالعلم 0

(بيان غناه سبحانه و تعالى عن العرش وما دونه من خلقه و إحاطته بهم وعلوه عليهم)

أما قوله وهي مستغني عن العرش وما دونه فأن الله تعالى قال " إن الله لغني عن العالمين " وقال " واله هو الغني الحميد " وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا لأنه لما ذكر العرش والكرسي ذكر بع ذلك غناه سبحانه وتعالى عن العرش وما دون العرش لبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ليس لحاجته إليه بل له في ذلك حكمة اقتضته ومكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالي محيطا به حاملا له ولا أن يكون الأعلي مفتقرا إليه فانظر إلي السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك بل لوازم علوه من خصائصه وهي حملة بقدرته للسافل وفقر السافل وغناه هو سبحانه وتعالى عن السافل وإحاطته عز وجل به فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به وحصره للعرش وعدم حصر العرش له وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق ونفاه أهل التعطيل لو فصلوا بهذا التفضيل لهدوا إلي سواء السبيل ووعلموا مطابقة

العقل للتنزيل ولسلكوا خلف الدليل ولكن فارقوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل والأمر في ذلك كمما قال مالك رحمه الله تعالى لما سئل عن قوله تعالى " ثم استوى علي العرش [1] وغيرها كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب 0

والإيمان بالاستواء هو الاعتقاد الجازم بأن الله فوق سمواته مستوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته علي خلقه بائن منهم وعلمه محيط بكل شيء والأدلة علي ذلك كثيرة منها قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " [2] والاستواء لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم نوعان : مطلق ، ومقيد

فالمطلق : هو ما لم يقيد بحرف كقوله تعالى " ولما بلغ أشده واستوى " [3] ومعناه كمل وتم , وأما المقيد فثلاثة أقسام :

الأول : مقيد بإلي كقوله تعالى " ثم استوى إلي السماء " [4] ومعناه العلو والارتفاع بإجماع السلف

الثاني : مقيد بعلي كقوله تعالى " لتستوى على ظهوره) [5] وقله " واستوت على الجودي " [6] وقوله " فاستوي على سوقه " [7] فهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة 0

الثالث : المقرون بواو المعية كقولهم " استوى الماء والخشبه ومعناها سواها فهذه معاني الاستواء المعقولة وأول من عرفت عنه بدعة تأويل الاستواء بالاستيلاء هم الجهمية والمعتزلة " [8] والرد عليهم من وجوه 0

أولا : أن الاستواء خاص بالعرش والاستيلاء عام علي جميع المخلوقات 0

---

(1) الاعراف آية (57)
(2) طه آية (5)
(3) القصص آية (14)
(4) فصلت آية (11)
(5) الزخرف آية (13)
(6) هود آية (44)
(7) محمد آية (29)
(8) الجهمية والمعتزلة فرقتان من الفرق الضالة التي خالفت منهج أهل السنة والجماعة وسوف يأتي مذيد بيان عن هاتين الفرقتين ان شاء الله تعالى



ثانيا : أنه أخبر بخلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأخبر أن عرشه على الماء قبل خلقهما والاستواء متأخر عن خلقهن والله مستولي العرش قبل خلق السماوات والأرض وبعده فعلم أن الاستواء على العرش الخاص به غير الاستواء العام عليه وعلى غيره 0

ثالثا : أن معنى الكلمة مشور كما قال بعض السلف لو لم يكن معنى الاستواء معلوما في الآية لم يحتج الإمام مالك رحمه الله أن يقول والكيف مجهول لأن نقص العلم بالكيفية لا ينفي ما قد علم أصله 0

رابعا : أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد لفظ الاستواء دون لفظ الاستيلاء واعلم بان جواب الإمام مالك رحمه الله تعالى هو الجواب الكافي الشافي لمن سأل عن كيفية أي صفة من صفات الله تعالى 0أما قوله محيط بكل شيء وفوقه أي أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء قال تعالى " والله من ورائهم محيط " [1] وقال " ألا إنه بكل شيء محيط " [2] وقال " وكان الله بكل شيء محيطا " [3] وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما المراد إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته وأنها بالنسبة إلي عظمته كخردلة ومن المعلوم ولله المثل الأعلى أن الواحد إذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها وإن شاء جعلها تحته وهو في الحالتين مباين لها عل عليها فوقها من جميع الوجوه فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة واعلم بأن علو الله تعالى كونه فوق المخلوقات ثابت في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى " وهو القاهر فوق عباده " [4] وقال " يخافون ربهم من فوقهم " [5] وقال تعالى " يا عيسي إني متوفيك ورافعك إلي "

---

(1) البروج أية (20)
(2) فصلت أية (54)
(3) النساء (126)
(4) الانعام (18 , 61)
(5) النحل (50)

[6] وقال " بل رفعه الله إليه " [7] وقال " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " [8] وقال " أ أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا .. الآية " [9] ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم في رقية المريض " ربنا الذي في السماء أجعل رحمتك في في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ"[10]وقوله " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء " [11] وقوله " لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي " [12] وفي رواية تغلب غضبي وقوله في تفسير قوله تعالى " هو الأول والآخر والظاهر والباطن " [13] بقوله " أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء " [14] والمراد بالظهور هنا العلو 0 فهذه الأسماء متقاربة سامان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته واسمان لعلوه وقربه , وروي البخاري عن زينب رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات 0

ومن سمع من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام السلف وجد في اثبات الفوقية ما لا ينحصر وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً ولا يوجب محذورا ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً فنفي حقيقة يكون عين الباطل – والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله خلقه وكونه فوق عباده كثيرة جداً مهنا 0

---

[6] آل عمران (55)
[7] النساء أية (158)
[8] فاطر (10)
[9] الملك (16 , 17)
[10] تقدم
[11] اخرجه البخاري في المغازي (4351) ومسلم في الزكاة (1064 , 3413) وابو داود في السنة (4764) والنسائي في الزكاة (5 : 87)
[12] البخاري في بدء الخلق (3194) ومسلم في التوبة (6835 , 6836 , 6837) والنسائي في النعوت في الكبرى (10 : 201) وابن ماجه في المقدمه (189)
[13] سورة الحديد آية (3)
[14] اخرجه مسلم في الدعوات (6758 , 6759 , 6760) وابو داود في الأدب (5051) والترمذي في الدعوات (3481 , 3400) والنسائي في النعوت في الكبرى (9 : 396) تحفة وابن ماجة في الدعاء (3831)

1. التصريح بالفوقية مقروناً بأداة من المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى" يخافون ربهم من فوقهم "[1]

2. ذكرها مجردة عن الأداة كقوله تعالى " وهو القاهر فوق عباده " [2]

3. التصريح بالعروج إليه كقوله تعالى " تعرج الملائكة والروح إليه " [3] وقوله صلى الله عليه وسلم " يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ..... الحديث " [4]

4. التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى " بل رفعه الله إليه " [5] وقوله " إني متوفيك ورافعك إلي " [6]

5. التصريح بالصعود إليه كقوله تعالى " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه "

6. التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدراً وشرفا كقوله "وهو العلي العظيم"[7]

7. التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله تعالى " تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم " [8]

8. التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض كقوله تعالى " إن الذين عند ربك " [9] وقوله تعالى " وله ممن في السماوات والأرض ومن عنده " [10] ففرق بين من له عموما وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصا وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى علي نفسه " أنه عنده فوق العرش " [11]

---

(1) النحل (50)
(2) الانعام (18 : 61)
(3) المعارج (4)
(4) اخرجه البخاري في الصلاة (555) ومسلم في الصلاة (632) 0 1405) والنسائي في الصلاة (1/240 - 1/241 – ومالك (1/170) وأحمد (2/257 , 312 , 486) وابن حبان (321 - 322 , 1728 - 1729) والبغوي (380)
(5) النساء (158)
(6) آل عمران (55)
(7) البقرة (255)
(8) غافر آية (2)
(9) الأعراف (206)
(10) الأنبياء (19)
(11) تقدم تخريجه



9. التصريح بأنه تعالى في المساء كقوله تعالى " أ أمنتم ممن في السماء أن يخسف بكم الأرض "[12] وهذا عند المفسرين من أهل السنة علي أحد وجهين إما أن تكون(في) بمعنى (على) وإما أن يراد بالسماء العلو لا يختلفون في ذلك ولا يجوز الحمل على غيره 0

10. التصريح بالاستواء مقرونا بأداة علي مختصاً بالعرش الذي هو أعلي المخلوقات "الرحمن علي العرش استوى "[13] ومصاحبا في الأكثر لأداة ثم الدالة على الترتيب " ثم استوى على العرش "

11. التصريح برفع الأيدي إلي الله تعالى كقوله صلى الله عليه وسلم " إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صغرا "

12. التصريح بنزوله كل ليلة إلي السماء الدنيا والنزول يكون من علو إلي سفل

13. الإشارة إليه حسا إلي أن العلو كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له وما يمتنع عليه من جميع البشر لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله في اليوم الأعظم قال لهم " أنت مسئولون عني فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت " فرفع أصبعه الكريمة إلي المساء رافعا لها إلي من هو فوقها وفوق كل شيء قائلا – اللهم أشهد " فكأنما نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلي الله وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه (اللهم اشهد) ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين وأدي رسالة ربه كما أمر ونصح أمته غاية النصيحة فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلي تنطع المتنطعين وحذلقة المتحذلقين والحمد لله رب العالمين 0

---

(12) الملك (16)
(13) طه (5)

14. التصريح بلفظ أين كقول أعلم الخلق بربه وأنصحهم لأمته وأفصحهم بيانا عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلا موجه للجارية " أين الله : قالت في المساء : قال من أنا قالت أنت رسول الله ك قال أعتقها فإنها مؤمنة "

15. إخباره صلى الله عليه وسلم أنه تردد بين موسي عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة فيصعد إلي ربه ثم يعود إلي موسي عدة مرار "

وكلام السلف في إثبات الصفات وإثبات صفة العلو كثير جدا فمن ذلك ما رواه شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصاري في كتابه الفاروق بسنده إلي مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة عمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقال قد كفر لأن الله يقول " الرحمن على العرش استوى " وعرشه فوق سبع سمواته : قلت فإن قال إنه على العرش ولكن يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض قال هو كافر لأنه أنكر أنه في السماء فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر وذاد غيره لأن الله في أعلى عليين وهو يِدعى من أعلى لا من أسفل أهـ 0

فلله سبحانه وتعالى فوقية القهر وفوقية القدر وفوقية الذات ومن أثبت البعض ونفي البعض فقد تنقص ربه وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه ون تأول فوق بأنه خير من عباده وأفضل منهم وأنه خير من العرش وأفضل منه فقد قال على الله بغير علم وذلك مما تنفر عنه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب الصحيحة وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالعقل والفطرة وأما ثبوته بالفطرة فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلي الله تعالى وذكر محمد بن طاهر المقسي أن الشيخ أبا جعفر الهواني حضر مجلس الأستاذ ابي المعالي الحويني المعروف بإمام الحرمين

وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان فقال الشيخ ابو جعفر أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال

عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب لا يلتفت يمينه ولا يسرة فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا قال فلطم ابو المعالي علي رأسه ونزل وبكي وقال حيرني الهمداني حيرني الشيخ أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقون يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلي الله ويطلبه في العلو أما قوله وقد اعجز عن الإحاطة خلقه – أي لا يحيطون به علما ولا روية ولا عير ذلك من وجوه الاحاطة بل هو سبحانه محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء 0

ونقول أيضا بأن الجواب الشافي الكافي لمن سأل عن كيفية صفة من صفات الله تعالى أن نقول له ما قاله الإمام ابن القيم عندما سأل ما تقول في القرأن ومسألة الاستواء فقال نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم م غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ونفي عنه النقائض والعيوب ومشابهة المخلوقين أو المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر 0

وليس ما وصف الله به أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيها ما لمشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما والموحد يعبد إلها واحدا صمدا " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "[1] والكلام في الصفات كالكلام في الذات فكما أنا نثبت ذاتا لا تشبهها الذوات كذلك نقول في صفاته أنها لا تشبهها الصفات فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته و في أفعاله فلا نشه صفاته بصفات المخلوقين ولا نزيل عنه صفة لأجل تشنيع المشنعين وأما القرآن فأني أقول أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود تكلم الله به صدقا وسمعه منه جبريل حقا وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم حبا وأنه عين كلام الله

[1] سورة الشورى آية (11)

حقيقة وأن جميعه كلام الله وليس قول البشر ومن قال أنـ÷ قول البشر فقد كفر والله يصليه سقر ومن قال بيس لله بيننا كلام فقد جحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونقول بأن الله فوق سماواته مستوي على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وهو العلي الأعلى بكل اعتبار 0

وكذلك فأننا نحذو حذو الإمام مالك في جوابه عندما سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة 0

فكذلك نقول في صفة فنقول مثلاً في صفة السمع 0 السمع غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك يقال في بقية الصفات : من نصر , ورضى , وعجب , وسخط , ووجه , وحياء , ويد , ونفس , وعلم , وحياة , وقوة , وضحك , ونزول , وفرح , ورحمة , ورجل , وإصبع , والحب , والمجيء , والكره , وجميع أنواع الصفات نحذو فيها حذو الإمام مالك رضي الله عنه فيقال مثلاً الحياء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة 0

فكل ما له من الصفات تثبيتا سواء كانت في كتاب الله مما ذكرناه ومما لم نذكره أو ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحقه التسليم والقبول ونمرها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن يهديهم قد اقتدى 0

بيـــان حقيقـة المعـــراج



أما قولـه (والمعراج حـق وقـد أسـرى بـالنبي صلـى الله عليـه وسلم وعـرج بشخصـه في اليقظة إلي السماء ثم إلـي حيث شـاء الله م العـلا وإكرامـه الله بمـا شـاء وأوحـي إليـه ما أوحـى ما كذب الفـؤاد مـا رأى فصلـى الله عليـه وسلم في الآخرة والأولـى 0

اعلم بأن المعراج هـو الآلـة التـي يعرج فيهـا أي يصعد وهـو بمنزلـة السلم لكن لا يعلـم كيـف هـو وحكمـه كحكم غيره من المغيبات ونـؤمن بـه ولا نشتغل بكيفيتـه – وقد أسرى بالنبـي صلى الله عليه وسلم بشخصه في اليقظة والذي عليـه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة المكرمة قبل الهجرة وكان من حديث الإسراء وأنـه صلى الله عليه وسلم أسرى بجسده وفي اليقظة على الصحيـح من المسجـد الحرام إلـي المسجـد الأقصـى راكبـاً علـى البـراق بصحبـة جبريـل عليـه السـلام فنـزل هنـاك وصلـى بالأنبيـاء إمامـا وربـط البـراق بحلقـة بـاب المسجـد ثـم عـرج بـه مـن بيـت المقدس تلك الليليـة إلي المسـاء الدنيا فاستفتـح لـه جبريـل ففتـح لهمـا فـرأى هنـاك أدم أبـا البشر فسلـم عليـه فرحـب بـه ورد عليـه السلام وأقر بنبوتـه ثـم عرج بـه إلـي السمـاء الثانيـة فاستفتـح لـه فرأى فيهـا يحيـى ابن زكريـا وعيسـى ابن مريـم فلقيهمـا فسلـم عليهمـا فـردا عليـه السـلام ورحبـا بـه وأقـر بنبوتـه ثـم عـرج بـه إلـي السمـاء الثالثـة فرأى فيهـا يوسـف عليـه السـلام فسلـم عليـه ورحـب بـه وأقـر بنبوتـه ثـم عـرج بـه إلـي السمـاء الرابعـة فـرأى فيهـا إدريـس عليـه السـلام فسلـم عليـه ورد عليـه السلام ورحـب بـه وأقـر بنبوتـه ثـم عرج بـه إلـي السمـاء الخامسـة فرأى فيهـا هـارون عليـه السـلام فسلـم علي÷ ورحـب بـ÷ وأقـر بنبوتـه ثـم عرج بـه إلـي السمـاء السادسـة فلقـي فيهـا موسـى بن عمـران فسلـم عليـه ورحـب بـه وأقـر بنبوتـه فلمـا جـاوزه بكـى فقيـل مـا يبكيـك قـال أبكـي لأن غلامـاً بعـث بعـدي يدخـل الجنـة من أمتـه أكثـر ممـا يدخلهـا من أمتـي ثـم عرج بـه إلـي السمـاء السابعـة فلقـي فيهـا إبراهيـم عليـه السـلام فسلـم عليـه ورحـب بـه وأقـر بنبوتـه ثـم رفـع إلـي سـدرة المنتهـي ثـم رفـع لـه البيـت المعمـور ثـم عـرج بـه إلـي الجبـار جـل جلالـه وتقدسـت أسمـاؤه فأوحـي إلـي عبـده مـا



أوحى وفرض عليه خمسين صلاة فرجع حتي مر على موسى فقال بما أمرت قال بخمسين صلاة فقال إن أمتك لا تطيق ذلك ارجع إلي ربك فاسأله التخفيف لأمتك فالتفت إلي جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك فأشار أن نعم إن شئت فعلا به جبرائيل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه فوضع عنه عشرا ثم نزل حتي مر بموسى فأحبره فقال ارجع إلي ربك فاسأله التخفيف فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى حتي جعلها خمسا فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف فقال قد استحييت من ربي ولكن ارضى وأسلم فما نفذ ناد مناد قد أمضيت فريضتي وخققت عن عبادي [01]

وقد تقدم ذكر اختلاف الصحابة في رؤيته صلى الله عليه وسلم رب÷ عز وجل بعين رأسه وأن الصحيح أنه رآه بقلبه ولم يره بعين رأسه وأما قله تعالى " ولقد رآه نزلة أخرى " [2] صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا المرئي جبرائيل رآه مرتين على صورته التي خلق عليها 0

ومما يدل علي أن الإسراء بجسده في اليقظة قوله تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى " [3] والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح وهذا هو المعروف عند الإطلاق وهو الصحيح 0

وفي حديث المعراج دليل على ثوت صفة العلو لله تعالى .

---

[01] حديث المعراج أخرجه البخاري في المناقب (3886)(4710)(3570) وفي التوحيد (7517) وفي الصلاة (349) وفي الأنبياء (3342) وفي الحج (1636) وفي بدء الخلق (3207) ومسلم في الإيمان (107)(405 , 406 و 407 , 408 , 409) والنسائي في الصلاة (9 : 156) تحفة والترمذي في التفسير (3346) وأحمد (109/1) بسند صحيح

[2] سورة النجم آية (13)

[3] سورة الإسراء آية (1)

بيـان حقيقـة حـوض النبـى صلى الله عليـه وسلـم

وأما قولـه (والحوض الذي أكرمـه الله تعالى بـه غياثاً لأمته حق)

اعلم بأن الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب البداية والنهاية للحافظ عماد الدين بن كثير تغمده الله برحمته فمنها ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن قدر حوضي كما بين أيلة إلي صنعاء من اليمين وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء " [4] وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ليردن على ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك " [5] وعن أنس رضي الله عنه قال " أغفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أغفاة فرفع رأسه مبتسما إما قال لهم وإما قالوا له لم ضحكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه أنزلت علي آنفا سورة فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر " [1] حتى ختمها ثم قال لهم : هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمي يوم القيامة أبنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك " وفي رواية مسلم (هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة " ومعني ذلك أنه يشخب فيه ميزانان من ذلك الكوثر إلي الحوض والحوض في العرصات قبل الصراط لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم

---

[4] أخرجه البخاري للرقاق (6580) ومسلم في الفضائل (2303)(5883) والترمذي (2442 – 2445) وابن ماجة في الزهد (4302 , 4305) وأحمد (230/3)

[5] أخرجه البخاري في الرقاق (6582) ومسلم في الفضائل (5884) وأخرجه النسائي بلفظ مقارب لذلك في التفسير (13 : 16) تحفة والطبراني (5783 – 5996) والبخاري أيضا (6576 – 6583) ومسلم (2304 – 2297 9 وابن ابي شيبة (441/11 – 444) واحمد (48/5 , 50 , 333 , 339 و 388)

[1] أخرجه مسلم في الصلاة (400 , 869 , 870) وأبو داود في الصلاة (784) والنسائي في الصلاة والتفسير (1 : 403) واحمد في المسند (102/3) وابو داود (4747) والنسائي (133/2 – 144)

ومثل هؤلاء لا يجاوزن الصراط – وقد روي البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " أنا فرطكم على الحوض " [2] والفرط الذي سيبق الي الماء وروي البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري قال : قال رسول اله صلى الله عليه وسلم " أني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شر لم يظمأ أبداً ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم " [3] قال أبو حازم فسمعني النعمان ابن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل فقلت نعم فقال : أشهد علي أبي سعيد الخدري سمعته وهو يزيد فأقول إنهم من أمتي فقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فقال سحقا سحقا لمن غير بعدي وسحقا أي بعدا والذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم ومورد كريم يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن وأرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك وهو في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر وفي بعض الأحاديث أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ويثمر ألوان الجواهر فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء وقد ورد في أحاديث أن لكل ني حوضا وأن حوض نبينا صلى الله عليه وسلم أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً جعلنا الله منهم بفضله وكرمه قال العلامة القرطبي رحمه الله في التذكرة واختلف في الميزان والحوض أيها يكون قبل الآخر فقيل الميزان وقيل الحوض قال أبو الحسن القابسي والصحيح أن الحوض قبل قال القرطبي والمهنى يقتضيه فإن الناس يخرصون عطاشا من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان والصراط ثم قال ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض بل في الأرض المبدلة أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء أ 0 هـ ..

---

[2] أخرجه البخاري في الرقاق (6589) ومسلم في الفضائل 0 5855) وأحمد في المسند (313/4 , 41/5 , 86) والحميدي (779) والطبراني في الكبير (1688 – 1694)

[3] البخاري في الفتن (7050) ومسلم في الفضائل (2290 – 2291) وابن ماجة في الزهد (4306) وأحمد في المسند (312/4 , 41/5 , 86 , 333)

فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر .

الشفاعة وبيان أنواعها

أما قوله (والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روى في الأخبار)
الشفاعة لغة هي : الوسيلة والطلب :
وعرفها بعض أهل العلم بأنها سؤال الخير للغير وقيل هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم والشفاعة المثبتة هي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص 0
ولها شرطان مذكوران في القرآن قال تعالى " وكم من ملك في السماوات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى " [1] وقال تعالى " يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا " [2] واعلم بأن تلك ا لشفاعة كما ورد في الآيات لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل سواء في ذلك شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعة من دونه 0 وهذا لأن المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك بسبب تعلقهم بأذيال الشفاعة فبين ذلك المولى سبحانه وتعالى حيث قال " ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " [3] وقال " والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفي" [4] فقطع الله أطماع المشركين منها وأخبر أنه شرك ونزه نفسه عنه ونفى أن يكون للخلق من دونه ولي أو شفيع فقال تعالى " الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على

---
[1] سورة النجم آية (26)
[2] سورة طه آية (109)
[3] سورة يونس آية (18)
[4] سورة الزمر آية (3)

العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع " [5] وأخبر تعالى لن يشفع إلا من أذن له الله في الشفاعة

وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه 0 وقال تعالى " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون " [1]

وقال تعالى في الكفار " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " [2] وقال " وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع " [3] وقال عنهم " فما لنا من شافعين ولا صديق حميم " [4] وقال تعالى " يا أيها الذين أمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون " [5]

وسيأتي مراجعة الرسل الشفاعة بينهم حتي تنتهي إلي نبينا صلى الله عليه وسلم وأنه يأتي فيستأذن ربه عز وجل ثم يسجد ويحمده بمحامد يُعلمه تعالى إياها ولم يزل كذلك حتي يؤذن له ويقال ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع ويحد له حدً فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك وفي كل مرة يستأذن ويدعوا حتى يؤذن له ويحد له حداً حتى ينجو جميع الموحدين وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتي يؤذن له بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتي يؤذن له أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود والمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة وأما الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله ليشفع له كما يشفع الوزير عند الملك منتفية دنيا وأخرى وإنما هو الذي يأذن للشافع ابتداء , ولا يشفع أحد ابتداء كما يظن أعداء الله 0 وقد يقال أن من اتخذ

---

[5] سورة السجدة آية (4)
[1] الأنبياء آية (28)
[2] المدثر آية (48)
[3] غافر آية (18)
[4] الشعراء آية (100)
[5] البقرة آية (254)



شفيعا عند الله إما قصده تعظيم الرب تعالى وأنه لا يتوصل إليه إلا بالشفعاء فلمم كان هذا القدر شركاً فالجواب بأن قصد ه تعظيم الله فإن عمله هذا لا يدل على تعظيم الله تعالى فكم من يقصد التعظيم لشخص يقصه التعظيم بتعظيمه وكذلك فإن اتخاذ الأنداد والشفعاء من دون الله هضم لحق الربوبية وتنقص للعظمة الإلهية وسوء الظن برب العالمين كما قال تعالى عن المنافقين " ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا " [6] فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق التوحيد ولهذا أخبر سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره وكيف يقدره حق قدره من اتخذ من دونه نداً أو شفيعا يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته ويدعوه ويذبح له وينذر له وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم وعرفوا وهم في النار أنها كانت باطلا فيقولون وهم في النار " تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين " [1] ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الذات والصفات والأفعال والتعظيم والعبادة كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينتسب إلي الإسلام وإنما كان ذلك هضما لحق الربوبية وتنقصاً لعظمة الإلهية وسوء ظن برب العالمين لأن المتخذ للشفعاء والأنداد إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلي من يدبر أمرا العالم معه من وزير أو ظهير أو معين وهذا أعظم النقص لمن هو عني عن كل ما سواه بذاته وكل ما سواه فقير إليه بذاته وإما أن يظن أن الله سبحانه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع أولا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم أولا يفعل ما يريد العبد حتي يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق أولا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجتهم إليه كما هو حال ملوك الدنيا 0 وهذا أصل شرك الخلق

---

(6) الفتح آية (6)
(1) الشعراء آية (97)

0 أو يظن أن للشفيع عليه حقا فهو يقسم عليه بحقه ويتوسل إليه بذلك الشفيع كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا تمكنهم مخالفته وكل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها 0

فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه أن ذلك شرك ونزه نفسه عنه فقال " ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه عما يشركون " [2] وقال تعالى " وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع " [3] وقال تعالى " قل لله الشفاعة جميعا " [4] وقال النبي صلى الله عليه وسلم " أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه " [5] فلم يقل صلى الله عليه وسلم أسعد الناس بشفاعتي من دعاني وإنما قال أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه - فإن قال المشرك أعلم أنهم لا يشفعون إلا بإذنه لكن أدعوهم ليأذن الله لهم في الشفاعة لي , قيل فإن الله لم يجعل الشرك بـ÷ ودعاء غيره سببا لأذنه ورضاه بل ذلك سبب لغضبه ولهذا فهي عن دعاء غيره في كثير من الآيات كقوله " ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين " [6] فتبين أن دعاء الصالحين من الملائكة والأنبياء وغيرهم شرك كما كان المشركون الأولون يدعونهم ليشفعوا لهم عند الله فأنكر الله عليهم ذلك وأخبر أنه لا يرضاه ولا يأمر به قال تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض " [1] فهذه الآية كما قال بعض العلماء إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها 0 قال ابن القيم رحمه الله في الكلام على هذه الآية 0 وقد قطع الله

---

[2] يونس آية (18)
[3] الأنعام آية (51)
[4] الزمر آية (44)
[5] أخرجه البخاري في العلم (99) وأحمد في المسند "(307/2 , 518) والنسائي في الكبرى (483/9) تحفة وابن حبان (2594)
[6] يونس آية (106)
[1] سبأ آية (22)



الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم ذلك من تأمله وعرفه فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به مـ، النفع والنفع لا يكون إلا ممن يكون فيه خصلة من هذه الأربع :0

1 – إما مالك لما يريد عابده منه فإن لم يكن مالكاً

2 – أن يكون شريكا للمالك فإن لم يكن شريكا له

3 – كان معنياَ وظهيراً فإن لم يكن معنياَ ولا ظهيراَ

4 – كان شفيعا عنده

فنفى سبحانه وتعالى المراتب الأربع نفياً مرتبا منتقلاً من الأعلى إلي ما دونه فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة للنصيب فيها المشرك وهي الشفاعة بإذنه فهو أي الله سبحانه وتعالى الذي يأذن للشافع وإن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين فإن المشفوع عنده يحتاج إلي الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها وأما كل ما سواه ففقير إليه بذاته وهي الغنى بذاته عن كل ما سواه فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه فكفي بهذه الآية نوراَ وبرهاناَ ونجاة وتجريداَ للتوحيد وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها 0 والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعرون 0

وتأمل أيضا حديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه "

قال ابن القيم تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة أو شفاعته صلى الله عليه وسلم تجريد التوحيد فالله سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ولا يأذن بالشفاعة إلا من رضي وقوله وعمله كما قال في الفصل الأول من هذه الآية " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " [2] وفي الفصل

---

[2] البقرة آية (255)

الثاني " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" [3] وبقى فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده وإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فهذه فصول ثلاثة تقطع شجرة الشرك من قلب ممن وعاها وعقلها أ.هـ كلامه ملخصا 0

واعلم بأن الشفاعة أنواع منها ما هو متفق عليه بين الأئمة ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع كما سنذكر إن شاء الله تعالى 0

النوع الأول منها : الشفاعة الأولى وهي العظمى الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم من سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات ربي عليهم أجمعين وهي ثابتة في الصحيحين وغيرهما قال البخاري رحمه الله تعالى باب قوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا " [1] ثم ساق بإسناده عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول " إن الناس يصبرون يوم القيامة جثا لكل أمة تتبع نبيها يقولان يا فلان , اشفع حتي تنتهي الشفاعة إلي النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود " فهو صلى الله عليه وسلم يشفع أولا إلي الرحمن في فصل القضاء ين أهل الموقف وهذه الشفاعة الأولى لنبينا صلى الله عليه وسلم وهي أعظم الشفاعات وهي المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل له ووعده إياه وأمرنا رسول الله صلى الله وسلم أن نسأل الله عز وجل إياها له بعد كل آذان 0

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فرفع إليه÷ الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلي ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم

---

[3] الأنبياء آية (28)
[1] الإسراء آية (79)



فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلي ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي نوح فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلي الأرض وسماك الله عبداً شكورا اشفع لنا إلي ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد كانت دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلي إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلي ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم صلى الله عليه وسلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي موسى فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلي ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى صلى الله عليه وسلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلي عيسي فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلي مريم وروح منه فاشفع لنا إلي ربك إلا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى صلى الله عليه وسلم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي محمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلي ربك ألا ترى ما



نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فانطلق فأتـى تحت العرش فأقع ساجداً لربـي ثم يفتح الله علـيّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى " [1] فالشفاعة الأولي تكون في فصل القضاء بين الخلائق

2 – الشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة وقد جاء في الأحاديث أنها أيضا من المقام المحمود روي مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً " [2] وفي رواية " أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة " [3] وفي رواية قال أنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد " [4] وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم   آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك " [5] وعن إبي هريرة , وحذيفة رضي الله عنهما قالا " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتي تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست

---

[1] أخرجه البخاري في التفسير (3340 - 3361) (4712) ومسلم في الإيمان (194) (472) والترمذي في صفة القيامة (2434) وابن ماجة في الأطعمة (3307) والنسائي في التفسير (1 : 451) وأحمد في المسند (435/2 , 436) وابن أبي عاصم (379/2 – 811) وابن خزيمية في التوحيد 0 صـ 243) وابو عوانتة (171/1)

[2] أخرجه مسلم في الإيمان (475) (196) والدرامي (27/1) وأ؟حمد (140/3) وابن منده (885 – 890) والخطيب في تاريخه (400/12)

[3] أخرجه مسلم في الإيمان (476)

[4] أخرجه مسلم في الإيمان (477)

[5] أخرجه مسلم في الإيمان (478)

بصاحب ذلك اذهبوا إلي ابني إبراهيم خليل الله عز وجل قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك وإنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلي موسى الذي كلمه الله تعالى تكليما فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا إلي عيسى كلمة الله تعالى وروحه فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم لست بصاحب ذلك فيأتون محمد صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء يمر كالبرق قال ألم تروا إلي البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتي تعجز أعمال العباد حتي يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمحدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا " [1] وهاتان الشفاعتان الأولي والثانية قد خصتا نبينا صلى الله عليه وسلم بلا نكران أي لم ينكرها أحد بين أهل السنة والجماعة ولا أحد من غيرهما أيضاً من المعتزلة وغيرهما 0

3 – شفاعته صلى الله عليه وسلم لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لا يدخلوها فهؤلاء منهم من قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة , ومنهم قوم آخرين قد أمر بهم إلي النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها – وقد ورد في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " يحبس المؤمنون يوم القيامة حتي يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلي ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتي يريحنا من مكاننا هذا قال فيقول لست هناكم

[1] أخرجه مسلم في الإيمان (474)

قال ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن أئتوا نوحا أول نبي بعثه الله تعالى إلي أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون إبراهيم فيقول إني لست هناكم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوارة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله لنفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله تعالى وكلمه قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمد صلى الله عليه وسلم عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاستأذن علي ربي في داره فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله تعالى أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فارفع رأسي فأثنى علي ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة " [2]الحديث وروى الترمذي عن عبد الله بن شقيق قال كنت مع رهط بايلياء فقال رجل منهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم قيل يا رسول الله سواك قال سواي " [1] وقد سأل عبد الله بن شقيق عمن هذا الذي كان يحثهم فقالوا له هذا بن أبي الجذعاء وهو عبد الله وروي عن إبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس منهم من يشفع للقبيلة ومنهم يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة " 000 روي أبو داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين

---

[2] أخرجه البخاري في التفسير (4476) ومسلم في الإيمان (467, 468) والنسائي في التفسير في الكبري (1 / 307) تحفة وابن ماجة في الزهد (4312)

[1]

الخاطئين المتلوثين " 000 واعلم بأن الشفاعة هي لمن مات لا يشرك بالله شيئا كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم 0

4 – شفاعة في العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم والأحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من أنكرها وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال 0 واعلم بأن هذه الشفاعة والتي قبلها قد فسر بها المقام المحمود فيكون المقام المحمود عاماً لجميع الشفاعات التي أوتيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن جمهور المفسرين فسره بالشفاعتين الأوليين لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بها دون غيره من عباد الله المكرمين وأما هذه الشفاعة والتي قبلها وغيرها فهي وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده فليست خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدانيه في ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ثم بعده يشفع من أذن الله له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين ويشفع الأفراط كل منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هو له أهل ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقواماً بدون شفاعة الشافعين

قال قتادة فيما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة قال قتادة وسمعته يقول فاخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما



شاء أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فأثني على ربي ثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم اشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة قال قتادة وقد سمعته÷ يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود قال ثم تلا هذه الآية " عسي أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " قال : وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم 0

وزاد أبا سعيد فقال " ثم أرجع إلي ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك – أو قال ليس إليك – ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجم من قال لا إله إلا الله 0 قال فاشهد على الحسنى أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه أراه قال قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع " (1)

وقد ورد في حديث أبي هريرة المتفق ع ليه قوله صلى الله عليه وسلم " حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا فمن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار من ابن أدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة " وقد ورد في لفظ مسلم " حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في

(1) سبق تخريجه وأخرجه البخاري في التوحيد (7510) ومسلم في الإيمان (471) والنسائي في التفسير الكبرى (2 : 409)



النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلي نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم " إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما " [2]

يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منه أقواما لم يعملوا خيرا قط قدعاء وأحمما فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلي الحجر أو الشجر ما يكون منها إي الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحد من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا " [3]

5 – الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم وهده مما لم ينازع فيها أحد

---

[2] أخرجه البخاري في التفسير (581) وفي التوحيد (7439) ومسلم في الإيمان (444 , 447) والنسائي في الصلاة (2 : 229) وفي التفسير (10 : 27)

[3] سبق تخريجــه

6 – السادس : شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتي يخفف عذابه وهذه خاصة بأبي طالب وحده قال القرطبي فإن قيل فقد قال الله تعالي " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " [1] قيل لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة 0

7– السابع : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشه بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله منهم وهم السبعين الف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب " 0

8 – الثامن : الشفاعة لأهل الكبائر من أمته فمن دخل النار فيخرجون منها وهذا النوع يدخل مع النوع الرابع من أنواع الشفاعة التي ذكرنها ويحسن أن نقول بأنهم الذين قد أمر بهم إلي النار فيشفع فيهم النبيون كما ورد في ذكر الأربع الشفاعات التي يأذن بها الله سبحانه وتعالى فيمن يخرجهم من النار بعد أن يأذن الله له وكذلك يشفع فيهم النبيون والملائكة وأولياء الله الصالحون بعد أن يأذن الله تعالى لهم وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " [2]

ثم إن الشفاعة بين الناس على ثلاثة أقوال : فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاتة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر 0 وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر وشفاعة غيره لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حدا كما في الحديث الصحيح حديث الشفاعة الذي ذكرناه وأما

---

[1] المدثــر آيــة (48)

[2] أخرجه أبة داود في السنة (4739) والترمذي في صفة القيامة (2435 , 2436) وقال حديث حسن وابن ماجه في الزهد (4310) والحاكم (69/1) وصححه وأحمد في المسند (213/3) وبان حبان (132/8) (6434) عن أنس وجابر وقد صححه الشيخ الألباني في المشكاة (5598 – 5599) والطبراني في الصغير (160/1) وفي الكبير (11454) والخطيب في التاريخ (11/8) والطيالس (2026) وأبو نعيم في الحلية (261/7)

الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره في الدنيا إلي الله تعالى في الدعاء ففيه تفصيل فإن الداعي تارة يقول بحق نبيك أو بحق فلان فهو يقسم على الله بأحد مخلوقاته فهذا محذور من وجهين أحدهما : أنه يقسم أو أقسم بغير الله والثاني

والثاني : اعتقاده أن لأحد على الله حقاً : فأولاً لا يجوز الحلف بغير الله وثانيا ليس لأحد على الله حقا إلا ما أحقه سبحانه على نفسه كقوله تعالى " وكان حقاً علينا نصر المؤمنين " [3] وكذلك كما جاء في الحديث الصحيح عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ اتدرون ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم " [4]

فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم وترك تعذيبهم إذا فعلوا ما أمرهم به أن لا يشركوا غيره معه في العبادة وما أحسن قول القائل :

ما للعباد عليه حق واجب — كلا وسعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا — فبفضله وهو الكريم السامع

أما حديث أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك " [1] فهذا حديث إسناده ضعيف لا يصح الآحتجاج به وإن كان هناك بعض التأويلات المعقولة لبعض أهل العلم لهذا الحديث 0

واعلم بأن هذا من الإعتقاد في الدعاء وقد قال الله تعالى " ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين " [2] وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ولم ينقل عن

---

[3] سورة الروم آية (47)

[4] أخرجه البخاري في اللباس (5967) وفي الرقاق (6500) وفي الاستئذان (6267) وفي الجهاد (2856) وفي التوحيد(7373) وأخرجه مسلم في الايمان (141 , 142 , 143 , 144 , 145) والترمذي في الايمان (2643) والنسائي في العلم (8: 411) تحفة

[1] أخرجه أحمد في المسند (21/3) وابن ماجه في المساجد (778) وهو حديث ضعيف كما قال الشيخ الألباني وفصل ذلك في وقد قال ابن حبان في الضعفاء (176/2) لا يحل الاحتجاج به ولا كتابة حديثه إلا سبيل التعجب



النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التاعبين ولا عن أحد من الأئمة رض اله عنهم وإنما هذا يوجد عند أصحاب الطرق الجهال والدعاء من أفضل العبادات والعبادات مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع وأن كان المراد الإقسام على الله بحق فلان فذلك محذور أيضا لأن الإقسام بالمخلوق محذور فكيف يقسم بالمخلوق على الخالق وقد قال صلى الله عليه وسلم " من خلف بغير اله فقد أشرك " [1]

فيكره كما قال أبو حنيفه [أنه يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان , أو بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام أو المشعر الحرام أو أسألك " بمقعد العز من عرشك " والأثر الوارد في ذلك موضوع كما بينه الإمام الزلعي في نصب الراية (273/4)

كذلك لا يجوز التوسل إلي الله بجاه أحد من الخلق - :انه يقول إن فلان له عند وجاهة وشرف منزلة فأجب دعائنا وهذا محذور لأنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لفعلوه بعد موته وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه يطلبون منه أن يدعوا لهم وهم يؤمنون على دعائه كما في الاستسقاء وغيره فلما مات صلى الله عليه وسلم قال عمر لما خرجوا يستسقون اللهم إن كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك نبينا فتسقينا أو نسألك بجاهه عندك إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه ويحسن أن نذكر أن أمر الشفاعة هذا قد اشتبه على كثير ممن ينتسبون إلي الإسلام حتي وقع كثير منهم في أمور عظيمة من الباطل فترى أحدهم يدعو غير الله تعالى ويستغيث بغيره عز وجل ويطلقون عليه استشفاع وتشفع لجهلهم بأهم الواجبات وأوجب الواجبات الألوهية

---

[2] الأعراف آية (55)

[1] أخرجه الترمذي في الإيمان والنذور (1535) وابو دا ود في الايمان والنذور (3251) واحمد في المسند (125/2) والحاكم (18/1 , 297/4) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (6080) وقال عنه الترمذي حديث حسن وأخرجه الطحاوي في شكل الاثار (358/1)والطيالس (1896) واحمد (87/69/2)

وتوحيد رب العباد وجعل جميع أنواع العبادات لوجهه الكريم ليس فيها أي شائبة شرك 0

فالاستشفاع بأحد عند آخر ليشفع له عنده برفع حاجته ليه لا بأس به إذا كانت في أمر مباح أو لاسترداد حق ضائع أو يخشي ضياعه أما إذا كانت في أثم أو في إسقاط حق ممن الحقوق أو تعطيل حد من الحدود فلا ولا تجوز وذلك لقوله تعالى " تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب " [2]

أما الشفاعة الجائزة التي ذكرناها فقد جاء في سورة النساء قوله تعالى " من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا " [3] ويؤجر الشافع على شفاعته في الأمور المباحة ولو لم تقض حاجة من شفع له وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم " اشفعوا تؤجروا ويقض الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء " [4] والشفاعة على هذا النحو المذكور في أمور الدنيا جائزة إذا كانت في أمر مباح أو استرداد حق من الحقوق ولكن جهل كثير من المسلمين بأمور دينهم فذهبوا يقيسون الخالق جل وعلا على المخلوق فاستشفعوا بالأولياء من أموات المسلمين وطلبوا منهم الشفاعة لديه سبحانه وتعالى فجمعوا بذلك بين محذورين الأول دعاء غير الله تعالى وهو شرك أكبر 0

والثانية : قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه به حيث طلبوا له واسطة كما تطلب للمخلوق من ذوي السلطان وجهلوا أن المخلوق قد يخفي عليه أمر الإنسان فيحتاج إلي من يعلمه به وينبهه إليه وهذا بخلاف الرب تبارك فإنه عليم بأحوال العباد ولا يخفي عليه من أمرهم شيء فليس هو في حاجة إلي ممن يعلمه

[2] المائدة آية (2)
[3] النساء آية (85)
[4] أخرجه البخاري (1432, 6027 , 6028 , 7476 ,) ومسلم (2627) وابو داود (5131) والترمذي (2674) والنسائي (5/77-78) وأحمد 0 4/400, 409 , 413) والحميدي (771) والخطيب (5/2) والطبراني في الكبير (19/809)

بأحوال العباد أو ينبهه إليها – ومن هنا يتبين لنا الفرق بين الاستشفاع والشفاعة في أمور الآخرة والاستشفاع في أمور الدنيا الجائزة المباحة فالشفاعة في الآخرة لها شروط ولها قيود أما القيود فهي أولا :

أنه لا أحد إلا بعد إذن الله سبحانه وتعالى وذلك لقوله تعالى " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " [1] أي لا أحد يشفع إلا بإذنه تعالى فالاستفهام هنا للنفي 0

ثانيا : أنه لا يشفع أحد في آخر إلا إذا كان الله تعالى قد رضي عن المشفوع فيه بارتضاء قوله وعمله وذلك لقوله تعالى " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " [2] فهذا صريح في نفي الشفاعة عمن لا يرتضيه الله تعالي 0

ثالثا : أنه لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك أو الكفر وذلك لأن الله تعالى حكم بخلود الكافرين والمشركين في النار بقوله " إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك شر البرية " [3] ولهذا وجب أن ينقطع طمع العبد في غير الله تعالى فلا تطلب الشفاعة من أحد ولا يسألها أحد من غير الله عز وجل إذ الشفاعات لها لله تعالى وليس لأحد سواه منها شيء قال تعالى " قل لله الشفاعة جميعا " [4] فمن أراد الشفاعة فليسألها من الله تعالى وليقل اللهم شفع نبيك في أو اللهم اجعلني ممن تشفع فيهم نبيك – وليتبع ذلك بالعمل الموجب لها ويتلخص في ثلاثة أمور :

أولا : الإخلاص لله تعالى ونفي الشرك عنه تعالي للحديث الصحيح " من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله فقال من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبله أو من نفسه " [5]

ثانيا : كثرة الصلاة لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأله أحد صحابته مرافقته في الجنة فقال فأعني علي نفسك بكثرة السجود 0

---

[1] البقرة آية (255)
[2] الأنبياء آية (28)
[3] البينة آية (6)
[4] الزمر آية (42)
[5] تقدم تخريجه

ثالثا : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسؤال الوسيلة له وذلك لما ورد أنه قال " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علّي فإنه من صلى صلى الله علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله و أرجو أن أكون أنا هو ممن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة " [(6)]

ومن هذا نعلم جميعا أنه ما وقع الشرك في هذه الأمة إلا باسم الاستشفاع , والتوسل والشرك وتحت شعارها ولذلك فإننا سوف نتكلم عن التوسل والتبرك بعد أن تكلمنا علي الشفاعة :-

فالتوسل : أو الوسيلة " هي العمل الذي يقدمه المؤمن بين يدي رغبته ليتوسل به إليها فيفوز بمرغوبه ويحصل على مطلوبه , أو هي التقرب إلي الله تعالى بعمل صالح طالباً للقرب بينه والخطوة إليه والدرجة عنده سبحانه وتعالى والوسيلة الشرعية مبناها على ثلاثة أمور :

الأول : المتوسل إليه وهو الله ذو الفضل والإنعام

والثاني : الواسل أو المتوسل وهو العبد الضعيف المحتاج الطالب القرب أو الراغب في قضاء حاجة من جلب خير أو دفع شر 0

الثالث : المتوسل به وهو العمل الصالح المتقرب به إلي الله تعالى وهو الوسيلة

– ولا بد من شروط للواسل الذي يريد أن ينتفع بوسيلته :-

أولا : أن يكون العبد الواسل إلي الله تعالى أي المتوسل إليه مؤمناً صالحاً

ثانيا : أن يكون العمل المتوسل به مما شرع الله تعالى لعباده أن يتقربوا به إليه سبحانه وتعالى

ثالثا : أن يكون العمل المشروع قربه موافقاً في أدائه لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يفعل في غير زمانه الذي

[(6)] أخرجه البهاري في الأذان (614) ومسلم في الصلاة (826) وابو داود في الصلاة (523) والترمذي في المناقب (3614) والنسائي في الصلاة

شرع له ولا في غير مكانه الذي عين وحدد له فلهذا لا يكون العمل قربة وسيلة من غير المؤمن فلا بد أن يكون المتوسل بالعمل مؤمناً بالله

ثانيا : كذلك لا تكون البدعة قربة إلي الله تعالى ولا وسيلة إليه بأي حال ممن الأحوال

أما الوسيلة المشروعة الصحيحة فهي عمل منهوب إليها في كل زمان ومكان قال تعالى " يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون " [1] ففي هذه الآية أمر وترغيب من الله تعالى لعباده للمؤمنين في طلب القرب من الله تعالى بفعل الطاعات الزائدة عن الفائض من السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والواجبات لأن تقوى الله تعالى تتحقق بفعل المأمور به وترك المنهي عنه وبها تتحقق النجاة من العذاب إن مات على التوحيد إن شاء الله تعالى وطلب الوسيلة وهي القرب من الله تعالى تكون بفعل نوافل العبادات بعد أداء الواجبات من صلاة , وصيام , وحج , وعمرة , وجهاد , وبغيرها من سائر الطاعات والقرب التي شرعها لنا ربنا علي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من ترك المحرمات وفعل الطاعات والوسيلة منها ما هو جائز ومنها ما هو ممنوع :

فالجائز كل وسيلة أذن فيها الشارع ندبا أو إباحة كما ذكرنا

والممنوع منها ما لم يأذن فيه الشارع كراهة أو تحريما سواء كان في الأمور الدنيوية أو الأمور الآخروية فلا بد من إذن الشارع في جواز الوسيلة وإلا حرمت

و من أمثلة الأمور الممنوعة في الأمور الدنيوية مثل :-

1 – شخص يريد أن يحصل على ثروة طائلة من الأموال فبحث عن وسيلة يحقق بها مراده فرأى أن ذلك لا يأتي إلا عن طريق الغش والخداع والكذب على الناس أو يقتل أخيه الغني الذي لا وارث له فهذه الوسيلة محرمة ولا تجوز 0

---
[1] المائدة آية (35)

2 – رجل خطب امرأة في نفسها فأبت الزواج منه فرأى أن الوسيلة هو أن يذهب إلي ساحراً أو كاهن أو دجال يكتب له حرزاً ليحببه إليها حتى تتزوجه فهذه وسيلة محرمة غير جائزة شرعاً – وكذلك من سرق له مال فذهب إلي عراف أو كاهن لكي يكشف عن السارق بواسطة رئية من الجن فهل يجوز أن يذهب إليه لا يجوز لأن هذه وسيلة محرمة 0

3 – رجل مرض له أخ فعالجه فلم يرأ فقيل له اذهب إلي الضريح الفلاني واستشفع بصاحبه فإن أخوك سوف يبرأ من مرضه فهذه وسيلة محرمة لا تجوز , كذلك مريض وصف له شراب الخمر لكي يبرأ من مرضه فلا يجوز استعمال ذلك أيضا 0

4 – كذلك امرأة أرادت أن تتزوج فقيل لها اذهبي إلي فلانة الشوافة فاستخبريها في شأن زواجك فإن أذنت لكي وإلا فلا لأنها تعرف ذلك عن طريق رئية من الجن فهذه وسيلة لا تجوز وهي محرمة وممنوعة شرعاً وكل وسيلة لم يأذن فيها الشارع لا يجوز استخدامها أصلا بل يجب في ذلك استخدام الوسائل المباحة فتجوز وسيلة التجارة والصناعة والفلاحة وغير ذلك للحصول على المال ولا يجوز الربا والغش والسرقة لجلب الأموال

كذلك يجوز التداوي من الأمراض بالأدوية المباحة , ولا يجوز التداوي بالسموم والنجاسات والمحرمات , وكذلك يجوز استعمال الوسائل الجائزة في البحث عن السارقين والتعريف على من يتقدم للزواج من أحد ولا يجوز استخدام الكهانة ولا العرافة ولا التنجيم لأه هذه وسائل محرمة – ومن الوسائل المحرمة أيضا ما يفعله كثير من جهلة المسلمين الذين ينتسبون إلي الإسلام فخابوا في سعيهم وخسروا فمن ذلك 0

1–دعاء الأولياء والصالحين :– إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم والتوسل بجاهم لم يكن في دين الله قربه أبدا بل هو شرك محرم إن كل ما يفعله جهلة

المسلمين من دعاء غير الله كقول أحدهم يا سيدي فلان خذ بيدي وكن معي أو أنا في حماك أو أنا بك وبالله وغير ذلك من ألفاظ الشرك والباطل والجهل والإسلام بري من ذلك كله إذ أن ذلك لم يشرعه ولم يأذن فيه بل حرمه ومنعه وتوعد من فعله وأصر عليه ولم يتب من ذلك قبل موته بالعذاب الدائم فقال تعالى " إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار " [1]

2-النذور للأولياء والصالحين :- إن ما يفعله هؤلاء الجهلة من نذور للأولياء والصالحين من أموات المسلمين ليس وسيلة ولا قربة مشروعة وإنما هو شرك محرم لا يجوز فعله كقول أحدهم يا سيدي فلان إن رزقني الله بكذا أو شفني من كذا فسوف أجعل لك كذا من الذبائح أو غيرها كل هذا لا يجوز لأنه لغير الله تعالى وعبادة صرفت لغير الله والإسلام برئ من عمله بل وذلك منافي لكلمة التوحيد 0

3-الذبائح على أرواح الأولياء :- إن ما يفعله كثير من جهلة المسلمين اليوم من الذبح على أضرحة الموتى والمشاهد والقباب في الأعياد التي تقام لهم باسم أولئك الصالحين كل هذا ضلال وباطل وليس مما شرع الله لعباده وإنما هو عمل من أعمال الجاهلية الأولي وشرك في عبادة الله تعالى قال تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " [1] وقال تعالى " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه "

4-العكوف حول قبور الصالحين :- ليس التوسل المشروع نقل المرضى إلي أضرحة الأولياء ولا العكوف حول تلك الأضرحة والقبور ولا الميت عندها ولا إقامة الحفلات والحضرات ولا الاستشفاع بأصحاب تلك الأضرحة والقبور ولا

---

[1] المائدة آية (72)
[1] النساء آية (36)

نداءهم وطلب الدعاء منهم ولا الاستغاثة بهم وإنما هذا من الشرك المحرم الذي لا يجوز فعله 0

5-سؤال الله بجاه فلان أو بحق فلان :- وكذلك ليس من التوسل المشروع سؤال الله بجاه فلان أو بحق فلان إذ هذا التوسل لم يرد لا في كتاب ولا في سنة صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إذا من التوسلات المحدثة الباطلة نهى عنها الإسلام وكرهها سلف هذه الأمة كما بينا ذلك سابقا لأن الله ذو فضل فيسأل من فضله كما قال تعالى واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء علميا " وبدل من أن يسأل المسلم ربه بسؤال بدعي منهي عنه لا يعطى به فيسأل ربه بسؤال شرعي مأذون فيه يستجاب له به ويعطى مسألته كأن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أو يسأله بإيمانه بالله أو بإيمانه بنبيه صلى الله عليه وسلم أو إيمانه بكتابه فإن هذا من التوسل المشروع أما سؤال الله بجاه فلان أو بحق فلان فإنه سؤال مبتدع لم يعرفه سلف هذه الأمة الأبرار وما كان من جنس البدع فإنه لا يكون وسيلة تعطى بها الرغائب أو تقضى بها الحاجات

وفيما ورد في الكتاب من الأدعية والتوسلات الجائزة ما يغنى لمؤمن عن التوسل بما لم يشرع في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم = وكذاك يحسن أن تذكر بعد التوسل التبرك حيث أن التبرك قد سئ فهمه كذلك وجهل كثير من الناس بحقيقته ووقع كثير من المسلمين في أشد الأخطاء فباسم التبرك وتحت شعاره عبدت الأحجار والأشجار وانتهكت الحرمات وضيعت الفرائض وأسقطت الواجبات كما أنه باسم التوسل والاستشفاع ذبح لغير الله تعالى واستغيث بغير الله تعالى وما أوقع الأمة في الشرك إلا لجهلها بكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم والتبرك - هو التيمن بالشيء وطلب اليمن والبركة وعرف الدين هو ما يجعله الله من الخير في

الشيء الذي يباركه – وعلى هذا فطلب البركة والتماسها أمر مستحسن شرعاً لأنه من طلب الخير والتماسه ولكم بم يكون التبرك , وكيف يكون 0

يكون بما علم شرعه أن فيه بركة ولإذن الشارع فيه وذلك كبيت الله الحرام , وماء زمزم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " ماء زمزم كعام طعم وشفاء سقم " [1]

وكمجالس العلم , وقراءة القرآن وأما كيف يكون التبرك 0

فإنه يكون إن كانت بيت الله تعالى فبزيارته للحج والعمرة , بالطواف به , والدعاء عنده , وإن كان بزمزم فبالشرب منه والدعاء عند ذلك 0

واعلم بأن التبرك إذا كان قد يؤدي إلي فعل مكروه أو ارتكاب محرم فأنه يجب تركه ويتعين عدم فعله لأن درء المقاصد مقدم على جلب المنافع ولهذا رأى عمر بن الخطاب رغبة الناس سفي النزول تحت شجرة ببيعة الرضوان للتبرك بها فأمر بقطعها إذ لو تركت لعبدت كما عبد غيرها من أشجار كثيرة باسم التبرك وإن ما يفعله جهال المسلمين الذين ينتسبون إلي الإسلام اليوم من شد الرحال إلي زيارة قبر فلان وفلان أو ضريح فلان ممن يعتقدون فيهم الصلاح وإقامة الحفلات لهم والنزول بساحتهم والعكوف عنها باسم التبرك كل هذا باطل منهي عنه ولم يشرع فعله للمسلمين – وقد أدى إلي الشرك والعياذ بالله فكم تسمع من مستغيث بأصحاب تلك الأضرحة وكم ترى حولها من مستجير وداع ضارع لها وباك عندها خاشع لها وكم من يساق إليها من الذبائح قرباناً لها كل ذلك تحت شعار التبرك والتوسل وطلب التشفع إلا بأنهم قد وقعوا في الكفر والشرك بالله الذي حرمه وأمرنا بالابتعاد عنه ألا فلينتبه المسلمون وليفيقوا من غفلتهم وليعودوا إلي ربهم بإفراده وحده بالعبادة وعدم صرف أي شيء من أنواع العبادات لغير الله تعالى وليحذوا من خداع الشياطين لهم وتزين الشرك لهم تحت شعار التبرك والتوسل والتشفع وإنا لله وإنا إليه

---

[1] مسلم (1922/4)

راجعون نسأل الله الهداية لجميع المسلمين وألا لا ينخدعوا بالشرك تحت شعارات الجاهلية وأن يتوفانا جميعا على التوحيد الخالص " ألا لله الدين الخالص " [2] واعلم بأن الأمر كله لله فلا شريك له فسيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم إذا سجد يوم القيامة وحمد الله تعالى قال الله له ارفع رأسك وقل يسمع واسأل تعطه واشفع تشفع فيحد له حداً فيدخلهم الجنة " [3] والأمر كله لله كما قال تعالى " قل الأمر كله لله " [4] وكما قال " ليس لك من الأمر شيء " [5] فإذا كان سيد الشفعاء يقول لأخص الناس به كما في الحديث " يا بني عبد مناف لا أملك لكم من الله شيئا ياصفية يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أملك لك من الله شيئا يا عباس يا عم رسول الله لا أملك لك من الله شيئاً " [6]

بيان الميثاق الذي أخذ الله على آدم وذريته

أما قوله " والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق " " و إذ أخذنا من بني آدم من ظهورهم ذريتهم " [1] الآية يخبر الله تعالى أنه استخرج من ذرية آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلاب آدم وتميزهم إلى أصحاب

[2] سورة الزمر آية (3)
[3] تقدم تخريجه
[4] آل عمران آية(154)
[5] آل عمران آية (128)
[6] 0000000
[1] الأعراف آية (172)

اليمين وإلي أصحاب الشمال فمنها ما ورواه الإمام عن عمر بن الخطاب رضي اللهعنه أنه سئل عن هذه الأمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته قال خلقت هؤلاء للجنة و بعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة 0 وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتي يموت على عمل من أعمال أهل بالنار فيدخل به النار " [(2)]

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به قال فيقول نعم قال فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم إلا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي شيئا " [(3)] ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد وقد جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه " يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجائتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم " [(4)] وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة " [(5)] وفي رواية " على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تخسون فيها من جدعاء

[(2)] أخرجه أبو داود في السنة (4703) والترمذي في التفسير (3075) والنسائي في التفسير (210) (114/8) وفي الموطأ((898/2 – 899) في القدر وابن حبان (6133) وأحمد في المسند (44/1) وقال الترمذي حديث حسن وارجع شرح المسند لأحمد شاكر (289/1) ح 311 , وصححه الألباني في السنة لابن ابي عاصم (204 , 205) واللالكائي (990) والبغوي (77) والحاكم (324/2 – 325)

[(3)] أخرجه البخاري في الرقاق (6557) ومسلم في التوبة (6945) واحمد في المسند (127/3 – 129) وابن ابي عاصم (99) والبغوي (4403)

[(4)] سبق تخريجه

[(5)] سبق تخريجه

" [6] فالله سبحانه وتعالى اسخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه وقال تعالى " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله " [7] ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري والشرك حادث طارئ والأبناء يقلدون عن الأباء فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الأباء أشركوا ونحن جرينا على عادتهم كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن 0 يقال لهم أنتم كنتم معترفين مقرين بأن الله ربكم لا شريك له وقد شهدتم بذلك على أنفسكم 0 فأن شهادة المرء على نفسه هي أقراره بالشيء ليس إلا فلم عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلي الشرك بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلي ما لا يعلم له حقيقة تقليداً لم لا حجة معه فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يبين فساده وعدولكم فيه عن الصواب – فمن اتبع دين أبائه بغير بصيرة وعلم بد يعدل عن الحق المعلوم إليه فهذا اتبع هواه كما قال تعالى " إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " [1] وهذه حال كثير من الناس من الذين ولدوا على الإسلام يتبع أحدهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب ,غ، كان خطأ ليس هو فيه على بصيرة فليتأمل للبيت هذا ولينصح نفسه ولينظر من أي الفريقين هو والله الموفق 0 واعلم بأن توحيد الربوبية لا يحتاج إلي دليل فإنه مركوز في الفطر وأقرب ما ينظر فيه المرء نفسه لما كان نطفة وقد خرج منم بين الصلب والترائب ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين في ظلمات ثلاث وانقطع عنها تدابير الأبوين وسائر الخلائق فإذا تفكر في ذلك وانتقال هذه النطفة من حال إلي حال علم بذلك توحدي الربوبية ثم انتقل منه إلي توحيد الإلهية فإذا علم بالعقل أن له رباً أوجده كيف يليق به أن يعبد

---

[6] أخرجه مسلم في القدر (6631) وسبق تخريجه
[7] سورة الروم آية (30)
[1] سورة البقرة آية (170)

غيره وكلما تفكر وتدبرا ازداد يقينا وتوحدياً والله الموفق لا رب غيره ولا إلـه سواه 0

علم الله الذي أحط بكل شـيء

أما قولـه " وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النـار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص " " وكذلك أفعالهم فيما علم منـهم أن يفعلـوه وكل ميسر لما خلـق لـه والأعمـال بـالخواتيم والسـعيد من سعـد بقضـاء الله والشقي من شقي بقضـاء الله " قال تعالى " إن كل شـيء خلقنـاه بقدر " [2] وقال " إن الله بكل شيء عليم " [3] " وكان الله بكل شيء عليم " [4] فالله سبحانه وتعالى موصوف بأنـه بكل شـيء عليم أزلا وأبـداً لم يتقدم علمـه بالأشيـاء جهالـة وما كـان ربك نسياً وعن عبد الله بن عمرو قال " خرج علينـا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان فقلنـا لا يـا رسـول الله إلا أن تخبرنـا فقـال للذي فـي يـده : هذا كتـاب مـن رب العالمين فيع أسماء أهل الجنة , وأسماء آبـائهم وقبـائلهم ثم أجمل علـى أخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منـهم أبداً ثم قال للذي فـي شمالـه 0 هذا كتـاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبـاءهم وقبـائلهم ثم أجمل علـى أخرهم فـلا يزاد منهم ولا ينقص منـهم أبـداً فقال أصحابه ففيم العمل إن كـان الأمر قد فـرغ منـه فقال سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنـة يختم لـه بعمل أهل الجنـة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النـار يختم لـه بعمل أهل النـار وإن عمـل أي عمـل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهـا ثم قال فرغ ربكم من العباد " فريق

[2] القمر آيـة (49)
[3] الانفال آية (75)
[4] الاحزاب آية (40)

في الجنة وفريق في السعير " [1] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الفرقد فآتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما من نفس منغوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكث لى كتابنا وندع العمل فقال من كان من أهل السعادة فسيصير إلي عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلي عمل أهل الشقاوة ثم قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسني فسنيسره للعسرى " [2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت " يوم يسحبون في النار على وجههم ذوقوا مس سقر إن كل شيء خلقناه بقدر " [3]

وعن جابر رضي الله عنهما قال جاء سرقة بن مالك بن جعثم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر " [4]

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن رجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار وإن

---

[1] أخرجه أحمد في المسند (167/2) والترمذي في القدر (2141)) وقال حديث حسن

[2] اخرجه البخاري فيالقدر (6605) ومسلم في القدر (6607) وابو داود في السنة (4694) والترمذي في القدر (2136) وابن ماجة في المقدمة (78) واالسنائي في التفسير في الكبري (399/7) تحفة

[3] أخرجه مسلم في القدر (6628) والترمذي في القدر (2157) وابن ماجة في المقدمة (83) واحمد (44/2 – 476) والبخاري في أفعال العباد (صـ 19) وابن جرير (110/27)

[4] أخرجه مسلم في القدر (6611) واحمد (292/3 – 293)

الجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدوا للناس وهو من أهل الجنة " وزاد البخاري " وإنما الأعمال بالخواتيم " [5]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول لاالله صلى الله ليه وسلم وهو الصادق المصدوق " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وآجله وشقي أو سعيد فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها إلا زراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها , وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي ما يكون بينه وبينها إلا زراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " 0000 وإعلم بأن أهل السنة مجمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة – نعم نحن نؤمن بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسلم ونرضى بما بكل ما جاء في الكتاب والسنة ونقول دائماً لهذه الأخبار والآثار التي صحت عن سول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا وأطعنا وآمنا بكل ما جاء عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقادها وترك المجادلة فيها وبالله العصمة والتوفيق 0

أما قوله " وأصل القدر سر الله تعالي في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أمانه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " 000 فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين 00

أصل القدر ونزاع الفرق فيه

---

[5] اخرجه مسلم في القدر (6617) والبخاري (2898 , 4202 , 4207 , 6493 , 6607 ,)

اعلم يا عبد الله بأن أصل القدر سر الله في خلقه وهو كونه أوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأمات وأحيا وأضل وهدى قال علي أكرمه اتلله ورضى الله عنه : القدر سر الله فلا نكشفه والذي عليه أهل السنة والجماعة أن كل شيء بقضاء الله وقدره وأن الله تعالى خالق أفعال العباد 0 وأن الله سبحانه خلق الخلائق وقضى أن تكون فأقدار وأوصاف محددة قال تعالى " إنا كل شيء خلقنه بقد " 000 وقال " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " 000 وهو سبحانه العليم با سيكون بمخلوقاته فأمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلي يوم القيامة , وكل ما في الوجود من حركات وسكنات إنما هو كائن بمشيئة الله سبحانه قال تعالى " يخلق ما يشاء وهو العليم القدير " 000 ولا يحدث شيء إلا بقدرة الله تعالى ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان ولا يستطيع الإنسان أن يحيط علماً بأسرار الله سبحانه والمؤمن يعرف لربه الكمال الأعلى فتراه مؤمنا بأن كل عمل لا يحدث إلا وله حكمه وإذا غابت عنه الحكمة الإلهية في أمر من الأمور عرف جهله أمام علم الله وترك الإعتراض على الحكيم الخبير والعليم " لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون " ومن آمن أن الله خلق كل شيء بقدر تراه حريصاً على معرفة أقدار الخير ليدفع بها أقدار الشر فهو يدفع قدر الجوع بقدر الطعام , وقدر المرض بقدر الدواء , وقدر السعي في طلب الرزق , ومن آمن بقدر الله سبحانه تراه لا يأسى على ما فاته ولا يصيبه اليأس بسبب كثرة المصائب ولا يفتخر أو يتكبر مهما أوتي من حظوظ مؤمنا بقوله تعالى " ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور " 0000 ومن آمن بقدر الله سبحانه وقدرته ومشيئته وعرف عجزه وحاجته إلي خالقه تراه صادقاً في توكله على ربه يأخذ بالأسباب التي قدر الله أقدارها ويطلب من ربه العون على ما

أعجزه منها يردد في يقين قول الله تعالى " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون " 0000
العم رحمك الله تعالى بأنه يجب على كل مسلم بإن يؤمن ويصدق تصديقاً جازماً بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره وأنه الفعال لما يريد ولا يكون شيء غلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ وأنه خالق أفعال العباد والطاعات والمعاصي ومع ذلك فإن الله سبحانه يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضه ولا يحبه فيشاؤه كوناً ولا يرضاه دينا ومع ذلك فإن الله قد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها بل عي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم , والله خالقهم وخالق قدرتهم يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون 0 فالله سبحانه هو العادل الذي يهدي من قبل هداية الإرشاد بهداية التوفيق والإعانة قال تعالى " والذين اهتدوا زدناهم هدي و أتاهم تقواهم " 0000 والله سبحانه لا يضل إلا من يستحق الإضلال ممن رفض هداية الإرشاد وزاغ عن الطريق قال تعالى " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي اللقوم الفاسقين " 000وقال تعالى " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " 000
ولذلك فإننا نقول هؤلاء الجهلة الذين يقولون إذا كان ما كتبه الله في اللوح هو الذي جعل تارك الصلاة تاركاً للصلاة وجعل المصلي مصلياً وهذا وهم لأن المصلي يقوم إلي ا لصلاة باختياره دون إجبار وتارك الصلاة يتركها دون إكراه وإجبار وهذا ما يعرفه كل إنسان لأن الله أراد أن يخلق الإنسان وله حرية الاختيار – ونقول أيضاً لهم أنتم تعرفون بأن الهداية نوعان :-
1 – هداية إرشاد : وهي كمن يدلك على الطريق الذي يوصلك إلي البيت الذي تريد 0 فهو قد هداك إلي الطريق وأرشدك , فهذه وظيفة رسل الله يقومون



بهذه الهداية للبشرية فهم يرشدون الناس إلي الطريق الذي يوصلهم إلي الجنة قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم " وإنك لتهدي إلي صراط مستقيم " 000000 وقال " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " 00000

2 – هداية الإعانة : وهي هداية الإعانة والتوفيق والسداد ومثلها كمثل شخص كريم رحيم ودود وسألته عن الطريق إلي البيت الذي تريد فأشدك إليه فطلبت منه العون فحملك على سيارته وأخذ بيدك إلي المكان الذي تريد فهذه هداية إعانة – وهذه لا تكون إلا لشخص قبل هداية الإرشاد وطلب العون 0 وإذا كان الرسل يقومون بهداية الإرشاد فهم ل يملكون هداية التوفيق والمعونة لأن الله سبحانه لا يعطيها إلا لمن يستحقها ويعلم سبحانه أنه يستحقها قال تعالى " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين "

أما ترى معي أيضا للإجابة على هذا السؤال السابق الذي يقول كيف لا يكون ما قد كتب في اللح مجيراً للإنسان على العمل مع أنه قد

كتب منذ الأزل فنقول إن الأمر سهل يوضحه هذا المثال :- ألا ترى أن الأستاذ الخبير بأحوال طلابه الذي يضع أسئلة الامتحان لو أنه كتب في ورقة عنده أسماء من هو متأكد أنسهم سينجحون في الامتحان وبين أسماء من هو متأكد من أنهم سيرسبون ي الامتحان وظهرت النتيجة ثم جاء الذين رسبوا محتجين بقولهم إن ما كتبه الأستاذ علينا في الورقة بأننا سنرسب هو السبب في رسوبنا فهل سيقبل عذرهم أم أنه سيقال لهم إن ما كتبه الأستاذ في الورقة أمر متعلق بعلمه وخبرته السابقة بأحوالكم ورسوبكم متعلق بإهمالكم فلا تعتذروا لإهمالكم بعلم الأستاذ وخبرته 0

ولله المثل الأعلى – فهو سبحانه خالق الخلق وهو العليم بأحوالهم قال تعالى " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " 0000 ولقد خلقنا الله سبحانه

لقضاء فترة الامتحان على هذه الدنيا وهو جل شأنه يعلم نتيجة الامتحان فكتب الشقاء على الأشقياء وكتب السعادة للسعداء حسب علمه المحيط بما كان وما سيكون والكتابة في اللوح أمر متعلق بعلم الله السابق فترك الصلاة مثلاً متعلق بتمرد وإهمال ومعصية تارك الصلاة وقد أراد الجاهلون أن يعتذروا للمعصية والضلال بعلم الله وكماله فعلم الله سابق لا سائق ولقد أخبر الله رسوله بما هو كائن إلي يوم القيامة ورأينا فيما سبق في علامات السعاة أن كثيرا من الأشياء التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم وكتبها المسلمون في كتب الحديث تقع الآن فهل يزعم شخص أن كتابة المسلمين لما يحدث الآن هو الذي أحدثها إن العلم السابق لا سائق 0

واعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وهدانا وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب : المرتبة الأولي : هي الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليلة وكثيرة وقليلة وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى أسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى " هو الله الذي لا إله إلا هو علام الغيب والشهادة " 0000 وقال تعالى " لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما " وقال تعالى " وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا " 0000 وقال " وعسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " 0000 وقال " أليس الله أعلم بالشاكرين " 000 وقال " أوليس الله

بأعلم بما في صدور العالمين " 000 وقال " فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقي " 0000وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب الله أعلم بما كانوا عاملين , ثم روي عن عباس رضي الله عنهما قال " سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم " 0000 وعن عمر بن حصين قال " قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار قال نعم قال فلم يعمل العاملون قال كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له " وعن سهل بن سعد الساعدي أن رجل من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أحب أن ينظر إلي رجل من أهل النار فلينظر إلي هذا , فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتي جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه فأقبل الرجل إلي النبي صلى الله عليه وسلم مسرعاً فقال أشهد أنك رسول الله وما ذلك قال قلت لفلان من أحب أن ينظر إلي رجل من هل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا عناء وعن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فتقل نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم " 000

وعن أبي كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفرا " وعن عائشة أم المؤمنين قالت " دعي رسول الله صل الله عليه وسلم إلي جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها في أصلاب آبائهم وخلق

للنار أخلا خلقهم لها وهم في اصلاب أبائهم " 000 والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيها إثبات علم الله تعالى المحيط بكل شيء 0
المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء " أي الإيمان بكتاب الله تعالى لجميع الأشياء باللوح المحفوظ الدقيقة والجليلة ما كان وما سيكون قال تعالى " ما فرطنا في الكتاب من شيء " 000 وقال تعالى " وكل شيء أحصيناه في إما مبين " 000 وقال تعالى " وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر " وقال تعالى " ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن في ذلك على الله يسير " 000 وقال تعالى " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو إلي قوله ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين " 000 وقال تعالى " وما تحمل من أنثي ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير " 000 إلي غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها إثبات العلم والكتاب أو يذكر كل على حدته وكتابه تعالى من علمه) وروى مسلم في صحيحه عن أنس ابن عباس رضى الله عنهما قال " ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر , وزنا اللسان النطق والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " 0000 وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه " ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام إي معلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستن بالله والعم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك بشيء قد كتبه الله لك ولم اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " 000
والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير :

الأول : التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم كما قال ربنا قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " .... قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " ... وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قالا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء " 000 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه ولم أحتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج أدم موسى قال موسى أنت أدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلي الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا وجت الله تعالى كتب التوراة قبل أن أُخلق قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها " وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومنى على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى " ....

وعن ابن حفصة قال : قال عبادة بن الصامت لابنه يا بني إنك إن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن لخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة 0 يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني " [1]

التقدير الثاني :-

[1] أخرجه أبو داود في السنة (4700) والترمذي في القدر (3319) والطيالس (ص 79 ج 577) واحمد (317/5) والاجري في الشريعة (ص 177 , 178) وصححه الالباني في الصحيحة

من تقادير الكتابة كتابة الميثاق يوم قوله تعالى لذرية بنى آدم ألست بربكم قال تعالى " وإذ أخذ الله من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نصرف الآيات ولعلهم يرجعون " (2) وعن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله عز وجل " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم " الآية قال " جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال فأني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم آباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة نعلم بذلك اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئا إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك فأقروا بذلك " (3)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله ع يه وسلم قال يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا أن تشرك بي"(4)

التقدير الثالث :-

العمري عند تخليق النطفة في الرحم فيكتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثيتها والآجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه قال تعالى " يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلي أجل مسمي ثم لتبلغوا أشدكم

(2) الأعراف آية (172 : 174)
(3) تقدم
(4) تقدم



ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلي أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا " [1] وقال تعالى " وما تحمل من أنثي ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير " [2] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات تكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " [3] وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل الله تعالى بالرحم ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال أي رب ذكر أم أنثى , أشقي أم سعيد , فما الرزق فما الآجل فيكتب كذلك في بطن أمه " [4]

التقدير الرابع : -

التقدير الحولي في ليلة القدر , يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلي مثله قال الله تعالى " حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين " [5]

---

(1) الحج آية (5)
(2) فاطر آية (11)
(3) البخاري في القدر (6594) ومسلم في القدر (6599) وأبو داود في السنة (4708) والترمذي في القدر (2137) وابن ماجة في المقدمة (76) والنسائي في التفسير في الكبرى (7 : 29) تحفة
(4) أخرجه البخاري في الحيض (318) ومسلم في القدر (6606)
(5) الدخان آية (1 : 5)

قال ابن عباس رضي الله عنهما يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال حج فلان وقال الحسن البصري والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلي مثلها – وقال مقاتل يقدر الله تعالى في ليلية القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلي السنة القابلة – قال أبو عبد الرحمن السلمي : يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر والآثار في ذلك كثيرة عن الصحابة والتابعين 0

التقديرالخامس :-

التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلي المواقيت التي قدرت لها فيما سبق قال الله تعالى " كل يوم هو في شأن " [(1)] روى ابن أبي الداردار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل " كل يوم هو في شأن " قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين " وعلقه البخاري مرفوعاً وقد ذكر البغوي رحمه الله تعالى قول المفسرين : فقال من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوما ويذل قوما آخرين ويشفي مريضاً ويفك عانياً ويفرج عن مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا إلي ما لا يحصي من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد و إنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أن يناله فيه لا تقدمه و لا يتأخره كما أن في الآخرة

(1) سورة الرحمن آية (29)

يأتي تأويل الجزاء الموعود إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً " لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون " [2] ولهذا قال سفيان بن عينيه فيما ذكره عنه البغوي رحمه الله تعالى " الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والأخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يعني وغير ذلك 0 وشان يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب "

ثم هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي , والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة , والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين والإمام المبين هو من علم الله عز وجل وكذلك منتهي المقادير في آخريتها إلي علم الله عز وجل فانتهت إليه الأوائل إلي أوليته وانتهت الأواخر إلي أخريته " وأن إلي ربك المنتهي " [3]

والمرتبة الثالثة : هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " [4] وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه " ولو شاء الله لجمعهم على الهدي " [5] " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة " [6] " ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا " [7] " ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم

---

[2] سورة الأنعام آية (67)
[3] سورة النجم آية (42)
[4] سورة يس آية (82)
[5] سورة الأنعام آية (35)
[6] سورة هود آية (118)
[7] سورة يونس آية (99)

مشيئة الله تعالي إيجاده لا أنه عجز عنه تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك " وما كان ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا " [1]

المرتبة الرابعة : وهذه هي المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر وهي مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها 0 سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه وهاتان المرتبتان قد تقدم الكلام عليها - وقال الشيخ الفاضل ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (ج 1 ص 148 – 150) والإيمان بالقدر درجتين كل درجة تضمن شيئين , فالدرجة الأولي الإيمان بالله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا 0 وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفظ مقادير الخلق " فأول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن إلي يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال تعالى " ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير " [2]

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذ خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات اكتب رزقه , وأجله , وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك فهذا القدر ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكره اليوم قليل 0

وأما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى ولا يكون في ملكه إلا ما يريده وأنه سبحانه وتعالى

---

[1] سورة فاطر آية (44)
[2] سورة الحج آية (70)

علي كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات 0 ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين ويحب المقسطين ويرضى عن الذين أمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد 0 والعباد فاعلون حقيقة والله خالقهم وخالق أفعالهم والعبد هو المؤمن الكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى " لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين " [1]

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها 0

واعلم أخي بأن العباد لهم قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم , وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة مضافة إليهم حقيقة وبحسبها كلفوا وعليها يثابوا ويعاقبوا ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم وقد أثبت الله تعالى ذلك في الكتاب والسنة , وصفهم به ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاءون إلا أن يشاء الله غز وجل ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين كما جمع تعالى بين ذلك في غير موضع من كتابه كقوله تعالى " من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون " [2] وقال تعالى " إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلي ربه سبيلا وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما " [3] وقال تعالى " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "

---

[1] سورة التكوير آية (28 : 29)
[2] سورة الأعراف آية (178)
[3] سورة الإنسان آية (29 : 30)



[4] وقال " لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها " [5] وقال تعالى " و تلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون " [6] وقال " وذوقوا عذب الخلد بما كنتم تعملون " [7] وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الحمد لله ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له [8]

وقال البخاري رحمه الله باب " وما كنا لنتهتدي لولا أن هدانا الله " [9] " ولو أن الله هداني لكنت من المتقين " [10] ثم روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا فأنزلني سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا " وقال صلى الله عليه وسلم في الحمد ما أنزل الله علي فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " وغير ذلك من الأدلة الكثيرة فكما أن العباد لم يوجدوا أنفسهم فكذلك لم يجدوا أفعالهم بل قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم وليس مشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته وأفعاله 0

كما ليسوا أياه تعالى الله عن ذلك بل أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليهم حقيقة وهي من آثار أفعال الله تعالى القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة فالله فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة والله تعالى هاد حقيقة والعبد مهتد حقيقة ولهذا أضاف الله تعالى كلاً من الفعلين إلي من قام به فقال عز وجل من يهد

---

[4] سورة البقرة آية (286)
[5] سورة الطلاق آية (7)
[6] الزخرف آية (72)
[7] سورة السجدة آية (14)
[8] سورة ننننننن
[9] سورة الأعراف آية (43)
[10] سورة الزمر آية (57)

الله فهو المهتد " [1] فإضافة الهداية إلي الله تعالى حقيقة وإضافة الاهتداء إلي العبد حقيقة وكما أن الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة وذلك العبد يكون ضالا حقيقة وهو سبحانه وتعالى خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما خلق كما قال جلا وعلا " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير " [2] أي هو الخالق لكم هذه الصفة وأراد منكم ذلك كوناً لا شرعاً فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال العباد وسيجزيهم بها أتم الجزاء ولهذا قال " والله بما تعملون بصير " فأضاف الله تعالى الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة والله تعالى هو الذي جعلهم كذلك وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها والمقصود أن الله سبحانه في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما للمخلوق كفر ومن أضافها كلاهما إلي الله تعالى كفر ومن أضاف الفعل إلي الله تعالى حقيقة والانفعال إلي المخلوق حقيقة كما أضافها الله تعالى فهو المؤمن حقيقة 0 فالأول قول القدرية النفاة وأول من أحدثه في هذه الأمة معبد الجهني في آخر عصر الصحابة وقد أخذ هذا القول من رجل يسمي سوسن نصراني 0 وقد جاء ذكر معبد الجهني في حديث عبد الله بن عمر في صحيح مسلم في سياق حديث جبريل المشهور في سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الدين – فعن يحيي بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجيت او معتمرين فقلنا لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما داخلاً المسجد فاكتنفته أنا

---

[1] سورة الكهف آية (17)
[2] سورة التغابن آية (2)

وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتي يؤمن بالقدر ثم ساق حيث جبريل المشهور عن الدين " فهكذا أنكر الصحابة ما كان عليه معبد الجهني وكذلك أنكر عليه أئمة التابعين وتبرأوا من هذا الاعتقاد وكفروا منتحليه ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بعضا بمجانبته والفرار من مجلسته ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التي انتحلها هو رءوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزالي وعمرو بن عبيد ومن على طريقتهم حتي بالغ بعضهم فانكر علم الله تعالى وأنكر كتابة المقادير السابقة وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة وأما واصل بن عطاء فقال فيه ابو الفتح الاذدي رجل سوء كافر قال فيه الذهبي : كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالدينة وهذا وقد توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصوا به وقد ذكروا بأن اعرابي وقف على حلقة فيها عمرو بن عبيد فقال يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها علي فقال عمرو بن عبيد اللهم إنك لم ترد أن تسرف ناقته فسرقت فارددها عليه فقال الاعرابي لا حاجة لي في دعائك قال ولم قال أخاف كما أراد أن تسرق فسرقت أن يريد ردها فلا ترد , وقال رجل لأبي عصام القسطلاني أرأيت إن منعني الهدي وأوردني الضلال ثم عذبني أيكون منصفا قال له أبو عصام , إن يكن الهدي شيئاً هو له فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء ودخل عبد الجبار الهداني أحد شيوخ المعتزلة علي الصاحب ابن عباد وعنده ابو اسحاق الاسفراييني أحد أئمة السنة فلما رأي الأستاذ قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الأستاذ فوراً سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما شاء فقال القاضي أيشار ربنا أن يعصى قال الأستاذ

أيعصى ربنا قهرا فقال القاضي رأيت أن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن أم أساء فقال الأستاذ إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء فبهت القاضي عبد الجبار – وفي تاريخ الطبري (125/8) أن غيلان قال الميمون بن مهران بحضرة هشام بن عبد ا لملك الذي أتي به ليناقشه 0 أشاء الله أن يعصى فقال له ميمون 0 أفعصى كارها 0 , ومنشأ ضلال هؤلاء هو من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضي فسوى القدرية والجبرية ثم اختلفوا فقالت الجبرية الكون كله بقضائه وقدره فيكون محبوباُ مرضيا ثم قال القدرية النفاة كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له لا خيرها ولا شرها وقالت طائفة منهم الخير من أفعالهم مخلوق له تعالى ومقدور له أما الشر فليس عنهم مخلوقاً لله ولا مقدوراً له فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه وأثبتوا خالقين فهم الحقيقة مجوس ثنوية بل أعظم منهم فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين 0 ولولا تناقضهم لكانوا أكثر من المجوس وحاصل قولهم هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل وملكه وأنها ليست داخله في ربوبيته عز وجل ، وأنه يكون في ملكه مالا يريد ويرد ما لا يكون , وأنهم إنياء عن الله عز وجل فلا يستطيعون به على طاعته ولا على ترك معصيته ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم ولا يستهدونه الصراط المستقيم فقوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين , وقول لا حول ولا قوة إلا بالله لا معني له عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " هذا مع إنكارهم علم الله عز وجل وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا 0

أما القول الثاني وهو قول الجبرية الذين يضيفون الفعل والإنفعال كلاهما إلي الله عز وجل فهم يقولون بأن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها

الريح العاصف وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي كتكليف الحيوان بالهيم بالطيران , وتكليف المعقد بالمشي , وتكليف الأعمي بنقط الكتاب , وان تعذيبه غياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم , وأن ذلك كتعذيب الطويل لما لم يكن قصيرا والقصير لما لم يكن طويلا فسلبوا العبد قدرته واختياره وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها ونقوا عن الله تعالى حكمته البالغة وجحدوا حجته الدامغة وأثبتوا عليه الحجة لعباده , ونسبوا إلي الظلم وطعنوا في عدله وشرعه , فلا قيام عندهم لسوق الجهاد , ولا معني لإقامة الحدود , ولا الثواب وللعقاب بل ولا لإرسال الرسل وإنزال الكتب إلا التكليف في غير وسع وتحميل ما لا يطاق للعبد , والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرما فأقاموا عذر أبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيرا 0 وأن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم , بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الأبليسية وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيرا من عبارتهم التي لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى في كتابه أقوال الكفار قبحهم الله

فمن ذلك قول بعضهم : ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وقول آخر قبحه الله : دعاني وسد الباب عني فهل إلي دخولي سبيل بينوا لي قضيتي 0

وقيل لبعض هؤلاء : أليس هو يقول ولا يرضى لعباده الكفر , فقال دعنا من هذا رضيع وأحبه وأراده وما أفسدنا غيره – واجتمع جماعة من هؤلاء يوماً فتذاكروا

القدر فجرى ذكر الهدهد وقوله " وزين لهم الشيطان أعمالهم " [1] فقال كان الهدهد قدريا أضاف العمل إليهم والتزين للشيطان وجميع ذلك فعل الله , وسئل بعضهم عن قول الله تعالى لأبليس " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " [2] أيمنعه ثم يسأله ما منعه قال نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه قال فما معنى قوله عز وجل " وماذا عليهم لو آمنوا بالله " [3] إذا كان هو الذي منعهم قال استهزاء بهم قال فما معني قوله " ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم " [4] قال فعل ذلك بهم من غير ذنب جنبوه بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم وليس للآية معني 0 وقال بعض هؤلاء وقد عوتب علي ارتكابه معاصي الله فقال إن كنت عاصيا لأمره فأنا مطيع لإرادته 0 وقال شيخ الإسلام ابن القيم قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : عاتبت بعض شيوخ هؤلاء فقال المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب والكون كله مراده فأي شيء أبغض منه 0 قال فقلت له إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من في الكون وعاداهم ولعنهم فأحببتهم أنت و واليتهم أكنت ولياً للمحبوب , أعبدوا له فكأنما ألقم حجراً 0 فالله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقاً الذين ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه ولا نزهوه عما لا يليق به ويغضوه إلي عباده ويغضوه إليه سبحانه وأساء الثناء عليه جهدهم وطاقتهم وهؤلاء خصماء الله حقاً الذين جاء فيهم الحديث 0

واعلم بأن منشأ الضلال عند هؤلاء إنما هو من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضي وقد دل على الفرق بين المشيئة والإرادة وقد تقدم ذكر بعضها , وأما نصوص المحبة والرضي فقد قال تعالى " والله لا يحب الفساد " [5]

---

(1) سورة النمل آية (24)
(2) سورة ص آية (75)
(3) سورة النساء آية (39)
(4) سورة النساء آية (147)
(5) سورة البقرة آية (205)

وقال " ولا يرضى لعباده الكفر " [6] وقال تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر " كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها " [7] وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله كره لكم ثلاثاً , قيل وقال , وكثرة السؤال , وإضاعة المال " [8] وفي المسند (إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتي معصيته " [9] وكان من دعائه " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك " [10] فتأمل ذكر استعاذته بصفة الرضي من صفة السخط , وبفعل المعافاة من العقوبة فالأول الصفة والثاني أثرها المرتب عليها ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه وتعالي وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلي غيره فما أعوذ منه واقع بمشيئتك وإرادتك وما أعوذ من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه 0

فإعاذتي مما أكره ومنعه أن يحل بي هي بمشيئتك أيضا فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك فعياذي بك منك وعياذي بحولك وقوتك ورحمتك مما يكون بحولك وقوتك وعلك وحكمتك فلا أستعيذ بك من شيء صادر عن غير مشيئتك بل هو منك فلا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعرفة والعبودية إلا لراسخون في العلم 0

فإن قيل كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه وكيف يشاؤه ويكونه , وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكراهته 0 قيل هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقا وتباينت طرقهم وأقوالهم ولكن فلنعلم بأن المراد نوعان : مراد لنفسه , ومراد لغيره :-

---

[6] سورة الزمر آية (7)

[7] سورة الإسراء آية (38)

[8] رواه البخاري (1477) ومسلم (1715) وأحمد في مسنده (246 – 255) والدارمي (310/10 – 311) وفي الكبرى للنسائي (497/8) والبغوي (3426 – 101)

[9] أخرجه أحمد (108/2) وبن حبان (545 , 914) وصحيح الترغيب (1051) وصحيح الألباني (564/3) والقضاعي في مسند الشهاب (1078) وابن الاعرابي في معجمه (223/1) واسناد احمد صحيح علي شرك مسلم 0

[10] تقدم وأخرجه مسلم (2202) وابو داود (3891) والترمذي (2080) واحمد (217/4) ةالبغوي (1416) وابن ماجه (3522) والطبراني في الكبير (8340) والحاكم (343/1) وصححه ووافقه الذهبي

فأما المراد لنفسه محبوب لذاته وما فيه من الخير فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد 0

والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لما يريد ولا فيه مصلحة له بالنظر إلي ذاته وإن كان وسيلة إلي المقصود ومراده فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته 0 مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلي مراده فيجتمع فيه الأمران بغضه وإرادته ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما , وهذا كالدواء الكريه إذا علم المتناول له أن فيه شفاؤه , وقطع العضو المتأكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلي مراده ومحبوبه بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب وإن خفيت عنه عاقبته , فكيف ممن لا تخفى عليه خافيه فهو سبحانه يكره الشيء ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره وكونه سببا إلي أمر هو أحب إليه من فوقه من ذلك أنه خلق أبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والارادات وهو سبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه ويرضاه ومع هذا فهو وسيلة إلي محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ووجودها إليه من عدمها منها أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات والمتقابلات فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها وهي سبب كل شر في مقابلة ذات جبريل التي هي أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها فتبارك خالق هذا وهذا ومنها حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق أبليس لما حصلت , فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى , والمعاداة فيه وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله وعبودية التوبة والاستغفار وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده , ومنها ظهور أسماء الحكمة والخبرة فإن الحكيم الخبير

الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته فهو أعلم حيث يجعل رسالته وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره علي انتهائها وأعلم بمن لا يصلح لذلك 0

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ولفاتت مصالح عديدة ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب 0 وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح والمنافع ما هو أضعاف ما يحصل بها من الشر 0

فإن قيل كيف يرضى لعبده شيئا ولا يعينه عليه : قيل لأن أعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة وقد أشار الله إلي ذلك في قوله " ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين " [1] الآية فأخبر سبحانه انه كره انبعاثهم إلي الغزو مع رسوله وهو طاعة فلما كرهه منهم ثبطهم عنه ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي ترتب على خروجهم مع رسوله فقال " لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا " أي فساداً وشراً " ولأضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم " أي سعوا بينكم بالفساد والشر وفيكم من هم قابلون منهم مستجيبون لهم فيتولد من سعي هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه 0

وأما الوجه الثاني 0 وهو الذي من جهة العبد فهو أيضاً ممكن بل واقع فإن العبد يسخط الفسوق والمعاصي ويكرهها من حيث هي فعل العبد واقعة بكسبه وإرادته واختياره , ويرضى بعلم الله وكتابه ومشيئته وإرادته وأمره الكوني فيرضي

---

[1] سورة التوبة آية (46 : 47)

بما مِنَ الله ويسخط ما هو منه واعلم بأن الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي لا موافقة القدر والمشيئة ولكان موافقة القدر طاعة لكان إبليس من أعظم المطيعين له ولكن قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقوم فرعون كلهم مطيعين وهذا غاية الجهل - فإن قيل إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره ونحن مأمورون نرضى بقضاء الله فكيف ننكره ونكره : فالجواب أن يقال أولا أن يقال نحن مأمورين بالرضي بكل ما يقضيه الله ويقدره , ولم يرد بذلك كتاب الله وسنته بتل من المقضي ما يرضي به , ومنه متا يسخط ويمقت 0

ويقال ثانيا هنا أمران قضاء الله وهو فعل الله قائم بذات الله تعالي 0

ومقضي : وهو المفعول المنفصل عنه فالقضاء كله خير وعدل وحكمة نرضى به كله والمقضي منه ما يرضى به ومنه ما لا يرضى به , ويقال بأن القضاء له وجهان أحدهما تعلقه بالرب ونسبته إليه فمن هذا الوجه يرضى به , والوجه الثاني تعلقه بالعبد ونسبته إليه فمن هذا الوجه ينقسم إلي ما يرضى به وإلي ما لا يرضى به مثال ذلك قل النفس له اعتبارات فمن حيث قدره الله وقضاه كتبه وشاءه وجعله آجلا للمقتول ونهاية لعمره يرضى به 0 ومن حيث صدر من القاتل القتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخط ولا نرضى به قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يحكيه عنه تلميذه ابن القيم عليه رحمة الله يقول بأنه سمعه وهو يقول القدرية المذمومون في السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث نُفاته وهم القدرية المجوسية , والمعارضون به للشريعة الذين قالوا " لو شاء الله ما أشركنا " [1] وهم القدرية المشركون , والمخاصمون به الرب سبحانه وهم أعداء الله تعالى وخصومه وهم القدرية الإبليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال " بما أغويتني " ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم فمن أقر بالذنب وباء به ونزه

(1) سورة الأنعام آية (148)

ربه فقد أشبه أباه أدم ومن برأ نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس إلي أن قال فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم 0 وهدي الله بفضله ورثة أنبيائه 0

ورسله لميراث نبيهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض بل آمنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النفاذة وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه مقلب القلوب و الأبصار ومصرفها كيف أراد وأنه هو الذي جعل المؤمن مؤمنا والمصلي مصلي والمتقي متقي وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره , وجعل أئمة الضلالة يدعون إلي النار , وأنه ألهم كل نفس فجورها وتقواها وأنه يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وأنه هو الذي وفق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم فإنه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به , ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه , وأنه يهدي فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له, وأنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعاً إيماناً يثابون عليه ويُقبل منهم ويرضى به عنهم وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ثم قال 0

والقضاء والقدر عندهم على أربع مراتب جاء بها نبيهم صلى الله عليه وسلم وأخبر بها عن ربه تعالي :-

الأولي : علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم

الثانية : كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السماوات والأرض 0

الثالثة : مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن مشيئته كما لا خروج له عنه علمه 0

الرابعة : خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله خالق كل شيء فالخالق عندهم واحد , وما سواه فمخلوق , ولا واسطة عندهم بين الخالق والمخلوق 0



ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيم في كل ما فعله وخلقه وأن مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هي التي اقتضت صدور ذلك وخلقه وأن حكمته حكمة ق عائدة إليه قائمة به كسائر صفاته وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما قال نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها بل هي أمر وراء ذلك وهي الغاية المحبوبة له المطلوبة التي هي متعلق محبته وحمده ولأجلها خلق فسوى وقدر فهدى وأمات و أحيا واسعد وأشقى وأضل وهدى ومنع وأعطى وهذه الحكمة هي الغاية والفعل وسيلة إليها فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل والنفي للغايات وهو محال إذ نفى الغاية مستلزم لنفي الوسيلة فنفي الوسيلة وهي الفعل لازم لنفي الغاية وهي الحكمة ونفي قيام الفعل والحكمة به نفي لهما في الحقيقة إذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمة لا تقوم بالحكيم شيء لا يعقل وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته 0 وأما من أثبت حكمت÷ تعالى وأفعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة ولما جاءت به الرسل لم يلزم من قوله محذور ألبتة بل قوله حق ولازم الحق حق كائنا ما كان والمقصود أن ورثة الرسل وخلفاؤهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر والحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب تعالى وأوامره وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي وصدقوا بالوعد والوعيد فآمنوا بالخالق الذي من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة , وبالأمر الذي من تمام الإيمان به بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب فصدقوا بالخلق والأمر ولم ينفوها لوازمها كما فعلت القدرية والمجوسية والقدرية المعارضة للآمر بالقدر , وكانوا أسعد الناس بالحق وأقربهم عصمة في هذا الميراث النبوي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم 0 أ 0 هـ باختصار 0

المقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر وانفكاك أحدهما عن الاخر محال فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه

وعقابه وطعن في حكمته وعدله وانتقاد عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها , وخلق النار لأعدائه المكذبين ونسبة أحكام الحاكمين وأعدل العادلين الحكيم في خلقه وشرعه العدل في قوله وفعله وحكمه إلي العبث والظلم في ذلك كله , وكذلك الانقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد عن قدره الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلي العجتز ووصفه بما لا يستحق الإلهية ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يغني عنك شيئا 0

فمن نفى القدر رغم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعاني ربوبيته وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقاُ آخر مع الله تعالى بل أثبت أن جميع لمخلوقين خالقون وأما من أثبته محتجاً به على الشرع محارباً به نافياً عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله إياها وأمره ونهاه وأخبره بحسبها زاعما أن الله تعالى كلف عباده ما لا يطاق فقد نسبب الله تعالى إلي الظلم وإلي العبث وإلي ما لا يليق به , ورجح حجة إبليس وأثبتها وأقام عذره وكان هو إمامه في ذلك إذ يقول " رب بما أغويتني " أما المؤمنون حقا فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله تعالى خالق ذلك كله لا خالق غيره ولا رب سواه وينقادون للشرع أمره ونهيه ويصدقون خبر الكتاب والرسول ويحكمونه في أنفسهم سراً وجهراً وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله " وهو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " [1] وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة , وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركا لا على القدر , ويعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب فإذا وفقوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا " الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا مهتدين لولا أن هدانا الله " [2] ولم يقولوا كما قال

---

[1] سورة القلم آية (7)
[2] سورة الأعراف آية (43)

الفاجر " إنما أوتيته على علم عندي " [3] وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان " ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " [4] ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه 0 ولم يقولوا كما قال إبليس لعنه الله " رب بما أغويتني " وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين " الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " [5] ولم يقولوا كما قال الذين كفروا " وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير " [6] واعلم بأنه قد اتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح , ولهذا لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها فقيل له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعلموا فكل ميسر ثم قرأ " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى " [7] 0

فالله سبحانه وتعالى وقد المقادير وهيأ لها أسباباً وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ميسر له فإذا علم العبد أن مصالح أخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها والقيام بها وأعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سببا في وجود الزرع , والنكاح سببا في وجود النسل , وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة والعمل السيئ سبب

---

[3] سورة القصص آية (78)
[4] سورة الأعراف آية (23)
[5] سورة البقرة آية (156)
[6] سورة آل عمران آية (156)
[7] أخرجه البخاري في التفسير (84/6) ومسلم في القدر (8 : 46)



في دخول النار وقد فقه كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر ما كنت بأشد اجتهاداً مني الآن " وقال النبي صلى الله عليه وسلم " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل "[1] وآتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال " أرأيت رقي نستر فيها ودواء نتداوى به و تقاة نتقيها هل نرد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله "[2] يعني أن الله تبارك وتعالى قدر الخير والشر وأسباب كل منهما 0

أما قوله " والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة فإن الله طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " " فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين " اعلم بأن المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام ذريعة الخذلان - فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان "[3] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال تلك محض الإيمان "[4] فمدافعة الوسوسة الشياطانية واستفظامها صريح الإيمان ومحض الإيمان وهذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ثم خلف من بعدهم خلف سودوا الأوراق بتلك الوساوس بل وسودوا القلوب وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال "

---

[1] أخرجه مسلم في القدر (2664) وابن ماجه (79 , 4168) وأحمد (366/2 , 370) والنسائي في اليوم والليلة (621 – 625) وابن السني (350) والحميدي (1114) والطحاوي في شكل الأثار (101/1) وابن أبي عاصم في السنة (356)

[2] أخرجه الترمذي (2065) وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه (3480)

[3] أخرجه مسلم (132) وأحمد (397/2 , 441 , 456) وأبو داود (5111) وابن حبان (145) (146 , 148) والنسائي في اليوم والليلة (396/9) تحفة والطيالس (2401) وابن منده في الإيمان (340 , 341)

[4] أخرجه مسلم (133) والطحاوي (251/2) والبغوي (59) وابن حبان (149) وابن منده في الإيمان (347) والنسائي في اليوم والليلة (107/7 - 349/1)

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال فقال لهم مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم 0

قال فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده " [1] وقد قال صلى الله عليه وسلم " إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على أثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة " [2] وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة وغيرهم من الفرق الأخرى هي مسألة القدر والحمد لله الذي وفق أهل السنة والجماعة للصواب والحق في هذه المسألة وفي غيرها من أمور العقيدة ثم يجب علينا أن نعلم أم مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمر به ونهاها عنه وبلغها عن ربها ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها بل انقادت وسلمت وأذعنت وما عرفت من الحكمة عرفته وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته ولا جعلت ذلك من شأنها وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك كما في الإنجيل " يا بني إسرائيل لا تقولوا لم أمر ربنا ولكن قولوا بم أمر ربنا " ولهذا كان سلف هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً لا تسأل نبيها لم أمر الله بكذا ولم نهى عن كذا ولم قدر كذا ولم فعل كذا لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا درجة التسليم فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به ثم العزم الجازم على امتثاله ثم المسارعة إليه والمبادرة به والحد عن

[1] أخرجه أحمد (178/2 , 181 , 185 , 195) وابن ماجة (85) واللالكائي (180 , 1118 , 1119) والبخاري في خلق أفعال العباد (صـ 43) وعبد الرازق في المصنف (20367) والبغوي في شرح السنة (121)

[2] أخرجه أحمد (102/4) و ابو داود (4597) والدارمي (141/2) واللالكائي (150) وابن ابي عاصم (1 , 65) وابن ماجه (3992) والطبراني في كبير 8884/19) الآجري (صـ 18)

القواطع والموانع ثم بذل الجهد والنصح في الإثبات به على أكمل الوجوه ثم فعله لكونه مأموراً بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته فإن ظهرت له فعله و إلا عطله فإن هذا ينافي الانقياد وينقدح في الامتثال قال القرطبي ناقلاً عن عبد البر : فمن سأل مستفهما راغبا في العلم ونفى الجهل عن نفسه باحثاً عن معني يجب الوقوف في الديانة عليه فلا بأس به فشفاء الغي السؤال ومن سأل متعتاً غير متفقه ولا متعلم فهو الذي يحل قليل سؤاله ولا كثيره 0 وقد قال صلى الله عليه وسلم " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " [3] ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له بين له الصواب ليرجع إليه فالله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته ورحمته وعدله لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول جهم وأتباعه 0

أما قوله " فهذا جملة ما يحتاج إليه من منور قلبه من أولياء الله تعالى وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم علمان : علم في الخلق موجود , وعلم في الخلق مفقود , فإنكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود "

اعلم بأن ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة والراسخون في العلم يؤمنون بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلا نفياً وإثباتاً وكذلك فإنه يعني بالعلم المفقود علم القدر الذي طوه الله عن أنامه ونهاهم عن مرامه , ويعني بالعلم الموجود علم الشريعة أصولها وفروعها فمن أنكر شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كان من الكافرين ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين قال تعالى " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول " [1] الآية وقال تعالى " إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس

[3] أخرجه الترمذي (2138) وابن ماجة (3976) وهو حديث حسن والبغوي (4132) والخطيب في تاريخه (309/4) (172/5) (64/12) وأحمد (201/1) والطبراني في الكبير (2886) وفي الصغير (111/2) (43/2)

[1] سورة الجن آية (26 : 27)

بأي أرض تموت إن الله عليم خبير "[2]ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها ولا من جهلنا انتفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والحشرات التي لا يعلم منها إلا المضرة لم ينف أن يكون الله تعالى خالقاً لها ولا يلزم أن لا يكون فيها حكمة خفيت علينا لأن عدم العلم لا يكون علماً بالمعدوم 0

وقوله " فويل لمن صار الله تعالي في القدر خصيما واحضر للنظر فيه قلبا سقيما لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرا ودعا بما قال إفكا أثيما " 0

اعلم بأن القلب له حياة وموت , ومرض وشفاء وذلك أعظم مما للبدن قال تعالى " أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نور يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها " [3] أي من كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان 0 فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها بخلاف القلب المريض فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر وكذلك القلب المريض بالشهوة فمرض القلب نوعان

مرض شهوة , ومرض شبهه وأردؤها مرض الشبهة وأردأ الشبهة ما كان أمر القدر وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه ولا يشعر بموته إذا مات قلبه وذلك لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها وعلامة موت القلب أنه لا تؤمله جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة , فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبائح عليه , وتألم بجهله بالحق بحسب حياته وقد قيل " ما لجرح بميت أيلام " وعالج ذلك بمخالفة الهوى وتوطين النفس على الصبر على طاعة الله والصبر عن معاصي الله وهو يحتاج إلي قوة الصبر وقوة يقين فالصابر الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا

---

[2] سورة لقمان آية (43)
[3] سورة الأنعام آية (122)

استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا 0

وعلامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة والموافقة له إلي الأغذية الضارة وعدوله عن دوائه النافع إلي دوائه الضار – فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي من الأغذية والأدوية والقلب المريض بضد ذلك 0 وانفع الأغذية غذاء الإيمان وأنفع الأدوية دواء القرآن وكل منها فيه الغذاء والدواء فمن طلب الدواء أو الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو أجهل الجاهلين وأضل الضالين فإن الله تعالى يقول " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا " [1] وقال تعالى " قل هو للذين أمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد " [2] وقال تعالي " يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين " [3] فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة , ووضعه علي دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لتم يقاوم الداء أبداً وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماوات الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه "

أما قوله " ونؤمن باللوح والقلم وجميع ما فيه قد رقم 0 فلو اجتمع الخلق كلهم علي شيء كتبه الله تعالى فيه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائن لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كائن إلي يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه "

---

(1) سورة الإسراء آية (82)
(2) سورة فصلت آية (44)
(3) سورة يونس آية (57)



أي أننا نؤمن باللوح المحفوظ الذي قال الله فيه " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " [1] وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به ولا يعرف حقيقته إلا الله واعتقاد أنبعض الناس سواء كان من الأنبياء أو الصالحين يطلعون على ما فيه كفر بالآيات والأحاديث المصرحة بأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى – ثم اختلف أهل العلم هل القلم أول المخلوقات أو العرش على قولين لا ثالث لهما وسواء كان الراجح هو هذا أم ذاك فالاختلاف المذكور يدل بمفهومه على أن العلماء اتفقوا على أن هناك أول مخلوق والقائلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا الاتفاق لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقلبه مخلوق وهكذا إلي ما لا أول له فتأمل هذا فإنه مهم والله الموفق 0

وقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم " إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال يا رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتي تقوم الساعة " [2] وثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء " [3] هذا وقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلي مستوى يسمع فيه صريق الأقلام فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها من أوامر العالم العلوي والسفلي – و الذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة : –

القلم الأول :– هو العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح

القلم الثاني :– حين خلق أدم وهو قلم عام أيضا لكن لبني آدم ورد هذا في آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم 0

---

(1) سورة البروج آية (21 : 22)

(2) أخرجه الترمذي في القدر (2155) وأحمد في المسند (317/5) وأبو داود في السنة (4700) وأبو الطيالس (577) والأجري في الشريعة (ص 177) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص 378) وابو نعيم في الحلية (248/5) وابو يعلي (126/1)

(3) تقدم تخريجه

القلم الثالث :- حين يرسل الملك إلي الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه واجله وعملته وشقي أو سعيد كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة 0

القلم الرابع :- وهو الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذي يكتبون ما يفعله بنوا أدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة 0

ثم أعلم بأن الخلق كلهم جميعا إن اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك كما ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال يا غلام إلا أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك , ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " وفي رواية " احفظ الله تجده أمامك تعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم بأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا " [1]

وقد تقدم حديث (سراقة بن مالك حينما قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما استقبل قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير " [2]

ثم علة العبد إذا علم أن كلاً من عند الله فالواجب إفراده سبحانه وتعالى بالخشية والتقوى وعليه أيضاً أن يبتغي رضا الله فإذا اتقى العبد ربه والتمس رضاه كفاه الله مؤنة الناس كما كتبت عائشة إلي معاوية أنها سمعت النبي صلى الله عليه

---

(1) تقدم تخريجه
(2) تقدم تخريجه

وسلم يقول " من التمس رضي الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضي الناس بسخط الله وكله الله إلي الناس " [3]

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إذا أحب الله العبد نادى يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض " وقال في البغض مثل ذلك فقد بين الله أنه لا بد لكل مخلوق أن يتقي إما المخلوق وإما الخالق وتقوى المخلوق ضررها راجح على نفعها من وجوه كثيرة فالخلق لا يتفق حبهم كلهم وبغضهم بل الذي يرده هذا يبغضه هذا فلا يمكن إرضاؤهم كلهم كما قال الشافعي رحمه الله رضى الناس غاية لا تدرك فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه ودع ما سواه فلا تعانه فإرضاء الخلق لا مقدور ولا مأمور به أما إرضاء الخالق فمقدور ومأمور به فإذا اتقى العبد ربه كفتاه مؤنة الناس وتقوى الله هى التي يحصل بها سعادة الدنيا والآخرة فهو سبحانه أهل التقوى وهو أيضاً أهل المغفرة فإنه سبحانه هو الذي يغفر الذنوب لا يقدر مخلوق على أن يغفر الذنوب ويجير من عذابها غيره وهو الذي يجير ولا يجار عليه قال البعض السلف ما احتاج تقي قط لقوله تعالى " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب " [1] فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجا مما يضيق علي الناس وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خللا فليستغفر الله وليتب إليه قال تعالى " ومن يتوكل على الله فهو حسبه [1] أي فهو كافيه لا يحوجه إلي غيره 0 وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلي الأسباب وهذا فاسد فإن الاكتساب منه فرض , ومنه مستحب , ومنه مباح , ومنه مكروه , ومنه حرام , وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم

---

[3] اخرجه الترمذي (2414) والبغوي (410/14 , 411) وابن المبارك في الزهد (199 , 200) واسحاق بن راهوية (632) وابن حبان (1541))

[1] سورة الطلاق آية (2 , 3)

أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب 0 ويمشي في الأسواق للاكتساب حتى قال الكافرون " ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق " [(2)] للاكتساب ولهذا تجد كثيراً ممن يرى الاكتساب بنافي التوكل يرزقون على يد من يعطونهم إما صدقة وإما هدية وقد يكون من ذلك مكاس أو والي شرطة أو نحو ذلك 0

إذا فالواجب على العبد إفراد الله سبحانه وتعالى بالخشية والتقوى والتوكل عليه وحده لا شريك له قال تعالى " فلا تخشوا الناس و اخشون " [(3)] وقال " وإياي فارهبون " [(4)] وقال " ومن يطع الله ورسول ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون " [(5)] وقال " هو أهل التقوى وأهل المغفرة " [(6)] ونظائر هذا المعنى في القرآن كثيرة 0

أما قوله " وما أخطأ العبد لم يكن ليصبه وما أصابه لم يكن ليخطئه وعلي العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكماً مبرماُ ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه "

اعلم بأن المقدور كائن لا محالة ولقد أحسن قول القائل ما قضى الله كائن لا محالة : والشقي الجهول من لام حاله 0

وقال آخر : اقنع بما ترزق يا ذا الفتي 00000 فليس ينسى ربنا نحله

إن أقبل الدهر فقم قائما 00000 وإن تولى مدبرا نم له

واعلم بأن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها كما قال صلى الله عليه وسلم " قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء " [1]

---

(2) سورة الفرقان آية (7)
(3) سورة المائدة آية (44)
(4) سورة البقرة آية (40 , 41)
(5) سورة النور آية (52)
(6) سورة المدثر آية (56)
1 تقدم تخريجه

علــــم فقـــــدر

قال المصنف رحمه الله تعالى " وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه "

لقد سبق علم الله بالكائنات وقدر مقاديرها قبل خلقها : قال صلى الله عليه وسلم " قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء "

ولا يتصور أيجاد هذه المخلوقات على ما فيها من غرائب إلا من عالم سبق علمه على إيجادها 0

وقد أنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل 0 وقالوا إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا 0 تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قال الشافعي ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا خصموا وإن أنكروا كفرا 0 فقد علم الله أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثبته وهذا لا يفعل ما استطاعه فيعذبه لأنه يفعل مع القدرة ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطيعه قال تعالى " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس 000 الآيات "

وعن عائشة قالت : دعي رسول الله صلى عليه وسلم إلي جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبي لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يفعل سوءاً ولم يدركه فقال " أو غير ذلك يا عائشة : إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم " [2]

فهذا الحديث في ظاهره علي حسب ما فهم الأمة من أن النبي صلى الله عليه

---

[2] أخرجه مسلم في القدر (6644) وأبو داود في السنة (4713) وابن ماجة في المقدمة (82) والنسائي في الجنائز (4 : 57) وأحمد في المسند (41/6)

وسلم أنكر على عائشة رضي الله عنها تسرعها في الجواب والحكم في أمر لا يمكن الوصول إليه عن طريق الاجتهاد والرأي والعقل فكان عليها بأن تقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هذا صبي مات ولم يدرك الشر ولم يعلمه وهو من أولاد المسلمين فأين مصيره فسيجيبها النبي صلى الله عليه وسلم ويبين لها لكنها لما تسرعت في الجواب أحالها النبي صلى الله عليه وسلم على أمر عام هو حق أيضاً 0

والمعتمد عند أهل السنة والجماعة بأن أولاد المسلمين الذين ماتوا قبل أن يكلفوا في الجنة فضلاً من الله وكرما وإلحاقاً بآبائهم الذين ماتوا على التوحيد والإيمان وقد دل الدليل على ذلك 0

وهذا الحديث قد استدل به القائلون بعدم استثناء أولاد غير المسلمين من الامتحان في ساعة الحساب وعرصات القيامة فيمن لا تتوافر فيهم شروط التكليف بالتوحيد والإيمان 0 ومن الأدلة الدالة على أن أولاد المسلمين الذين ماتوا قبل التكليف يكونون في الجنة من ذلك قوله تعالى " كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين " [1] 0

ثبت في مستدرك الحاكم بسند صحيح أقره عليه الذهبي عن علي موقوفا عليه من قوله أنه قال أصحاب اليمين هم ولدان المسلمين ماتوا وهم صغار قبل أن يكلفوا " 0

وثبت هذا التفسير أيضا عن ابن عمر 0 والآية فيها قرينتان كما قال الفراء :

القرينة الأولي : قوله تعالى" كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " أن كل نفس تحبس بعملها ومرتهنة به إلا أصحاب اليمين وأصحاب اليمين ولدان المسلمين قطعاً لنه ليس عندهم ما يحبسون من أجله ولا ما يرتهنون به 0

---

[1] سورة المدثر

القرينـة الثانيـة : قولـه " في جنـات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فـي سقر " فهذا عن ما لا يشاهده فهو لا يدري ما حصل ووقع للناس في ساحة الحساب فلما كان في الجنة اطلع على أهل النار فرأى ناسا يعذبون فاستغربوا وقالوا ما سلككم في سقر 0 وهذا يدل على أن هؤلاء ما صدر منهم شر ولا أدركوه ولا عملوه كما أنهم لام يجر منهم خير فتفضل الله عليهم بدخول الجنة : ا 0 هـ

فأرجح الأقوال وأصحها في أصحاب اليمين أنهم أولاد المسلمين 0

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الذي لا لبس فيه بأن أولاد المسلمين في الجنة ثبت في صحيح مسلم عن أبي حسان أنه قال لأبي هريرة إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي بحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم تطيب به أنفسنا عن موتانا فقال أبو هريرة نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أبويه أو قال أباه فيأخذ بصنفة ثوبه كما آخذ بصنفة ثوبك هذا فلا ينتهي حتى يدخل هو وأباه الجنة " [1] 0

وثبت في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما من مسلم يموت له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم " [2] أي بفضل رحمة الله للأولاد 0

وقد ثبت هذا الفضل عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن مات له ولدان وولد واحد في أحاديث أخرى صحيحة 0

فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم فإن حصول المخلوقات علي ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه علي ايجادها قال تعالي " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " [3] قال الإمام الشافعي رضي الله عنه ناظروا القدرية

(1) أخرجه مسلم في القدر (6578)
(2) أخرجه البخاري في الجنائز (1248) وأحمد والطبراني وابن حبان وابن ماجه والنسائي
(3) سورة الملك آية (14)

بالعلم فأن أقر به خصموا وإن نكروا كفروا فأن الله تعالى يعلم أن نكروا كفروا فإن الله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة وقد علم الله ذلك منه ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطيعه 0

أما قوله " وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقريراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه " هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها كما قال صلى الله عليه وسلم " قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه علي الماء " [4]

أما قوله " ذلك من عقد الإيمان وأصوله المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالي وربوبيته كما قال تعالى " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " [1] وقال تعالى " وكان أمر الله قدرا مقدوراً " [2]

أي أن ما تقدم من الإيمان بالقدر سبق علمه بالكائنات قبل خلقها قال صلى الله عليه وسلم " في جواب السؤال عن الإيمان " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " وقال صلى الله عليه وسلم في أخر الحديث " هذا جبريل قد آتاكم يعلمكم دينكم " [3]

ثم اعلم أيها الأخ الفاضل بأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم وما أظهره من علمه الذي لا يحاط به وكتابة مقادير الخلائق وقد ضل في هذا الموضع خلائق كثيرون ممن ينكرون علمه تعالى بالجزئيات أو بغير ذلك فإن لك ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر وأما قدرة الله على كل شيء فهو الذي

---

(4) تقدم تخريجه
(1) سورة الفرقان آية (2)
(2) سورة الأحزاب آية (31)
(3) تقدم تخريجه



يكذب به القدرية جملة حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد فأخرجوها عن قدرته وخلقه – ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما لما قيل له إنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف : قال للسائل : أخبرهم أني منهم برئ وأنهم براء مني 0

واعلم بأن القدر الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولاً عظيمة :

أحدهما :- أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها فيثبت علمه القديم وفي ذلك الرد علي من ينكر علم الله القديم 0

الثاني : أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات ومقاديرها هي صفاتها المختصة بها فإن الله قد جعل لكل شيء قدرا قال تعالى" خلق كل شيء فقدره تقديرا "[4] فالقدر يتضمن علمه القديم أو العلم القديم والعلم بالجزئيات 0

الثالث : أنه يتضمن أنه أخبر بذلك واظهره قبل وجود المخلوقات إخبارا مفصلا

الرابع : أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله محدث له بمشيئته وإرادته ليس لازما لذاته

الخامس : أنه يدل على حدوث هذا المقدور وأنه كان بعد أن لم يكن فإنه يقدره ثم يخلقه 0

واعلم أن من تتمة البحث في موضوع القدر الكلام على هذه الأمور أولا وهي المذكورة في هذه الأبيات 0

لا نوء ولا عدوى ولا طير ولا عما قضى الله تعالى حولا

لا غول لا هامة لا صفر كما بذا خبر سيد البشر

الكلام على النوء :- أما النوء فهو الاعتقاد في النجوم فإنهم كانوا يعتقدون في الجاهلية أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها تأثير في هبوب الرياح وسكونها وفي مجيء المطر وتأخره وفي رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك فإذا وقع شيء من الحوادث نسبوه إلي النجوم وقد رد الله تعالى ذلك عليهم وأكذبهم

---

[4] سورة الفرقان بية (4)

بما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى " الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون " [1] وقال الإمام مالك بن أنس في موطئه رحمه الله تعالى : باب الاستمطار بالنجوم ثم ساق بإسناده عن زيد بن خالد الجهني أنه قال " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب " [2] وعليه ترجم الشيخان فقال البخاري في صحيحه باب قول الله تعالى" وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون " ثم ساق بعد ذلك هذا الحديث 0

العدوى وما ورد فيها من الآيات والأحاديث :-

أما العدوى فقد كانوا في الجاهلية يعتقدون سريان المرض من جسد إلي جسد بطبيعته فنفى الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون " [3] وقال تعالى " ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه " [4] وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا عدوى فقام أعرابي فقال أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن أعدي الأول " وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل قال كلمة طيبة " [5] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

---

(1) سورة الروم آية (48)
(2) اخرجه البخاري في الأذان (846) وفي الاستسقاء (1038) وفي المغازي (4147) وفي التوحيد (753) ومسلم في الإيمان (71)
(3) سورة التوبة آية (51)
(4) سورة التغابن آية (11)
(5) أخرجه البخاري في الطب (5756) (5776) ومسلم في السلام (2224)



وسلم قال " لا عدوى ولا طيره ولا هامة ولا صفر " [1] والأحاديث في نفي العدوى كثيرة في الصحيحين وغيرهما ولا يعارض ذلك حديث " لا يورد ممرض علي مصح " وحديث " فر من المجزوم فرارك من الأسد " وكلاهما في الصحيح متصلاً بحديث " لا عدوي ولا طيرة "

والجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجزوم رما في معناها من ثلاثة أوجه كلها نفي العدوى على إطلاقه 0

الوجه الأول : انه صلى الله عليه وسلم أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التي نفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقع في الحرج فأمر صلى الله عليه وسلم بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسما للمادة وسداً للذريعة لا إثباتها للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء وغيرهم 0

الوجه الثاني : أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي مسبباتها لا استقلالا بطبعها ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاء الله تعالى وقدره وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئاً 0 ومن قوى إيمانه وكمل توكله وثقته بالله وشاهد مصير الأمور كلها إلي رب الأرباب ومسبب الأسباب كما أن مصدرها من عنده عز وجل فنفسه أبيه وهمته عليه وقلبه ممتلئ بنور التوحيد فهو واثق بخالق الأسباب ليس لقلبه إلي الأسباب أدني التفات سواء عليه فعلها أو لم يفعلها والدليل على ذلك ما رواه أبو داود عن جابر بن عبد الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجزوم فوضعها معه في القصعة وقال " كل ثقة بالله وتوكل عليه " ففي أمره

[1] أخرجه البخاري في الطب (5757) ومسلم في السلام (2220)



صلى الله عليه وسلم بمجانبة المجذوم إثبات للأسباب التي خلقها الله عز وجل وفي أكله صلى الله عليه وسلم معه تعليم لنا بأن الله هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبد إلا ما كتب الله له 0

الوجه الثالث : أن النفوس تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه جداً لاسيما ملامسته وشم رائحته فيحصل بذلك تأثير بإذن الله تعالى في سقمها قضاء من الله وقدرا لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقد أهل الجاهلية 0 فإذا تبين لك هذا الجمع بين نفي العدوى وبين الأمر بمجانبة الداء تبين لك الجمع بينها وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح فإنه إذا كان صلى الله وسلم قد أمر المصح بمجانبة الداء فلأن ينهي الممرض عن إيراده على المصح من باب أولى 0 والمقصود أن نفي العدوى مطلق على عمومه 0 وفي ذلك تقوية لقلوب المؤمنين وإمدادهم بقوة التوكل وصحة اليقين وليس الأمر بمجانبة البلاء ولا في النهي عن إيراده على المعافي منه منافاة ولا مناقضية بل ذلك مع الثقة بالله والتوكل عليه من فعل الأسباب النافعة وتوقي الأسباب المؤذية ودفع القدر بالقدر والالتجاء إلي الله أو الالتجاء من الله إلي الله وليس في فعل الأسباب ما ينافي التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب وليس التوكل بترك الأسباب بل التوكل من الأسباب وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها كما أن من اضطربت نفسه ووجل قلبه فرقا وخوفا وارتياباً وعدم يقين بالقدر لا يكون متوكلا على الله بمداناته المرضى والمبتلين وتركه فعل الأسباب فكما لا يكون المرتاب متوكلا بمجرد تركه الأسباب كذلك لا يكون الموحد تاركاً للتوكل أو ناقصه بمجرد فعل الأسباب النافعة وتوقي المضرة وحرصه على ما ينفعه فإنما الشأن فيما وقر في القلوب وسكنت إليه النفوس والتوفيق بيد الله والمعصوم مـ، عصمة الله تعالى ومن هذا الباب أيضا نهيه صلى الله عليه وسلم عن القدوم على البلاء التي بها الطاعون وعن الخروج منها فراراً منه فإن في القدوم عليه تعرضاً للبلاء وتسبباً

للأمور التي أجرى الله تعالى العادة بمضرتها وفي الفرار منه تسخط لقضاء الله عز وجل وارتياب في قدره وسوء ظن بالله عز وجل فأين المهرب من الله وإلي أين المفر لا ملجأ من الله إلا إليه وقد ورد في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه " وقوله صلى الله عليه وسلم فلا تخرجوا فراراً منه تقيد للنهي بخرج لقصد الفرار فلا يدخل في ذلك من خرج لحاجته الازمة , كما أنه قيد الشهادة به للماكث ببلده فما إذا كان صابراً محتسبا صحيح اليقين ثابت العزيمة قوي التوكل مستسلماً لقضاء الله عز وجل كما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم " عن الطاعون فاخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لتن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد " فخرج بهذه الأوصاف من مكث في بلده مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس له هذه الفضيلة , ومع هذا فلا يحل الفرار منه لعموم النهي وله أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه وإن خرج فراراً منه فهي معصية أضافها إلي ارتيابه وضعف يقينه والعياذ بالله , وعلى هذا يحل حديث أنس الذي رواه البخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون شهادة لكل مسلم " فإن مفهوم الحديث الأول أن من ليم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيداً و ذلك لضعف يقينه 0 وقد يقال هو شهيد في الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما في قلوبهم 0 والله تعالى أعلم 0

الكلام علة الطيرة والتطير والغول :-

أما الطيرة : فهي ترك الإنسان حاجته وإعتقاده عدم نجاحها تشاؤما بسماع بعض الكليمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق البركة ونحوها وكذا التشاؤم ببعض

الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت قالوا إنها ناعية أو مخبرة بشر , وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج , وكذا التشاؤم بما يعرض له نفسه حال خروجه كما إذا شيك أو عثر يرى أنه لا يجد خيرا ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات 0 ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور علي البيوت فيرون أنها معلمة علامة شر , ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرت تركوها وكذا الاستقسام بالأزلام الذي أمر الله باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان وهذا وما شاكله وكان هذا في الجاهلية قبل النبوة وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه أهل الجاهلية بأضعاف مضاعفة ووسع دائرة ذلك وساعد عليه شياطين الأنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم أرداهم الله 0

قال تعالى في آل فرعون " فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون " [1] وقال تعالى في سورة يس في قصة رسل عيسي الثلاثة " قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالو إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذابا أليم قالوا طائركم معكم أ إن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون " [2] وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث : في المرأة والدار والدابة " [3] والشؤم ضد اليمن وهو عدم البركة والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد أو اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة , وكذا الدار الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشر أو السيئة الجيران , وكذا الدابة الكثيرة العيوب التي تتعب صاحبها , فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإن ذلك أمر أخر عند من يعتقده فليس من هذا لأن هؤلاء الذين يعتقدون في هذه الأمور

(1) سورة الأعراف آية (131)
(2) سورة يس آية (16 : 19)
(3) متفق عليه البخاري في الطب (   ) ومسلم في السلام

إنما يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها فإنهم يعتقدون أنه إن كان غنيا افتقر ليس بتبذيرها بل لنخاستها عليه وهكذا في سائر الأمور فإنه يعتقد فيها أنها نحس لذاتها والمقصود أن الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم ثم اعلم بأن الفأل قد بينه النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " لا طيرة , وخيرها الفأل قالوا وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم " [1] وفي رواية أنس " لا عدوي ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة " ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية حين جاء سهل بن عمرو قال سهل الله أمركم " وما شاكله 0

واعلم أن من شرط الفأل أن لا يعتمد عليه ولا يكون مقصوداً بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له بال 0 واعلم أنه من البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة أخذ الفأل من المصحف فإنه من اتخاذ آيات الله هزواً ولعبا ساء ما يعملون , واعلم بأن الفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام وقد روي الإمام أحمد في تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما " إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك " [2] وقد ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك " [3]

أما الغول : فهي واحد الغيلان من شياطين الجن وسحرتهم 0 والنفي الموجود في الحديث هو لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع وكانوا

---

[1] أخرجه البخاري في الطب (5756) وباب الفأل (5776) ومسلم في السلام (2224)

[2] أخرجه أحمد (213/1) قال بن مفلح في الأداب (377/3) رواه أحمد من رواية محمد بن عبد الله بن علاته وهو مختلف فيه وفيه انقطاع ومسلمة في جهالة وما سمع من الفضل كما في التهذيب (280/8)

[3] أخرجه أحمد (200/2) وابن وهب في الجامع (صـ 110) والطبراني كما في المجمع (105/5) وابن السني في عمل اليوم والليلة (293) قال الهثمي في المجمع (105/5)

يخافونهم خوفاً شديداً ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى " وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا " أي أن الأنس باستعاذتهم بالجن زادوهم جرأة عليهم وشراً وطغياناً وزادهم الجن إخافة وخبلاً وكفرا فقد كان أحدهم إذا نزل واديا قال أعوذ بسيد هذا الواد من سفهاته فيأتي الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه في نفسه فيقول يا صاحب الوادي جارك أو نحو ذلك فيسمع مناديا ينادي ذلك المعتدي أن اتركه أو دعه أو ما اشبه ذلك فأبطل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ذلك ونفى أن يضروا أحد إلا بإذنه تعالى عز وجل وأبدلنا الله أو أمرنا بأن لا نستعيذ بأحد من المخلوقين وإنما علينا بأن نستعيذ برب المخلوقين بأسمائه صفاته وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ولا متكبر فقال تعالى " وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون " [1] وقال " إما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم "[2] وقال تعالى " قل أعوذ برب الفلق " " قل أعوذ برب الناس " وغيرها من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم " من نزل منزلاً وقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر من خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك " [3] وقال صلى الله عليه وسلم " إن الشيطان إذا سما النداء أدبر وله ضراط " وأحاديث الاستعاذة والأذكار كثيرة جداً وهي موجودة في كتب السنة 0

وأما الهامة والصفر : فقد قيل في تعريف الهامة بأن أهل الجاهلية كانوا يقولون بأنه ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة أنهم كانوا يقولون أيضاً بأن الهامة التي تصرخ هامة الناس وليست بهامة الإنسان وإنما هي دابة , وقيل بأن العرب كانوا في الجاهلية يقولون أن الرجل إذا قتل ولم يأخذ بثأره خرجت من رأسه هامة وهي دودة فتدور حول قبره وتقول اسقوني وفي ذلك يقول شاعرهم :

يا عمر إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتي تقول الهامة اسقوني

---

[1] سورة المؤمنون آية (97 : 98)
[2] سورة فصلت آية (36)
[3] أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (2708) وسبق تخريجه

وقد كان اليهود يزعمون بأنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب 0
وقال أبو عبيد : كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمون هذا الطائر الصدى وبه جزم ابن رجب قال وهذا شبيه باعتقاد أهل التناسخ أن أرواح الموتي تنتقل إلي أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور , وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها 0 أ 0 هـ باختصار 0
أما قوله ولا صفر : قال أبو عبيد بن القاسم في غريب الحديث عن رؤبه أنه قال : هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي أعدى من الجرب عند العرب فعلى هذا فالمراد فنقيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى وممن قال بهذا سفيان بن عيينه وأحمد والبخاري وبان جرير 0
وقيل بأن المراد به شهر صفر 0 والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه , وقيل بأن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بشهر صفر ويقولون إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك 0 وكانوا أيضاً يتشاءمون من السفر في شهر صفر والتشاؤم هو من جنس الطيرة المنهي عنها 0 وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام أو بشهر من الشهور فقد جاء الإسلام ليبطل كل ما كان عليه أهل الجاهلية من عقائد باطلة وفاسدة ويجعل العبد متوجها في جميع أمور حياته ويكون موحداً في أقواله وأفعاله متوكلاً على ربه عالماً بأن الضار والنافع هو الله وحده لا شريك له معلقاً قلبه بخالقه وبارئه فما نعمة إلا من الله فاللهم يا ربنا ومليكنا وإلهنا إنك قد علمت من سعد بطاعتك والجنة , ومن شقي بمعصيتك والنار وكتبت ذلك وسطرته وقدرته وقضيته وشملت الجميع قدرتك ونفذت فيه مشيئتك ولك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولا يدري عبدك في أي القسمين ولا في أي القبضتين هو , وأنت تعلم 0 اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فيسرته لليسري , اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء



والصالحين وحسن أولئك رفيقا " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب " أما قوله " إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وكلم موسي تكليما إيمانا وتصديقا " قال تعالى " واتخذ الله إبراهيم خليلا " [1] وقال " وكلم الله موسي تكليما " [2]

والخلة : هي كمال المحبة 0 هذا وقد أنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة , وقد أنكروا أيضاً حقيقة التكليم 0 وأول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط فإنه خطب الناس يوم الأضحى فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا , ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه وكان ذلك بفتوى من العلماء في زمانه 0 وأخذ هذا المذهب عن الجعد 0 الجهم بن صفوان فأظهره وناظر عليه وإليه أضيف قول الجهمية وقد قتله مسلم بن أحوز أمير خرسان بها ثم انتقل ذلك إلي المعتزلة أتباع عمرو بن عبيدفي أثناء خلافة المأمون حتى امتحن أئمة الإسلام في ذلك 0 واعلم بأن هؤلاء القوم إنما أنكروا أن يكون الله قد اتخذ إبراهيم خليلا وكلام موسى تكليما لأنهم لم يفرقوا بين صفات الخالق والمخلوق 0 فمحبته تعالى وخلته كما يليق به تعالى كسائر صفاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير 0 وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله " يعني نفسه صلى الله عليه وسلم وفي رواية " إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا " [1] فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلح أن يتخذ من المخلوقين خليلا 0 وأنه لو أمكن ذلك

---

[1] سورة النساء آية (125)
[2] سورة النساء آية (164)
[1] أخرجه البخاري (2356) ومسلم (2383) واخرجه مسلم (532) وتقدم تخريجه

لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق 0 مع أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً كقوله لمعاذ " والله إني لأحبك " [2] وكذلك قوله للأنصار " والذي نفسي بيده أنكم أحب الناس إلي – مرتين " [3] وكذلك كان زيد بن حارثة حِبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه أسامة بن زيد حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سئله عمرو بن العاص أي الناس أحب إليك قال " عائشة " قال فمن الرجال قال أبوها " [4] فعلم من ذلك بأن الخلة أخص من المحبة أو من مطلق المحبة – واعلم بأن منزلة الخلة كما أنها ثابتة لإبراهيم عليه السلام فقد شاركه فيها نبينا صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة وكذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى عليه السلام قد شاركه فيها نبينا صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في حديث الإسراء والمعراج 0

أما قوله " والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان .. الخ "

(ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم/ كانوا على الحق المبين " " والإيمان : هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالي " " ونحن مؤمنون بذلك كله ولا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به "

اعلم بأن هذه الخصال هي أصول الدين وبها أجاب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور المتفق على صحته حين جاء إلي النبي صلى الله عليه وسلم على صورة رجل أعرابي وسأله عن الإسلام فقال " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " وسأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته

---

[2] أخرجه أبو داود (1522) والنسائي (53/3) والحاكم في المستدرك (273/1) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح ابي داود (1347) وابن السني (198) وأحمد (245/5 , 247) والبخاري في الأدب المفرد (690) وأبو نعيم في الحلية (241/1 – 130/5) والطبراني في الكبير (110/20) وابن خزيمة (751) وابن حبان (2345)

[3] تقدم تخريجه

[4] البخاري (3662 , 4358) ومسلم (2384) والترمذي (3885) وأحمد (203/4) والنسائي في الكبري (154/8) والحاكم (12/4) والبغوي (3869)

وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وسأله عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ... الحديث

وفي حديث وقد عبد القيس المتفق عليه أنه قال لهم صلى الله عليه وسلم " آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله وحده 0 شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم "[1] واعلم يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين لما يحبه ويرضاه بأن الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه وأمر أن لا يعبد إلا به ولا يقبل من أحد سواه ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ولا أحسن ديناً ممن التزمه واتبعه هو قول القلب وهو تصديقه , وقول باللسان وهو النطق بالشهادتين و الإقرار بلوازمها , وعمل القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه , وعمل اللسان والجوارح 0 فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام 0

فالأول : قول القلب وهو تصديقه وإيقانه قال تعالى " والذي جاء بالصدق وصدق به فأولئك هم المتقون "[2] وقال تعالى " إنما المؤمنون الذين أمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابو "[3] وفي حديث الشفاعة " فيقال انطلق فاخرج ممن كان في قلبه مثال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان , ثم من كان في قلبه أدني أدني أدني من مثقال حبة من خردل من إيمان "[4] وقال تعالى في المرتابين الشاكين " يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم "[5] وقال تعالى " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم "[1] وقال تعالى فيهم " إذا جاءك

---

[1] البخاري في الإيمان (19/1) ومسلم في الإيمان (35/1)
[2] سورة الزمر آية (33)
[3] سورة الحجرات آية (15)
[4] أخرجه البخاري (7510) ومسلم (193 , 326) وابن ماجه (4312) واحمد (116/3 , 244 , 247 , 248)
[5] سورة آل عمران آية (167)
[1] سورة المائدة آية (41)

المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون " [2]أي في قولهم نشهد لأنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم وإنما هو بألسنتهم تقية ونفاقاً ومخادعة 0

الثاني : قول اللسان وهو النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله , والإقرار بلوازمها 0 قال تعالى " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [3] وقال تعالى " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلنا وما أنزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسي وعيسي وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " [4] وقال صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله " [5]

الثالث : عمل القلب : وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عتز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه 0 قال تعالى " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه " [6] وقد تقدم هذا في الكلام على الأعمال التي مناطها القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى " أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " [7] وقال صلى الله عليه وسلم " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما 0 الحديث " [8] وقال صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " [9] وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن له هوى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[2] سورة المنافقون آية (1)
[3] سورة الأحقاف آية (13)
[4] سورة البقرة آية (136)
[5] تقدم تخريجه
[6] سورة الأنعام آية (52)
[7] أخرجه مسلم في الزهد والرقاق (2985)
[8] أخرجه البخاري في الإيمان (16 , 21 , 6041 , 6941) ومسلم في الإيمان (163) (66/1) والترمذي (2624) والنسائي (8 : 96)
[9] أخرجه البخاري في الإيمان (15) ومسلم في الإيمان (14)



وقال تعالى " إنما نطعمكم لوجه الله " [10] وقال تعالى " ألا لله الدين الخالص " [11] وقال " فاعبد الله مخلصتا لته الدين " [12] وقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه غلي الله وهو محسن " [13]

وقال " فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين " [1] وقال " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " [2] وقال صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى 0 الحديث " [3] ومن أراد التفصيل فعليه بما ذكرناه سابقاً في أعمال القلوب في بيان أنواع التوحيد في أول الكتاب 0

الرابع : عمل اللسان والجوارح فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ودعاء واستغفار وغير ذلك كما ذكرناه سابقاً في بيان أنوع العبادات التي تتعلق بالأقوال في بداية هذا الكتاب , وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا إلي المساجد وإلي الحج والجهاد في سبيل الله عز وجل والمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أنواع العبادات التي يكون مناطها الجوارح التي ذكرناها في بداية هذا الكتاب قال تعالى " إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا و أقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور " [4] وقال تعالى " يا أيها الذين أمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً " [5] وقال تعالى " والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا " [6] وهي (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

---

(10) سورة الإنسان آية (9)
(11) سورة الزمر آية (2)
(12) سورة الزمر آية (1)
(13) سورة النساء أية (125)
(1) سورة الحج آية (34)
(2) سورة النساء آية (65)
(3) تقدم تخريجه
(4) سورة فاطر آية (29)
(5) سورة الأحزاب آية (41 , 42)
(6) سورة الكهف آية (46)

العظيم وقال تعالى " ادعوا ربكم تضرعاً وخفية 0 الآيات " [7] وقال تعالى " واستغفروا الله إن الله غفور رحيم " [8] وقال " وقوموا لله قانتين " وقال " يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون " وجاهدوا في الله حق جهاده " [9] وقال إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والأنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين " [10] والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً فإذا عرفت هذه الأمور الأربعة وحققتها تحقيقا بالغاً وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت ذلك فهما واضحاً تبين لك أن لهذه الأمور الأربعة 0 أربعة أضداد وهي أنواع الكفر فإنها لا تخرج عن أربعة 0

الأول : كفر جهل , والثاني : كفر جحود , والثالث : كفر عناد واستكبار , والرابع : كفر نفاق 0 فأحدها يخرج من الملة بالكلية وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك 0 فإذا انتفت هذه الأمور كلها التي ذكرناها وهي قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح فإذا انتفت كلها اجتمع أضدادها في الشخص أنواع الكفر كلها غير النفاق قال تعالى " إن الذين كفروا سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " [1] وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب قال تعالى " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله " [2] وقال " أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم

---

[7] سورة الأعراف آية (55)
[8] سورة المزمل آية (20)
[9] سورة الحج آية (77)
[10] سورة التوبة آية (111 , 112)
[1] سورة البقرة آية (6 , 7)
[2] سورة يونس آية (39)

ماذا كنتم تعملون " وإن عرف الحق وكتمه مع العلم بصدقه فهذا كفر الجحود والكتمان قال تعالى " وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا .. الآية " [3] وقال تعالى " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " [4] وقال تعالى " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون 0 الحق من ربك فلا تكونن من الممترين " [5] وإن انفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك قال تعالى " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " [6] إلي آخر الآيات في سياق أوصاف المنافقين وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا بأن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حي بن أحطب , وكعب بن الأشرف وكذلك ككفر أبي طالب , وكفر تارك الصلاة عناداً واستكباراً واعلم بأنه محال أن ينتفي انقياد الجوارح بالعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " [1]

وقد قسم بعض أهل العلم الكفر إلي خمسة أنواع وهو الكفر المخرج عن الملة -:

النوع الأول : كفر التكذيب والدليل قوله تعالتى " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين " [2] " فمن أظلم ممن كذب الله وكذب بالصدق إذا جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين "

[3] سورة النمل آية (14)
[4] سورة البقرة آية (89)
[5] سورة البقرة آية (146 , 147)
[6] سورة البقرة آية (8)
[1] أخرجه البخاري (152) ومسلم (1599) (4623) وابن ماجه (3984) (4143) وأحمد (271/4) والدرامي (254/2)
[2] سورة العنكبوت آية (68)

النوع الثاني : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق والدليل قوله تعالى "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " [3]
وهو ككفر إبليس وككفر إبي طالب 0

النوع الثالث : كفر الشرك : وهو كفر الظن قال تعالى " ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلي ربي لأجدن خيراً منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا " [4]

النوع الرابع : كفر الإعراض قال تعالى " والذين كفروا عما انذروا معرضون " [5]

النوع الخامس : كفر النفاق 0 قال تعالى " ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " [6] وكفر النفاق هو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه التكذيب 0

واعلم بأن هناك كفراً أصغر لا يخرج من الملة وهو كفر النعمة قال تعالى " وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " [7]

واعلم أيضا بأن هناك نفاق يخرج من الملة وهو النفاق الاعتقادي ونفاق لا يخرج من الملة وهو النفاق العملي 0

أما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع

الأول والثاني : تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم 0

---

[3] سورة البقرة آية (34)
[4] سورة الكهف آية (35 : 38)
[5] سورة الأحقاف آية (3)
[6] سورة المنافقون آية (3)
[7] سورة النحل آية (112)



الثالث والرابع : بغض الرسول صلى الله عليه وسلم , أو بغض بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم 0

الخامس : الكراهية لانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم 0

السادس : المسرة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم 0

فهذه الأنواع الستة صاحبها في الدرك الأسفل من النار

وأما النفاق العملي فهو خمسة أنواع 0

1 – إذا حدث كذب 2 – إذا وعد أخلف 3 – إذا ائتمن خان

4 – إذا خاصم فجر 5 – إذا عاهد غدر

نعوذ بالله من النفاق والنفاق والشقاق وسوء الأدب 0

وسوف نتكلم عن بعض هذه الأمور بالتفصيل إن شاء الله تعالى نعود إلي حديث جبريل عليه السلام في سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام , والإيمان , والإحسان 0

أما الإسلام : فهو لغة : الانقياد والإذعان

وقيل في تعريفه : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله واعلم بأن الإسلام إذا أطلق فله حالتان أي في الشرع 0

الأول : أن يطلق على الأفراد غير مقرن بذكر الإيمان 0 فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله كقوله تعالى " إن الدين عند الله الإسلام " [1] وقوله " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه " [2] وقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة " [3] أي في كافة شرائعه 0

وكما في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الإسلام قال أن تسلم قلبك لله عز وجل وأن

---

[1] سورة آل عمران آية (19)
[2] سورة آل عمران آية (85)
[3] سورة البقرة آية (208)

يسلم المسلمون من لسانك ومن يدك قال فأي الإسلام أفضل قال الإيمان قال وما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت " فجعل صلى الله عليه وسلم الإيمان من الإسلام وهو أفضله ومعلوم بأنه إذا أسلم العبد فلا بد من انقياد الجوارح ظاهراً وباطناً 0 وأما إذا انقاد ظاهراً بدون إيمان فإنه لا يكون ممن حسن إسلامه بل هذا من النفاق والعياذ بالله 0

أما الحالة الثانية : فهو أن يطلق مقترناً بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم "[1] الآية وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له سعيد رضي الله عنه مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم "[2] يعني أنك لم تطلع على إيمانه وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة 0

واعلم بأن أركان الإسلام خمسة مرتبة حسب حديث جبريل المشهور الذي ذكرناه وهي على قسمين قولية , وعملية , فالقولية الشهادتان , والعملية الباقي وهي ثلاثة أقسام :-

1 – بدنية : وهي الصلاة والصوم

2 – مالية : وهي الزكاة

3 – بدنية ومالية : وهو الحج

واعلم بأن قول القلب وعمله شرط في ذلك كله – والنصوص في هذه الأركان الخمسة كثيرة وقد ذكرنا منها الكثير وهي قسمين قسم عام يشمل جميعها وقسم خاص يخص كل مسألة منها 0

---

(1) سورة الحجرات آية (14)

(2) أخرجه البخاري (27 , 1478) ومسلم (150) وفي الزكاة (2/732 – 733)

فأما القسم العام فمن ذلك حديث جبريل المشهور , ومنها حديث وفد عبد القيس وغيرها من الأحاديث 0 وأما القسم الخاص الذي يختص كل مسألة منها فنذكره بإذن الله تعالى فأولها – الشهادتين :

الشهادتيـــن

اعلم بأن أول هذه الأركان الركن الأساسي الأعظم الذي لا يقوم البناء إلا عليه ولا يمكن إلا به ولا يحصل بدونه فهو أعظم الأركان وكلها تابعة له ولا يدخل العبد في شيء من الشريعة إلا به وهو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه من سلكه أوصله إلي جنات النعيم ومن هوى عنه هوى في قعر الجحيم فإن لم يثبت عليه في الدنيا لم يثبت علي جسر جهنم يوم القيامة – وهذا الركن هو الشهادتان – شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فلا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما ولا يخرج منه إلا بمناقضتها وذلك يكون إما بجحود ما دلت عليه أو باستكبار عما استلزمتاه ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع إلي شيء قبلها ولم يقبل الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم من أحد شيئا دونهما 0

فبالشهادة الأولي : يعرف المعبود وما يجب له من توحيد المعبود الذي ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له

وبالشهادة الثانية : وهي أن تشهد بأن محمداً رسول الله تعرف كيف تعبد الله وبأي طريق يصل إليه وفي ذلك توحيد الطريق الذي لا يوصل إلي الله تعالى إلا منه 0

واعلم بأن معنى العبادة التي خلق الله الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هي -:

أمر جامع لكل ما يحبه تعالى ويرضاه اعتقاداً وقولاً وعملاً , ومعرفة ما يحبه تعالى وما يرضاه لا تحصل إلا من طريق الشرع الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه قال تعالى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم "[1]

واعلم يا عبد بأن هذه الكلمة وهي شهادة أن لا إله إلا الله سبيل الفوز بدخول الجنة والنجاة من النار قال تعالى " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز "[2] وهي سبيل السعادة في الدارين فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه ولأجلها خلقت الخليقة ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال ويثقل الميزان أو يخف وبها النجاة من النار بعد الورود وبعدم التزامها البقاء في النار وبها أخذ الله الميثاق وعليها الجزاء والمحاسبة وعنها السؤال يوم التلاق إذ يقول تعالى " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون "[3] وقال تعالى " فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين "[4] فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى " و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين "[5] وأما سؤاله تعالى المرسلين " يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب "[6]

واعلم بأن أعظم نعمة أنعم ا لله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها ولهذا قدمها الله أولاً قبل كل نعمة في سورة النعم وهي سورة النحل فقال " ينزل الملائكة بالروح من أمره علي من يشاء من عباده أن انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون "[7] وهي أصل الدين وأساسه وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها متشعبة منها

---

[1] سورة آل عمران آية (31)
[2] سورة آل عمران آية (185)
[3] سورة الحجرات آية (92 , 93)
[4] سورة الأعراف آية (6)
[5] سورة القصص آية (65)
[6] سورة المائدة آية (109)
[7] سورة النحل آية (2)

مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها فهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم " [1] وهي القول الثابت الذي ذكره الله عز وجل إذ يقول تعالى " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " [2] وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع مؤذنا يقول " أشهد أن لا إله إلا الله " فقال خرجت من النار " وفي حديث عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار " [3] وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسي عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء " وفي رواية " أدخله الله الجنة على ما كان من عمل " [4] وهي أحسن الحسنات التي يمحو الله بها الذنوب والخطايا قال تعالي " من جاء بالحسنة فله خير منها 0 وهم من فزع يومئذ آمنون " [5] وقال " ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها " [6] وهي أفضل الذكر وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في المسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم " أن نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله "[7] وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

---

(1) سورة ابقرة آية (256)
(2) سورة إبراهيم آية (27)
(3) أخرجه مسلم في الإيمان
(4) أخرجه البخاري (3435) (139/4) ومسلم (57/1) برقم (28)
(5) سورة النمل آية (89)
(6) سورة الأنعام آية (160)
(7) أخرجه أحمد (170/2) وفي الصحيحة رقم (134) وقال الشيخ الألباني بأن مسنده صحيح وقال الهيثمي في المجمع (220/4) وقال ابن كثير في قصص الأنبياء (صـ 94) وهذا اسناد صحيح و لم يخرجوه

إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلي أن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال فانك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلات البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيئ " [1]

وأما معنى هذه الكلمة الذي دلت عليه وهدت إليه أنه لا معبود بحق إلا الله

واعلم بأن هذه الكلمة لها شروط سبعة قيدت بها حتي ينتفع بها قائلها في الدنيا والآخرة :-

فالشرط الأول : العلم المنافي الجهل :-

قال تعالى " فاعلم أنه لا إله إلا الله " [2] وقال تعالى " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " [3] أي شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوه بألسنتهم 0 وقال تعالى " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " [4] وقال " إنما يخشى الله من عباده العلماء " [5] وقال النبي صلى الله عليه وسلم " من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة " [6]

الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك :-

بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً فإن الإيمان لا يغني فيه إلا العلم اليقين لا علم الظن فكيف إذا دخله الشك قال الله عز وجل " إنما المؤمنون

---

[1] أخرجه أحمد في المسند (213/2) والحاكم (529/1) وصححه ووافقه الذهبي والترمذي (2639) وقال حديث حسن غريب , وحسنه وابن ماجة (4300) وابن حبان (2523) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (1776) وفي الصحيحة (135) وأخرجه البغوي في شرح السنة (133/5)
[2] سورة محمد آية (19)
[3] سورة الزخرف آية (86)
[4] سورة الزمرة آية (9)
[5] سورة فاطر آية (28)
[6] أخرجه مسلم (41/1 , 218) وأحمد (65/1 , 69)

الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون "[7] 0

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله وكونهم لم يرتابوا , أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم " إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون "[8] وفي الصحيح عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم " أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة "[9] وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه بنعليه فقال من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بقلبه فبشره بالجنة " فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها وإذا انتفى الشرط انتفي المشروط

الشرط الثالث : القبول المنافي للرد :-

وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى " وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون 0 قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين "[1] وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب وما أعده لمن ردها من العذاب كما قال تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أ إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون "[2] فجعل علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله وتكذيبهم من جاء بها فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبته بتل قالوا إنكاراً واستكباراً " أجعل الآلهة إلها

---

[7] سورة الحجرات آية (15)
[8] سورة التوبة آية (45)
[9] صحيح مسلم (224/1 , 237)
[1] سورة الزخرف آية (23 : 25)
[2] سورة الصافات آية (35)



واحداً إن هذا لشيء عجاب إلي قوله تعالى إن هذا إلا اختلاق " [3] وقالوا ههنا " إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " فكذبهم الله عز وجل ورد عليهم ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم فقال " بل جاء بالحق وصدق المرسلين " الآيات ثم قال في شأن من قبلها " إلا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم 0 فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم " [4] وفي الحديث الصحيح " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت مها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل متن لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " [5]

الشرط الرابع : الانقياد المنافي للترك :0

قال تعالى " ومن أحسن ديناً من من أسلم وجهه لله وهو محسن " [6] وقال وأنيبوا إلي ربكم وأسلموا له " [7] وقال تعالى " ومن يسلم وجهه إلي الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلي الله عاقبة الأمور " [8] ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد وهو محسن أي موحد ومن لم يسلم وجهه إلي الله ولم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى وهذا هو تمام الانقياد وغايته 0

الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب :-

وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه قال تعالى " آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " [1] وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن

---

[3] سور ص (5 : 7)
[4] سورة الصافات آية (40 : 43)
[5] أخرجه البخاري في العلم (28/1) ومسلم في الفضائل (63/7)
[6] سورة النساء آية (125)
[7] سورة الزمر آية (54)
[8] سورة لقمان آية (22)
[1] سورة العنكبوت آية (1 : 3)

النبي صلى الله عليه وسلم " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار " فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقا من قلبه فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب 0[2]

الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك :-

قال تعالى " ألا لله الدين الخالص " [3] وقال " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء " [4] الآية وقال تعالى " فاعبد الله مخلصا له الدين " [5] وقال " قل الله أعبد مخلصا له ديني " [6] وفي الصحيح " أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه " [7] وفي الصحيح أيضا من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل " [8]

الشرط السابع : المحبة المنافية للبغض :-

قال تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله " [9] وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أزلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " [10] الآية فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حباً لله وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحد كما فعل مدعوا محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه 0 وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه تعالى كل شيء وإن خالفت هواه 0 ويغض ما يبغضه ربه وإن مال إليه هواه 0 وموالاة من والى الله

---

[2] أخرجه البخاري في العلم (41/1)
[3] سورة الزمر آية (3)
[4] سورة البينة آية (5)
[5] سورة الزمر آية (2)
[6] سورة الزمر آية (14)
[7] صحيح البخاري في الرقاق (204/7) وأحمد في المسند (272/3)
[8] البخاري في الصلاة (109/1) وفي الرقاق (1186, 5401 , 6423 , 6938) ومسلم (455/1 , 263) وأحمد (44/4 – 449/5)
[9] سورة البقرة آية (165)
[10] سورة المائدة آية (54)

ورسوله ومعاداة من عاد الله ورسوله و إتباع رسوله صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره وقبول هداه وكل هذه العلامات شروط في المحبة التي يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها 0

واعلم بأن كل من عصى الله فقد قدم هواه على أوامر الله ونواهيه فكل من عبد غير الله فهو في الحقيقة عبدٌ لهواه قال تعالى " أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا " [1] وقال تعالى في شأن المولاة والمعاداة فيه " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان " [2] الآية وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم " [3] وغير ذلك من الآيات 0 وقال تعالى في اشتراط إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم من ذنوبكم والله غفور رحيم " " قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين " [4] قال الحسن البصري أدعى قوما محبة اتلله وابتلاهم الله بهذه الآية السابقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " [5] وفي الصحيح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " [6]

---

(1) الفرقان آية (43)
(2) المجادلة آية (22)
(3) المائدة آية (51)
(4) آل عمران آية (31 , 32)
(5) البخاري (6941) ومسلم (66/1) والترمذي (2624) والنسائي (96/8) وتقدم تخريجه
(6) تقدم صـ وأخرجه البهاري (15) ومسلم (44) وأحمد (307/3 , 375 , 378) والنسائي (115/8) وابن ماجة (67) والبغوي (22) وابن منده (284 , 285 , 286) 0

قال بن عباس من أحب في الله وأبغض في الله ووالي في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلتك وقد أصبح غالب مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً 0

واعلم بأن معنى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه :-
طاعة فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى " (7)

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما " أن ملائكة جاءت إلي النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إنه قائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقال إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان 0 فقالوا إن مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيه مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي داخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمد صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس " (1)

ومن هنا يعلم أنه لا يتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه فلا طريق إلي معرفة ما يحبه تعالى وما يبغضه ويأباه إلا إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتناب ما نهى عنه فصارت محبته مستلزمة

---
(7) البخاري (7280)
(1) البخاري (7281)

لمحبة رسول الله وتصديقه ومتابعته ولهذا قرن محبته بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم قال تعالى "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " [2]

فأثبت يا عبد الله يا من تريد النجاة بنفسك من النار والفوز بالجنة اثبت على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلي ولا تستوحش من قلة السالكين وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين فإن الله عز وجل ينادي يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول أخرج من بعث النار فيقول من كم فيقول من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعين " [3] فالناجي حينئذ واحد من ألف فاغتنم أن تكون من تلك الآحاد واحذر أن تفتر بجموع الضلالة فتكون من حطب جهنم وبئس المهاد واعتصم بالعروة الوثقي قال تعالى " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها والله سميع عليم " [4] 0

الركن الثاني من أركان الإسلام هو :-

الصـــــلاة

والصلاة لغة هي الدعاء :

واصطلاحاً أو شرعاً : أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم 0

---

[2] سورة التوبة آية (24)

[3] أخرجه البخاري (3348 , 4741 , 6530 , 7483) ومسلم (222) وأحمد (3/32 – 33) والنسائي في الكبرى (3/346) تحفة والبغوي (4325) وابن مندة في الإيمان (989 , 990 , 991)

[4] سورة البقرة آية (256)

واعلم بأن الله سبحانه وتعالى دائما ما يقرن هذا الركن بالتوحيد ويقدمها على غيرها من بقية الأركان وذلك لما اشتملت عليه من أنواع العبادات من الاعتقادات بالقلب والانقياد والاخلاص والحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والاقبال على الله عز وجل وإسلام الوجه له والصمود إليه والاطراح بين يديه وما اشتملت عليه من اقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتقديس والمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والافتقار إلي الله تعالى والثناء عليه وما اشتملت عليه من أعمال الجوارح من ركوع وسجود وقيام واعتدال وخفض ورفع وغير ذلك 0 هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل الحسية مثل الطهارة من الأحداث والأنجاس والمعنوية مثل الطهارة من الشرك وسائر الأرجاس 0 وكذلك فإنه اجتمع فيها من أنواع العبادات ما لم يجتمع في غيرها مثل إسباغ الوضوء على المكاره ونفل الخطا إلي المساجد وإنتظار الصلاة بعد الصلاة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " وجعلت قرة عيني في الصلاة "[1] وكذلك اشتمالها معاني الإيمان سماها الله إيماناً في قوله تعالى " وما كان الله ليضيع إيمانكم "[2] وهي أول ما فرض من العبادات بعد التوحيد ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم إلي شيء قبلها من الأركان غير التوحيد 0 وهي أول شيء مدح عليه المؤمنون فقال تعالى " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون "[3] وهي أول شيء يذم عليه الكفار بعد التوحيد قال تعالى " فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى "[4] ولقد ذم الله المنافقين بسبب عدم اهتمامهم بها فقال " إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلي الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا "[5] وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة بعد التوحيد قال صلى الله عليه وسلم " أول ما

---

[1] أخرجه أحمد (128/3) والنسائي (61/7) والحاكم (160/2) وصححه ابو يعلي (199/6) وحسن الحافظ في التلخيص رواية النسائي (134/3)
[2] سورة البقرة آية (143)
[3] سورة المؤمنون آية (1 , 2)
[4] سورة القيامة آية (31 : 32)
[5] سورة النساء آية (142)

يحاسب أو أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته فإن تقبلت منه تقبل منه سائر عمله وإن ردت عليه رد سائر عمله " [1]

وهي أول ما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما قال تعالي " إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين " [2] الآيات

وهي سبب من الأسباب التي جعلها الله سبباً في نجاة عصاة الموحدين كما في الحديث الذي ذكر في عصاة الموحدين " فيعرفونهم بآثار السجود تأكل النار من ابن آدم إلا آثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود " [3] ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها الفارق بين المسلم والكافر كما في الحديث " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر " [4] وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم " إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة " [5] وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة 0

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة المسلم " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا " [6] ومن أراد الزيادة فقد ذكرنا ما يشفي في رسالتنا أداب الصلاة فمن شاء فليرجع إليها فسوف يجد فيها بُغيته 0

وأما الركن الثالث من أركان الإسلام فهو :-

الزكـــــــاة

والزكاة لغة هي النماء والزيادة

---

(1) الترمذي في الصلاة (413)
(2) سورة المدثر آية (39 : 43)
(3) أخرجه البخاري (7437) ومسلم (182)
(4) أخرجه أحمد (346/5 , 355) والترمذي (2621) والنسائي (231/1) وابن ماجة (1079) وابن أبي شيبة (34/11) وابن حبان (5454) والدارقطني (52/2) والبيهقي (366/3) والحاكم (746/1) وصححه ووافقه الذهبي
(5) أخرجه مسلم في الإيمان (82)
(6) البخاري (391 , 392 , 393) ومسلم (21, 35) وأبو داود (2641 , 2642) والترمذي (2608 , 3338) والنسائي (75/7) وكذلك (109/8) والطحاوي (215/3) وأحمد (224/3) وابو نعيم في الحلية (173/8) والخطيب في تاريخه (264/10) وابن منده في الإيمان (31 , 191 , 194) والبغوي (34) والحاكم (522/2)

وشرعاً : هي حق واجب في مال مخصوص لطاعة مخصوصة في وقت مخصوص ولقد قرن الله بينها وبين الصلاة والتوحيد في كثير من الآيات والأحاديث 0
قال تعالى في صفات عباده المؤمنين " والذين هم للزكاة فاعلون " [7] وقال تعالى في ذم الكفار " وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة " [8] الآية وقال تعالى في وعيد ما نفيها مطلقا " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتموه لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون " [1] وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجنبيه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتي يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلي الجنة وإما إلي النار قيل : يا رسول الله فالأبل قال ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيام بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطأه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليها أولها أعيد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتي يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلي الجنة وإما إلي النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عصفاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطأه بأظافرها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلي الجنة وإما إلي النار " [2] الحديث 0

---

[7] سورة المؤمنون آية (4)
[8] سورة فصلت آية (6 , 7)
[1] سورة التوبة آية (34 : 35)
[2] البخاري في الزكاة (212/3) ومسلم (987)

وفي هذا أيضا عنه صلى الله عليه وسلم قال " من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا " ولا يحسبن الذين يبخلون " [3] الآية وفي حديث آخر قال " ولا صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه ويقال هذا مالك الذي كنت تبخل به فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمه كما يقضم الفحل " [4] وقد بتوب الإمام البخاري في صحيحه فقال " باب البيعة على إيتاء الزكاة " " فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين " [5] ثم ساق بإسناده عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال " بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم " [6] وأما حكم تاركها فإن منعه إنكاراً لوجوبها فكافر بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة وإن كانوا مقرين بها أي بوجوبها كانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام كما فعل أبو بكر رضي الله عنه حيث قال قال له عمر بن الخطاب كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم ممني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله عز وجل فقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ول ومنعوني عناقا كانوا يؤدونها إلي رسول الله لقاتلهم على منعها قال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق " والذي استنبطه ابو بكر مصرح به منطوق الأحاديث الصحيحة المرفوعة كحديث عبد الله بن عمر رض الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا

---

(3) أخرجه مسلم (2259)
(4) 0000000000000
(5) سورة التوبة آية (11)
(6) البخاري (128/1 , 129) (212/3 – 167/3) ومسلم في الايمان (56)

مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل " [1] وأما إذا كان الممتنع عن أداء الزكاة فردا من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهراً – ثم اختلفوا في حكم تارك الزكاة فقالوا هل يكفر أم لا 0 قال عبد الله بن شقيق كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الأعمال شيئا تركه كفر إلا الصلاة 0 وقال أبو ايوب السختياني : ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه وهو قول جمهور أهل الحديث وذهب طائفة منهم إلي أن من ترك شيئا من أركان الإسلام عمدا أنه كافر 0 وعن الإمام أحمد رواية أن ترك الصلاة والزكاة كفر دون الصيام والحج 0 وعن أبي مسعود تارك الزكاة ليس بمسلم وعن ابن عيينة قال : المرجئة سموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم وليس سواء لأن ركون المحارم متعمدا من غير استحلال معصية وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر وبيان ذلك أن إبليس وعلماء اليهود الذين أقروا ببعثة النبي صلى ا لله عليه وسلم بلسانهم ولم يعملوا شرائعه 0

الركن الرابع من أركان الإسلام هو :-

الصيــــــام

وهو لغة : الإمساك

وشرعاً : إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة أو هو الإمساك بنية التعبد عن الأكل والشرب وغشيان النساء وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلي غروب الشمس 0

[1] تقدم تخريجه



واعلم بأن الله فرض الصيام على أمة النبي صلى الله عليه وسلم كما فرضه على الأمم التي سبقتها قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " [2] وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة المباركة وقد ورد في فضل الصيام أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم " إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد " [1] ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " من صام يوماً في سبيل الله عز وجل زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفا " [2] وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة مثل " الصلوات الخمس والجمعة إلي الجمعة ورمضان إلي رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر " [3] وقوله صلى الله عليه وسلم " من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " [4] هذا وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد فريضته واختلف أهل العلم في كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته كما تقدم في بحث الزكاة 0

الركن الخامس من أركان الإسلام هو الحج :

الحـــــج

وهو لغة : القصد ,

وشرعا : زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص

واعلم بأن الحج فريضة الله على كل مسلم ومسلمة استطاع إليه سبيلا قال تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن

---

[2] سورة البقرة آية (182)

[1] البخاري (95/4 , 96) ومسلم (1152)

[2] البخاري (35/6) ومسلم (1153)

[3] مسلم (233) والترمذي (214)

[4] البخاري (476/3) ومسلم (760) (1349)

العالمين " [5] وقال صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إليه إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا " [6]

وقد جاء في فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم " من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " [7] وقوله " الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " [8] وعندما سئل عن أي الأعمال أفضل قال " إيمان بالله ورسوله ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور " [9] وقال " العمرة إلي العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " [10] ولا خلاف في كفر من جحد فريضة الحج , والخلاف في كفر تاركه مع الإقرار بفريضته 0

واعلم بأن هذه الأركان الخمسة التي فسر بها النبي صلى الله عليه وسلم بها الإسلام سوف تسأل عنها وتحاسب وعليها فأعدد للسؤال جوابا وإياك أن تخل بشيء منها فتكون من الظالمين وقد يقول قائل إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الخصال الخمس التي أجاب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المذكور فلم قال بأن الإسلام هذه الخصال الخمس وقد أجاب بعض أهل العلم بأن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده – والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقا الذي يجب لله على عباده بأعيانهم فيجب على كل عبد ليعبد الله مخلصاً له الدين ومنها هذه الخمس لما كان قادراً عليها وما سوى ذلك لا يعم وجوبها جميع الناس بل منها ما يكون فرضاً على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنها ما يجب بسبب حق الآدميين وذلك كرد

---

(5) سورة آل عمران آية (97)
(6) البخاري (1 / 7 , 8) ومسلم (34/1) والترمذي (2609) والنسائي (5001)
(7) البخاري (302/3 , 303) ومسلم (1350)
(8) مسلم (1349) والبخاري (476/3)
(9) البخاري (12/1) ومسلم (62/1) برقم (83)
(10) البخاري (1773) ومسلم (1349)

الأمانات وقضاء الديون ورد المظالم وحقوق الزوجة والأولاد وصلة الأرحام ونحو ذلك فإن الواجب على شخص من ذلك غير الواجب على شخص آخر كل بحسب ما عليه من هذه الحقوق التي تعلقت به وكذلك يجب حقاً لله تعالى كالكفارات هو بسبب من العبد فإنه هو الذي أوجب عليه ننفسه ذلك بسبب ارتكابه ما نهاه الله عنه أو وقوعه فيما حذر الله منه أو اشتراطه على نفسه ما لم يوجبه الله عليه كالنذر مثلاً إلا إذا أوجبه هو على نفسه 0 هذا وبالله التوفيق 0

نعود مرة أخرى إلي حديث جبريل وبعد أن بينا قواعد الإسلام الخمس نبين بعد ذلك قواعد الإيمان الست وهي : الإيمان بالله , وملائكته , وكتبه , ورسله , واليوم الأخر , وبالقدر خيره وشره حلوه ومره 0

فنبدأ أولا بتعريف الإيمان لغة و شرعا :

الإيمان لغة هو التصديق – أما قوله (والإيمان : هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله ولا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح ا لعالمين)

وأما في الشريعة فله حالتان :

الأولي : أن يذكر غير مقترن بالإسلام فحينئذ يراد به الدين كله

الثانية : أن يذكر مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنه

واعلم بأن الإيمان : اعتقاد بالجنان , وقول باللسان , وعمل بالأركان , وهذا هو قول السلف واعلم بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي ولذلك فإن كل إنسان يتفاوت في إيمانه مع الآخرين بحسب نور هذه الكلمة في قلبه إلا وهي لا إله إلا الله فمنهم من نور هذه الكلمة في قلبه أشد من نور الشمس ومنهم من هو دون ذلك ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار



بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته بحيث أنه قد يصل إلي حالة لا يصادف شبهة ولا شهوة ولا ذنباً إلا أحرقه وهذه حالة الصادق في إيمانه وتوحيده ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " [1] وقوله لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله " [2]

واعلم بأن الإيمان بالله عز وجل : معناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخوف وذل وخضوع وغير ذلك وأنه سبحانه المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل نقتص وعيب فالإيمان بالله يتضمن توحيده سبحانه في ربوبيته وألوهيته في أسمائه وصفاته 0

واعلم بأن الإيمان إذا اطلق من غير مقترن بذكر الاسلام فحينئذ يراد به الدين كله كما ذكرنا سابقتاً وإليك الأدلة على ذلك من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون 0 الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم " [3] وقد حصر الله الإيمان في هذه الآية فيمن التزم الدين كله ظاهره وباطنه وقال تعالى " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون " [4] وقال تعالى " إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون " [5] وقال تعالى " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .... إلي قوله تعالى "

---

[1] البخاري (425 , 1186 , 5401 , 6423 , 6938) ومسلم (33) (455/1) واحمد (44/4) (449/5)
[2] مسلم (29)(32)(91) والبخاري (128) من حديث انس
[3] سورة الأنفال آية (2 : 4)
[4] سورة الحجرات آية (15)
[5] سورة السجدة آية (15 : 16)

الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون " [6] وقد فسر الله الإيمان في قوله تعالى " ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين ..... إلي قوله تعالى " أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " [7]

وأما في السنة فقد جاء في حديث وفد عبد القيس قوله صلى الله عليه وسلم " أمركم بالإيمان بالله وحده قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس " [1] وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم قيام رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان وكذا قيام ليلية القدر وأداء الأمانة والجهاد , والحج , وإتباع الجنائز , وغير ذلك وفي الصحيحين " الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " [2] وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة 0 منها هو قول القلب وعمله , ومنها ما قو قول اللسان , ومنها ما هو عمل الجوارح , وكما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله إيمانا في قوله تعالى " وما كان الله ليضيع إيمانكم " [3] يعني صلاتكم كما هو معلوم وقد بوب الأبواب الإمام البخاري بما يدل على ذلك حيث قال في كتاب الإيمان (باب أمور من الإيمان) (باب الصلاة من الإيمان) (باب الزكاة من الإيمان) وسائر الأعمال وكذلك فعل الإمام النسائي والإمام الترمذي بوب على حديث وفد عبد قيس فقال (باب ما جاء في إضافة الفرائض إلي الإيمان) وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى : الإيمان اعتقاد وقول وعمل بالأركان وأن الأعمال كلها داخلة في مسمي الإيمان 0 ؟؟ وقد

---

[6] سورة المؤمنون آية (1 : 2)
[7] سورة البقرة آية (177)
[1] أخرجه البخاري (53 , 87 , 523 , 1398 , 395 , (4368)(4369 , 6176 , 7266 , 7556) ومسلم (17) والترمذي (2611) وابو داود (4692 , 4677) واحمد (228/1) والبغوي (20) والنسائي (120/8 . 323) والطيالس (2747)
[2] اخرجه مسلم واخرجه البخاري بلفظ الايمان بضع وستون شعبة رقم (9) وابو داوود (4676) والترمذي (2614) وابن ماجه (57) والطيالس (2402) وابي ابن شيبة (521/8-522) (40/11) وعبد الرازق (20105)
[3] سورة البقـرة آيـة (143)

بينا أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل أي أن الإيمان اعتقاد وعمل بالأركان وقول باللسان 0

قال تعالى " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون " وهذه الآية تبين لنا أن الإيمان المقبول الصادق هو الاعتقاد الذي لا يخالطه ريب وهو العمل المتمثل في الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ذلك لأن اعتقاد القلب لا يكفي لقبول الإيمان فلقد كان إبليس معتقداً بالله فقد جاء على لسانه في القرآن الكريم " رب فأنظرني إلي يوم يبعثون " [4] ومع ذلك فقد وصفه الله بالكفر لتكبره عن عمل ما أمره الله به قال تعالى " إلا إبليس أبي واستكبر وكان منم الكافرين " [5]

فالإيمان الحق إذن هو الذي يشتمل على

اولا : العقيدة الثابتة التي لا يخالطها شك

ثانيا : العمل الذي لا يصدق العقيدة وهو ثمرتها

والعمل : منهـا

1 – عمل القلب : مثل الخوف من الله والإنابة إليه والتوكل عليه وغير مما بيناه سابقاً 0

2 – عمل اللسان : مثل النطق بالشهادتين والتسبيح والإستغفار والدعوة إلي الله 0

3 – عمل الجوارح : مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله وطلب العلم ابتغاء مرضاة الله 0

فإذا أردنا الفوز بتحقيق الإيمان فعلينا أن نقيمه :

أولا : تصديقا ثابتا في القلوب عن طريق العلم

---

[4] سورة ص آية (79)

[5] سورة ص آية (74)



ثانيا : وعملاً في القلوب عن طريق التذكر والتفكر وخاصة في آيات الله الكونية والقرآنية وفي الوعد والوعيد 0

ثالثا : وقولاً باللسان بكثرة الذكر وقول الحق والدعوة إلي الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعلم العلم وتعليمه والتواصي بالحق والتواصي بالصبر 0

رابعا : وعملاً بالجوارح أيضاً بإقامة أركان الإسلام والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وبمجاهدة النفس للامتثال لأمر وبمجالسة الصالحين كما قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا " [1]

وهذا كله يحتاج أولا إلي إصلاح القلوب وتنقيتها من الأمراض الصادة عن الهدى وكلام أهل العلم من سلفنا الصالح في هذا الأمر مشهور ومدون في الكتب قال الأوزاعي : كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان وكتب عمر بن عبد العزيز إلي الأمصار : أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان 0 ولقد جاء في كتاب الشريعة للإمام إبي بكر محمد بن الحسين الآجري قال في (صـ 104) حدث محمد بن عبد الملك المصيصي قال كنا عند سفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة فسأله رجل عن الإيمان فقال قول وعمل قال يزد وينقص قال يزيد ما يشاء الله وينقص حتى لا يبقي منه مثل هذه وأشار سفيان بيده قال الرجل كيف نضع بقوم عندنا يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل قال سفيان كان القول قولهم قبل أن تقرر أحكام الإيمان وحدوده 0

إن الله عز وجل بعث نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم إلي الناس كلهم كافة أن يقولوا لا إله إلا الله وأنه رسول الله فلما قالوها عصموا بها دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره

---

[1] سورة الكهف آية (28)



أن يأمرهم بالصلاة فأمرهم ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول 0 فلما علم الله جل وعلا صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالهجرة إلي المدينة فأمرهم ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم فلما علم الله تبارك وتعالى صدق ذلك من قلوبهم أمرهم بالرجوع إلي مكة ليقاتلوا آباءهم وأبنائهم حتى يقولوا كقولهم ويصلوا صلاتهم ويهاجروا هجرتهم فأمرهم ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ولا قتالهم فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبداً وأن يحلقوا رؤوسهم تذللاً ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ولا قتلهم آباءهم فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها فأمرهم ففعلوا حتى أتوا بها قليلها وكثيرها والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ولا قتلهم آباءهم ولا طوافهم فلما علم الله تبارك وتعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان ووحدوه قال عز وجل قل لهم " اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " [1] وقال سفيان : فمن ترك خلة من خلال الإيمان كان بها عندنا كافرا 0 ومن تركها كسلاً أو تهاوناً بها أدبناه وكان بها عندنا ناقصا هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس " وكلام أهل الحديث والأئمة من علماء سلفنا الصلاح كثير وهو معلوم ومشهور ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قالوا بأن الإيمان هو مجرد التصديق فقط وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة وقول هؤلاء المرجئة يؤدي إلي التكذيب بآيات الوعيد وأحاديثه الواردة في حق العصاة من هذه الأمة وقولهم هذا كما قلنا مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد أخبر الشارع عن العقوبات الآخروية لكثير من المحرمات والمعاصي وأما أهل السنة فيرون أن فعل المعاصي يترتب عليه العذاب والعقبات

[1] سورة المائدة آية (3)

الذي توعد الله به على فعلها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم انها تؤثر على الإيمان من حيث بقاؤه وذهابه بل قد يؤدي الإكثار من مقارفة المعاصي إلي الوقوع فيما هو أعظم من نواقص الإيمان وذلك كإنكار بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة 0 ولأن اتباع الشهوات واقتراف الذنوب والمعاصي يميت القلب إذا كثرت حتي يؤول صاحب القلب الميت إلي تبرير كل ما يفعله حتي يوقعه في استحلال المعاصي فيؤدي بصاحبه إلي ما يؤول به إلي الوقوع في الكفر والعياذ بالله 0 وشبهة هذه الفرقة التي تسمي (بالمرجئة) هي أنها حملت ظواهر النصوص الدالة على أن من مات على التوحيد دخل الجنة كقوله صلى الله عليه وسلم " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة " فظنوا أن دخوله الجنة يقتضي عدم عذابه ولكن لا تلازم بينها فقد يعذب المؤمن العاصي بما شاء الله أن يعذب ثم يدخله الجنة في المآل وقد ورد أن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها وطائفة وذلك في عهد عمر بن الخطاب متأولين هذه الآية " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات " فلما ذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة رضي الله عنهم على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على استحلالها قتلوا 0 وقال عمر لقدامة : أما أنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قال بعض الصحابة فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فأنزل الله هذه الآية وبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين الصالحين 0

وعلى هذا القول المتقدم من كلام المرجئة والكرامية بأن الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب فيكون على هذا المنافقون مؤمنين وقد قال الله تعالى فيهم " ولا

تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله – إلي قوله تعالى – وتزهق أنفسهم وهم كافرون " [1] وغير ذلك من الآيات وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط وكذبهم الله عز وجل في دعواهم في غير موضع من القرآن 0

وقال قوم وهم الحنفية والماتريدية بأن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان 0 وهذا القول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل الدال على العمل بالأركان 0 وهذا القول ظاهر البطلان وقالت طائفة أخرى هم الخوارج والعلاف ومن وافقهم 0 بأن الإيمان هو الطاعة بأسرها فرضا كانت أو نفلا 0 وهذا القول مصادم لتعليم النبي صلى الله عليه وسلم لوفود العرب السائلين عن افسلام والإيمان وكل ما يقول لته السائل في فريضة هل على غيرها قال لا إلا أن تطوع شيئا 0 وقالت طائفة أخرى من المعتزلة بأن الإيمان هو النطق والعمل والاعتقاد 0 والفرق بين هذا القول وبين قول السلف الصالح أن السلف الصالح لم يجعلوا كل الأعمال في صحة الإيمان ولكنهم جعلوا كثيرا منها شرطا في الكمال فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان 0 أما المعتزلة فقد جعلوها كلها شرطا في الصحة وقالت طائفة منهم وهو الجبائي وأكثر المعتزلة البصرية إلي أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل 0 وهذا أيضا يدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله عنهم 0

أما الحالة الثانية : وهو أن يطلتق الإيمان مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطلة كما في حديث جبريل فإذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإذا قرن بينهما كان الفرق بينهما بما في حديث جبريل والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمي النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله ديناً 0 قال تعالى " قالت الأعراب

---

(1) سورة التوبة آية (84 : 85)



آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " [1] وعلى هذا فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن وذلك لأن أصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد يكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وإنما أضاف إليها الصلاة والصوم الحج لكونهما أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقيادة واختلاله ثم إن اسم الايمان يتناول ما فسر به الإسلام وسائر الطاعات لكونها من ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومتمات له ولهذا فسر صلى الله عليه وسلم الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان واعطاء الخمس من المغنم 0 ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة 0

ثم اعلم بأن للإيمان ستة أركان كما وضحنا ذلك سابقا فلأول هو :

الإيمان بالله

الايمان بالله: إيماناً بإلهيته وربوبيته لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولا رب سواه واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا يشرك في حكمه احدا ولا ضد له ولا ند له ولم يكن له كفوا أحد ذي الجلال والعظمة والكبرياء الذي هو أهل لأن يجل فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ويوحد فلا يشرك معه غيره والإيمان منم صفات الكمال مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وأن كل ما سمى الله تعالى به نفسه

[1] سورة الحجرات آية (14)



ووصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم الكل حق على حقيقته على ما أراد الله وأراد رسوله وعلى ما يليق بجلاله وعظمته آمنا به كتل من عند ربنا 0

الركن الثاني : الأيمان بالملائكة

فمن أركان الإيمان الإيمان بالملائكة: والمقصود به الاعتقاد بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها 0

فهم نوع من مخلوقات الله عز وجل لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف 0 قال تعالى " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " ... وفي حديث جبريل السابق عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال " أن تؤمن بالله وملائكته .. الحديث " فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك ومن هنا كان إنكار وجودهم كفر بإجماع المسلمين بل بنص القرآن العظيم فقد قال عز وجل " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيد " .... وأما حقيقة الملائكة وكيف خلقهم وتفصيلات أحوالهم فإن الله لم يخبرنا عنهم إلا بما تطيقه عقولنا فأخبرنا أنهم عباد مكرمون كرام خلقا وخلقا طاهرين ذاتا وصفة وأفعالا وهم عباد من عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من نور لعبادته سبحانه وتعالى 0 ليسوا بناتا لله عز وجل ولا أولاداً ولا شركاء معه ولا أنداداً تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوا كبيرا 0 وعلى المؤمن بأن يقتر بكل ما أخبر به الخالق مجملا أو مفصلا ولا يزيد على ذلك ولا



ينقص منه ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ولا يخوض فيه وأما عن أوصافهم وصفاتهم :-

نعلم أن الله جل وعلا أخبرنا أنه خلق الملائكة قبل خلق الإنسان فهم موجودون قبل خلق الإنسان كما أخبر بذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون " ...

وأما عن المادة التي خلقوا منها فقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله خلقهم من نور فقد ورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم " .... فهم مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية وأنهم كالبشر فلا ياكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون وهم مطهرون عن الشهوات ومنزهون عن الآثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها ابن آدم 0 غير أن لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله تعالى كما أخبر تعالى جبريل عليه السلام أنه جاء مريم في صورة بشرية فقال تعالى

واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سوياً " [1] وكما في حديث جبريل المشهور حينما آتي النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن معنى الإيمان شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه آثر السفر 0

[1] سورة مريم آية (16 : 17)

ومن صفاتهم الخلقية أيضاً ما أخبرنا الله أنه جعل لهم أجنحة يتفانون في أعدادها قال تعالى " الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة سلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير " [2]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح " [3] وفي الحديث " أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام " [4]

ومن صفاتهم أيضا الحياء

فإن الملائكة تستحي استحياء يليق بحالها إذ قد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة " [5] يعني بذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي هذا الخبر دليل على صفة الحياء للملائكة 0

ومن صفاتهم أيضا تأذيهم مما هو مكروه أو مما يتأذي منه الإنسان 0

ففي الحدديث " من أكل من الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا إن الملائكة تتأذي مما يتأذى منه بنو آدم " [6] وفي الحديث أيضا " إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة " [7] فعدم دخولهم البيت الذي يوجد فيه كلب أو صور لتأذيهم من هذا الشيء المكروه والممنوع شرعا

ومن صفاتهم أيضا أنهم منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع والنونم والمرض ، والآكل ، والتعب فقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك بدلالة الالتزام إذ أخبر تعالى عنهم " أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون " [8] ولازم ذلك أنهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون

---

[2] سورة فاطر آية (1)
[3] أخرجه البخاري (3232 . 3233)
[4] تقدم تخريجه
[5] أخرجه مسلم (2402) (116/7) والحاكم (103/3) وابن ابي عاصم (1284) والبغوي (4899) وفي الصحيحة (1687) وأحمد (15/6 , 62 , 155 , 288) وفي فضائل الصحابة (760 793 , 794 , 748)
[6] البخاري (498/9) ومسلم في المساجد (546)
[7] البخاريى (328/10) ومسلم (2606)
[8] سورة الأنبياء آية (20)



ومن صفاتهم أيضا خوفهم من الرب تبارك وتعالى :

إن الملائكة يخافون من الله تعالى وهم من خشيته مشفقون , أثبت ذلك القرآن الكريم فقال تعالى ولله يسجد من في السماوات والأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " [9] وقال تعالي " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون " [10]

ومن صفاتهم أيضا طاعتهم الدائمة لله تعالى :

فالملائكة مطيعون لله تعالى لا يعصونه بحال من الأحوال وذلك لقوله تعالى " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " [1] وقوله " بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " [2]

ومن صفاتهم أيضا أنهم يحبون من يحبه الله

وكذلك الملائكة تحب حباً يليق بحالهم فقد ورد أنهم يحبون كما في الحديث الصحيح " إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض " [3] 0

ومن صفاتهم كذلك أنهم يدعون للمؤمنين ويلعنون من لعنه الله

قال تعالى " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم " [4] وقال تعالى " إن الذين كروا وماتوا وهم كفار أولئك عمليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون " [5]

---

[9] سورة النحل آية (49 : 50)
[10] سورة الأنبياء آية (28)
[1] سورة مريم (16 : 17)
[2] سورة الأنبياء آية (26 : 27)
[3] أخرجه البخاري (3209) ومسلم (2637)
[4] سورة غافر أية (7)
[5] سوة البقرة آية (161 – 162)

وبعد أن عرفنا بعض صات الملائكة من خلال كتاب ربنا سبحانه وتعالى ومن خلال سنة نبينا صلى الله عليه وسلم نريد أن نتعرف على أعمالهم التي يقومون بها حسب ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

1 – فهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلي رسله عليهم الصلاة والسلام وهذا هو جبريل عليه اسلام وهذه أشرف وظيفة حيث أنه سفير بين الله وبين رسله عليهم الصلاة والسلام قال تعالى " وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين " [6] وقال تعالى " قل نزله روح القدس من ربك بالحق " [7] وقد رأه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق 0 ولم يره صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة إلا مرتين أما بقية الأوقات في صورة رجل غالباً في صورة دحية الكلبي وقد جاء في الحديث في تفسير قوله تعالى " حتى إذ فرع عن قلوبهم قالوا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير " وفيه قال النبي صلى الله عليه سلم " فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل عليه السلام : قال الحق وهو العلي الكبير0 فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ثم ينتهي جبريل بالوحي إلي حيث أمره الله عز وجل " [8]

2 – ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه حيث أمره الله عز وجل وهو ميكائيل وعليه السلام وهو ذو مكانة عليه ومنزلة رفيعه وشرف عند الله عز وجل 0 وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل " على أي شيء ميكائيل قال النبات والقطر 0 وفي ا لحديث " ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار " [1] عياذاً بالله منها 0

---

[6] سورة الشعراء آية(192 : 194)
[7] سورة النحل آية (102)
[8] اخرجه البخاري (4701) (4800) (7481)
[1] تقدم تخريجه

3 – ومنهم الموكل بالصور وهو اسرافيل عليه السلام ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر الله عز وجل وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم المذكور أسمائهم على وجه التعين كما جاء في الحديث الصحيح " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه م الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلي صراط مستقيم "[(2)]

4 – ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه قال تعالى " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلي ربكم ترجعون "[(3)] وقال تعالى " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم – إلي قوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون "[(4)] وقال تعالى " حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون "[(5)] وقال " ولو ترى إذا يتوفي الذين كفروا الملائكة يضربون وجههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق "[(6)] وقد جاء في الحديث أن أعوان ملك الموت يأتون العبد علي حسب عمله فإن كان محسنا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة 0 وإن كان مسيئا ففي أبشع صورة 0 وأفظع منظر بأغلظ وعيد ثم يسوقون الروح إلي الحلقوم فيقبضها ملك الموت فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها 0

5 – ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته وهم المعقبات قال تعالى " سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "[(7)] وقال ابن عباس رضي الله عنهما المعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر

---

(2) أخرجه مسلم (770) والترمذي (3416) وابو داود (776) والبغوي (952) والنسائي (2/212 – 213)
(3) سورة السجدة آية (11)
(4) سورة النساء آية (97)
(5) سورة الأنعام آية (61)
(6) سورة الأنفال آية (50)
(7) سورة الرعد آية (10 : 11)

الله تعالى خلو عنه 0 وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والأنس والهوام فيما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك إلا شـــــيء أذن الله يــــــه فيصـــــــيبه وقــــــال تعـــــــالى " قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن " [8]

6 – ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير أو شر وهم الكرام الكاتبون وهؤلاء قال تعالى فيهم " ويرسل عليكم حفظة " [9] وقال تعالى " أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون " [10] وقال تعالى " إذا يتلقي المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قل إلا لديه رقيب عتيد " [11] فالذي يكتب الحسنات هو الذي كيون على اليمين والذي على الشمال يكتب السيئات 0

وقد جاء في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " [1]

7 – ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير وسوف يأتي مزيد من التفصيل إن شاء الله تعالى

8 – ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام – قال تعالى " وسيق الذين اتقوا ربهم إلي الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " [2] وقال " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " [3]

9– ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم وفي يوم القيامة كما قال تعالى " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا

---

(8) سورة .....
(9) سورة الأنعام آية (61)
(10) سورة الزخرف آية (80)
(11) سورة ق آية (17 : 18)
(1) تقدم تخريجه
(2) سورة الزمرة آية (73)
(3) سورة الرعد آية (23 : 24)

بالجنة التي كنتم توعدون نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم " [4]

10 – ومنهم خزنة جهنم عياذا بالله منها وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليهم السلام قال تعالى " وسيق الذين كفروا إلي جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا " [5] وقال تعالى " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون " [6] وفي صحيح مسلم " يؤتي بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام كل زمام في يد سبعين ألف مالك يجرونها " [7]

11 – ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع حلقة في بطن أمه أربعين يوما نطفة , ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك ينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد " [8]

12 – ومنهم حملة العروش والكربيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم " [9]

13 – ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلي حاجتكم فيفونهم بأجنحتهم إلي السماء فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم ما يقول عبادي قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك

---

[4] سورة فصلت آية (30 : 32)
[5] سورة الزمر آية (71)
[6] سورة الزخرف آية (77)
[7] أخرجه مسلم (2842) والترمذي (2576)
[8] تقدم تخريجه وأخرجه البخاري (6594) ومسلم (6599)
[9] سورة غافر آية (7)

ويمجدونك " [10] الحديث وقال صلى الله عليه وسلم " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده" [11] وكذلك يبلغون النبي سلام أمته 0

14 – ومنهم الموكلون بالجبال : وقد ثبت في الحديث الصحيح عندما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم وقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك 0 ثم قال له ملك الجبال له بعد أن سلم يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين " [1] فقال صلى الله عليه وسلم بل استأن بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا " 0

15 – ومنهم زوار البيت المعمور وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم 0 يعنى لا تحول نبوتهم لكثرتهم 0 أي لا تعود نبوتهم مرة ثانية لكثرتهم 0

16– ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون وقيام لا يركعون , وركع , وسجد لا يرفعون ومنهم غير ذلك وما يعلم جند ربك إلا هو قال تعالى " وما منا إلا له مقام معلوم و إنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون " [2]

17– ومنهم ملائكة الدعاء : وعملهم وكلوا به أن العبد إذا دعا بدعوة لأخيه المؤمن وهو غائب قال الملك " أمين ولك بمثل ذلك " جاء في صحيح مسلم " دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل " [3]

---

[10] البخاري (6408) ومسلم (2689)
[11] أخرجه مسلم (2699 , 2700) والترمذي (3375)
[1] البخاري (3231) ومسلم (1765)
[2] سورة الصافات آية (164 : 166)
[3] أخرجه مسلم (2732) وأبو داود (1534)



18- ملائكة العروج بأرواح العباد بعد الموت لحديث مسلم " إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فيصعدون بها " [4] الحديث

هذا وإننا إذا تتبعنا الآثار الواردة في أعمال الملائكة ملاحظين الآيات القرآنية الدالة على الملائكة وأعمالهم مثل قوله تعالى " والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا " [5]وقوله تعالى " والنازعات غرقا والناشطات نشطا 0 والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا " [6] وقوله تعالى " فالمقسمات أمرا " [7] وقوله تعالى " فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا " [8]

فإننا سوف نقول بأن الكون كله علويه وسفلية قد أنيط تدبيره بالملائكة وذل كقإذن ربهم تبارك وتعالى 0

واعلم بأن للإيمان بالملائكة أثر في حياة الإنسان وخصوصاً الإنسان المؤمن :

ومنها : الاستقامة على أمر الله عز وجل فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي م الله ومن جنوده ولا يخالفه ولا يعصيه لا في السر ولا في العلانية إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه ومها الصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة 0 فعندما تسود الجاهلية الجهلاء ويصبح المؤمن غريباً في وطنه وبين أهله وقومه ويجد منهم الصدود والاستهزاء والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله والاستقامة على أمره في هذه الغربة يجد المؤمن أنيساً ورفيقا يصحبه ويرافقه ويواسيه ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير على دروب الهدى فهذه جنود الله معه تعبد الله كما يعبد وتتجه إلي خالق السماوات والأرض كما يتجه وتبارك خطواته وتشد من أزره وتذكره بالخير عند ربه فهوا إذا ليس وحده في الطريق إلي الله ولكنه يسير مع

---

[4]مسلم
[5] سورة الصافات آية (1 : 3)
[6] سورة النازعات آية (1 : 5)
[7] سورة الذاريات آية (4)
[8] سورة المرسلات آية (4 , 5)



الركب العظيم ومع الأكثرية من مخلوقات الله عز وجل مع الملائكة ومع الأنبياء عليهم السلام ومع هذا كله يكون المؤمن صابراً مطمئناً لا يزيده صدود الناس إلا ثباتاً وجهاداً 0

فانظر يا أخي الكريم إلي أثر الإيمان بالملائكة بعد الإيمان بالله في قلوب المؤمنين الصادقين 0

أما الركن الثالث من أركان الإيمان هو الايمان :

الإيمان بكتب الله عز وجل

وذلك بأن نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله قال تعالى " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " [1] وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدا " [2]

ومعنى الإيمان بالكتب هو التصديق الحازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل وعلى رسله إلي عباده بالحق المبين والهدى المستبين وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره وأن الله تلكم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه إلي الرسول البشري 0 كما قال تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليم حكيم " [3] ومن

[1] سورة البقرة آية (136)
[2] سورة النساء آية (136)
[3] سورة السورة آية (51)

هذه الكتب ما سماه الله في القرآن الكريم ومنها ما لم يسم والذي أخبرنا به عز وجل منها :-

1 – التوراة : التي أنزلت على موسى عليه السلام حيث قال سبحانه " إنا أنزلنا التوارة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظا ممن كتاب الله وكانوا عليه شهداء " [4]

2 – الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام حيث قال تعالى " وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوارة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوارة وهدى وموعظة للمتقين " [1]

3 – والزبور الذي نزل على داود عليه السلام قال تعالى " وآتينا داود زبورا " [2]

4 – والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى التى أخبر عنها الله تعالى بقوله " أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى " [3] وقال " إن هذا لفي الصحف الأولي صحف إبراهيم وموسى " [4]

أما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه فقال " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه " [5]

فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تسم إجمالا , ولا يجوز لنا أن ننسب كتابا إلي الله تعالى سوى ما نسبه تعالى إلي نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن

---

[4] سورة المائدة آية (44)
[1] سورة المائدة آية (46)
[2] سورة النساء آية (63)
[3] سورة النجم آية (36 : 37)
[4] سورة الأعلى آية (18 : 19)
[5] سورة البقرة آية (213)

الكريم مما ذكرناه سابقاً وهي القرآن الكريم , التوارة , الإنجيل , الزبور , صحف إبراهيم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام 0 كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو تحريف البشر قال تعالى " أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " [6] وقال تعالى " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه " [7] وأما عن التحريف الذي أدخله النصاري على الإنجيل قال تعالى " ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلي يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون 0 يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين " [8]

ومن التحريفات التي أدخلها اليهود على دينهم أو في دينهم ما زعمه اليهود من العزيز ابن الله سبحانه قال تعالى عنهم " وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون " [9] فصحح لهم القرآن هذا الانحراف الذي صنعوه بأنفسهم فبين سبحانه أنه منزه عن أن يكون له ولد فقال " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " [1] ومن التحريف الذي اقترفه النصارى أيضاً وأخبرنا الله عنه فمن ذلك قولهم " إن الله هو المسيح ابن مريم " وقال تعالى " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد " [2] فبين القرآن هذا التاحريف وبين كذلك العقيدة السليمة فقال سبحانه " وما المسيح ابن مريم إلا

---

[6] سورة البقرة آية (75)
[7] سورة النساء آية (46)
[8] سورة المائدة آية (14)
[9] سورة التوبة آية (30)
[1] سورة الصمد
[2] سورة المائدة آية (73)

رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون " [3]

إذاً يجب علينا أن نؤمن بأن القرآن العظيم آخر كتاب نزل من عند الله تعالى 0 وأن الله عز وجل قد خصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه منم الكتب المنزلة من أهمها :

1 – أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية وجاء مؤيداً ومصدقاً لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته وجاء مهيمناً على ما كان قبله من الكتب السابقة ومبينا ما دخل عليها من تحريف وتغير قال تعالى " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه " [4] أي مؤتمنا وشاهدا على ما قبله من الكتب وأنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين

2 – أن القرآن الكريم هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه فقال عز وجل ط إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " [5] وهو الكتاب الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليس خاصاً بقوم معينين وإنما كافة للناس جميعا فكان حفظه من التحريف وصيانته من عبث الناس ليبقى ما فيه حجة الله على الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها 0

وأما الكتب الأخرى فقد وجه الكلام في كل واحد منها إلي أمة خاصة دون سائر الأمم وهي وإن اتفقت في أصل الدين إلا أن ما نزل فيها من الشرائع والأحكام كان خاصاً بأزمنة معينة وأقوام معينين قال تعالى " لكل جعلنا شرعة ومنهاجا " [6] لذلك لم يتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ أي منها على مدى الأزمان كما هو الحال بالنسبة للقرآن وقد أخبرنا الله عز وجل في القرآن الكريم عما وقع من تحريف في

---

[3] سورة المائدة آية (75)
[4] سورة المائدة آية (48)
[5] سورة الواقعة آية (..)
[6] سورة



الكتب السابقة فإن الحق الذي لا يمارى فيه منصف أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض كتاب تصلح نسبته إلي الخالق تبارك وتعالى سوى القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبتت نسبته بصورة قطعية بحيث أنه لا يشك عاقل في أن القرآن الذي نتلوه هو الذي نزله الله على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم 0
وبعد أن ثبت بالأدلة بأنه قد طرأ تحريف وتغير على الكتب السابقة فإن الإيمان بها يكون بالتصديق أنها من عند الله على ما في أساسها نزله الله على رسله لنفس الفرض الذي نزل من أجله القرآن 0 وكذلك فإننا لا نؤمن بشيء من محتوياتها أنه من عند الله إلا بما ذكره الله في القرآن الكريم وأخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما القرآن فإن الإيمان به بأنه كلام الله الخالص وهو الحق وأن كل لفظ فيه محفوظ ويجب اتباع أمره واجتناب نواهيه وتصديق خبره ورفض كل ما يخالفه . إذا فلا بد في الإيمان به أيضا من امتثال وأوامره وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والنصيحة له ظاهراً وباطنا 0 نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يثبتنا وجميع إخواننا المسلمين على الإيمان إنه ولي ذلك والموفق له 0
الركن الرابع من أركان الإيمان هو

الإيمان بالأنبياء والمرسلين

ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً من البشر يدعوهم إلي عبادة الله وحده لا شريك له والكفر يعبد من دونه وأن جميعهم صادقون مصدقون وأنهم كرام أتقياء أمناء هداة مهتدون وأنهم بالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون وأنهم بلغوا الرسالة وجميع ما أرسلهم به

الله وأنهم لم يكتموا منه حرفا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه فهل على الرسل إلا البلاغ المبين وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا واتخذ محمداً صلى الله عليه وسلم وكلم الله موسى تكليما ورفع أدريس مكاناً عليا وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلي أخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونفى ما يضاد ذلك أو ينافي كماله

وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل 0

واعلم بأن الإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " (1) وقال " إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا و اعتدنا للكافرين عذابا أليما 0 والذين آمنوا بالله ورسله " (2) وقال تعالى " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً " (3) والرسول : هو كل من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه 0

واعلم بأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول

---

(1) سورة البقرة آية (285)
(2) سورة النساء آية (150 : 152)
(3) سورة النساء آية (136)

والله سبحانه وتعالى أرسلهم هداة مهدين فهم يدلون الناس إلي طريق الهداية والإرشاد إلي سبيل الهداية كما قال تعالى " إنما أنت منذر ولكل قوم هاد " وكما قال سبحانه " وإنك لتهدي إلي صراط مستقيم صراط الله .. الآية " [1] وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرف الأمور 0 قال تعالى " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء " وقال إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء " [2]

وقد ذكر تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه تفصيلا خمسة وعشرون وهناك رسلا سواهم وأنبياء لا يعلم أسمائهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص ولا يحصى عددهم إلا الله وكذلك لا يعلم أسمائهم وإلا هو جل وعلا قال تعالى " ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك " [3] أما أولو العزم من الرسل فهم خمسة 0 إبراهيم , ونوح , وموسي , وعيسي , ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم 0 وهم المذكورون في قوله تعالى " وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم " [4]

ومعنى أنهم أول العزم أي أنهم أصحاب العزم والحزم والجد والصبر وكمال العقل ولم يرسل الله تعالى سولا إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل من غيرهم ولذا خصوا بالذكر .

الركن الخامس من أركان الإيمان هو الايمان باليوم الاخر

[1] سورة الشورى آية (52 : 53)
[2] سورة القصص آية (56)
[3] سورة النساء آية (164)
[4] سورة الأحزاب آية (7)



ومعناه الإيمان بكل ما أخبر بـه الله عز وجل في كتابـه واخبر بـه صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله تعالى لأهلها جميعا.

ولقد اهتم القرآن الكريم بهذا الركن وأكد وقوعه بشتى الأساليب ومن مظاهر هذا الاهتمام بهذا اليوم العظيم في كتاب الله أنه كثيراً ما ربط الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر 0

وأما عن حكمة الاهتمام البالغ بهذا الركن فمنها :-

أن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان وذلك لأن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب وثواب وفوز وخسران له أشد الأثر في توجيه الإنسان و انضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل 0

ولعل من حكمة الاهتمام البالغ بالتذكير باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له وغفلتهم عنه بسبب تثاقلهم إلي الأرض وحبهم لمتاع الحياة الدنيا فيكون الإيمان به وبما فيه من عذاب ونعيم مخففا من الغلو في حب الدنيا فيعلم العباد أن شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتنافس فيها وأن الذي يستحق ذلك منهم إنما هو ما أعد لهم في ذلك اليوم العظيم ويشير إلي هذا المعني قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلي الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل " [1]

أدلة الإيمان باليوم الآخر
ورد شبه المنكرين له

---
[1] سورة التوبة آية (38)

ولقد دل الإيمان باليوم الآخر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى " الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه " [2] وقال تعالى " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " [3] وقال تعالى " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قلى بلى وربي لتبعثن " [4] والذين ينكرون البعث إنما يكذبون رسل الله جميعا أولئك الذين قامت الأدلة العقلية والحسية القاطعة على صدقهم في كل ما أخبروا به وتكذيبهم في أي خبر حجر على العقل الذي حكم بصدقهم 0 والمنكرون للبعث ليس لهم دليل على إنكارهم وإنما أثار المنكرون للبعث بعض الشبهات والشكوك حول وجود ذلك اليوم كاستبعادهم العودة إلي الحياة بعد تحولهم إلي رفات وعظام وتراب فقالوا كما أخبر الله عنهم " أئذا كنا عظاماً ورفاتا ء إنا لمبعثون خلقا جديداً " [5] " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون " [6] وقد رد الله سبحانه على هذه الشبهة وبين تفاهتها في أكثر من موضع من كتابه العزيز فمن ذلك :0

1 – قال تعالى " أ إذا كما عظاماً ورفاتا ء إنا لمبعوثون خلقاً جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متي هو قل عسى أن يكون قريبا 0 يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا " [1] وقال " قل الله يحيكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون " [2]

---

[2] سورة النساء آية (87)
[3] سورة النساء آية (136)
[4] سورة التغابن آية (7)
[5] سورة الاسراء آية (49)
[6] سورة الجاثية آية (24)
[1] سورة الاسراء آية (49 : 52)
[2] سورة الجاثية آية (26)

2 – وقال تعالى " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم 0 الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون 0 أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم "[3]

يقول العز بن عبد السلام فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان على أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بالفاظ تشبه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضع الأدلة وصحة الرهان لما قدر فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابا فكان في قوله تعالى " ونسي خلقه " ما وفي الجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة 0

3 – وقال تعالى " يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نساء إلي أجل مسمي ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلي أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور "[4]

ففي هذه الآيات الكريمات من كتاب الله فإن فيها من الأدلة على البعث والآيات البينات على قدرة الله في أحياء الموتى ما يمحو كل شك من القلوب ويزيل كل استغراب ويفند شبهات المعاندين وإذا كان الإيمان باليوم الآخر من أهم الأركان التي يقوم عليها الإيمان فإنه لا يتحقق ولا يكون تاما وكاملا إلا بأمرين 0

الأول : أن يؤمن العبد باليوم الآخر بصورة إجمالية وهذا هو الحد الأدنى لتحصيل هذا الركن من أركان الإسلام 0

---

[3] سورة يس آية (78 : 81)
[4] سورة الحج آية (5)

الثانـي : أن يؤمن بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب التـي تكون بعد الموت ونذكر فيما يلـى أهم ما وردت الأحاديث الصحيحة والآيـات الكريمة من هذه الأمور :-

1 - فتنة القبر وسؤال الملكين :-

قال المؤلف (نؤمن بعذاب القبر لمن كان لـه أهلا وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربـه ودينـه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " فيجب على كل مسلم أن يؤمن بما أخبر بـه الرسول صلى الله عليه وسلم من فتنـة القبـر وسـؤال الملكيـن للإنسـان عن ربـه ودينـه ونبيـه فقـد أخبـر عليـه الصـلاة والسـلام في الأحاديث الصحيحـة أن النـاس يمتحنـون فـي قبورهم , فيقال للعبـد : مـن ربـك ومـا دينـك ون نبيـك ؟ فيقـول المؤمـن : ربـي الله والإسـلام دينـي , ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي 0 وأما المرتـاب فيقـول لا أدري 0 سمعت النـاس يقولون شيئا فقلته , فيضرب ويعذب 0

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما أخرجـه البخاري ومسلم عن أسمـاء رضـي الله عنـها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قبوركـم مثـل أو قريبـا من فتنـة المسيـخ الدجـال , يقـال : مـا علمـك بهـذا الرجـل ؟ فأمـا المؤمـن أو الموقـن فيقـول هـو محمد رسول الله جاءنا بالبينـات والهـدى , فأجبنا واتبعنا و هـو محمد ثلاثا فيقال : نـم صالحا : قد علمنا أن كنت لموقناً بـه وأما المنافـق أو المرتـاب فيقـول لا أدري سمعت النـاس يقولون شيئا فقلتـه " [1]

وما أخرجـه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضـي الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن العبد إذا وضـع فـي قبره تـولى عنـه أصحابه إنـه ليسمع قرع نعالهم , قال : يأتيـه ملكـان فيقعدانـه , فيقولان لـه : ما كنت تقول في هـذا

[1] البخـاري (1212 , 1052) ومسلم (3 , 901 , 907) والنسائي (3/130 – 132)



الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله قال : فيقال له انظر إلي مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة 0

قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعا قال قتادة " وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضرا إلي يوم يبعثون 0 وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس , فيقال : لا دريت ولا تليت , ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " [2]

وما اخرجه البخاري ومسلم : عن البراء بن عازب رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت , قال نزلت في عذاب القبر فيقال له : من ربك , فيقول ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فذلك قوله عز وجل : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " [1]

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة وردت بإثبات فتنة القبر وسؤال الملكين ومما يجب الإيمان به أيضاً

2 – عذاب القبر ونعيمه :-

وبعد فتنة القبر يجب علينا بأن نؤمن كذلك بما أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام , من عذاب القبر ونعيمه 0 وقد تظاهرت على هذا الأمر دلائل من الكتاب والسنة قال تعالى " وحاق بآل فرعون سوء العذاب 0 النار يعرضون عليها غدواً وعشياً , ويوم تقوم الساعة , ادخلوا آل فرعون أشد العذاب " [2] 0

فقد توعد سبحانه آل فرعون بنوعين من العذاب :

الأول : أشار إليه بقوله تعالى " النار يعرضون عليها غدواً وعشياً "

---

[2] البخاري (1338 , 1374) ومسلم (2870) والنسائي (4/87 – 98) وأحمد (3/126) وأبو داوود (4751) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (13 , 15 , 16) وابن ابي عاصم (863) والآجري (صـ 365) وابن منده في الإيمان (1066) والبغوي (1522)

[1] البخاري (4699) ومسلم (287)

[2] سورة غافر آية (45 : 46)

والثاني : أشار إليه بقوله تعالى " ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب " وقد عطف الثاني على الأول والعطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه , فلا بد أن يكون المشار إليه أولاً غير الثاني فإذا كان العذاب الثاني بعد قيام الساعة فلا بد أن يكون الأول واقعا بهم ما بين الموت والنشور وهو عذاب القبر .

وقد أشار الله عز وجل إلي عذاب يكون بعد الموت في قوله تعالى " ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون " [3] ورد في فتح الباري (ج 3 ص 180) عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الآية أنه قال هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأيديهم قال ابن حجر ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال " فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم " [4] ثم قال : وهذا وإن كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة وإنما أضيف العذاب إلي القبر لكون معظمته يقع فيه قال المصنف رحمه الله تعالى " وبعذاب القبر لمن كان له أهل وسؤال منكر ونكير في قبره : الخ) كما سياتي 0

وأما الأحاديث الصحيحة المثبة لعذاب القبر فكثيرة جداً 0 يقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم " أعلم بأن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى " النار يعرضون عليها غدوا وعشياً " [1] وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة 0 ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه وإذا لم يمنعه العقل , وورد به الشرع وحب قبوله واعتقاده :

---

[3] سورة الأنعام آية (93)
[4] سورة محمد آية (27)
[1] سورة غافر آية (46)

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قاتل : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال صلى الله عليه وسلم من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل أنا قال فمتي مات هؤلاء ؟ قالوا ماتوا في الإشراك فقال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ثم أقبل علينا بوجهه فقال تعوذا بالله من عذاب النار : فقالوا نعوذ بالله من عذاب النار قال تعوذا بالله من عذاب القبر , قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن , قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال تعوذا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال " [2]

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : إنهم ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى , أما أحدهما فكان يسعي بين الناس بالنميمة وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله " [3] ومن ذلك أيضا ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " [4]

وأما كيفية عذاب القبر ونعيمه وكيفية عودة الروح إلي الميت فلا يجوز فيه الزيادة على ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت

---

[2] أخرجه مسلم (2867 , 2868) وأحمد (114/3 , 153 , 175 , 201 , 273 , 284 – 190/5) وابن منده (1065) والبيهقي في عذاب القبر (89) والنساني (102/4)

[3] البخاري (216 , 218 , 1361 , 1378 , 6052 , 6055) ومسلم (292) وابو داود (20) والترمذي (70) وابن ماجة (347) واحمد (225/1 والنسائي (28/1 , 30) وابي شيبة (122/1) والبغوي (183) والطيالس (2646)

[4] البخاتري (193/3) ومسلم (2866) ومالك (239/1) والترمذي (1071) والنسائي (107/4)

ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفية إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول فإن عود الروح إلي الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلي روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلي المقبور وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن نفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان "

ويقول ابن القيم " مذهب سلف الأمة أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وإن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلي الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى "

3 - أشراط الساعة :-

قال المصنف " ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ونؤمن بطلوع الشمس ممن مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها " ويجب علينا أن نؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن موعدها لا يعلمه إلا الله أخفاه عن الناس كلهم بما فيهم الرسل والأنبياء وأنه ليس لأحد من سبيل إلي معرفة ما بقى من عمر الدنيا قال تعالى " يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا

تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون "[1]

ولكن يجتب أن نؤمن بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علاماتها وأشراطها هذا وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس في آخر الزمان وظهور الفتن بينهم وبعدهم عن هدى نبيهم صلى الله عليه وسلم وأن هناك أيضا علامات كبرى 0

فأما العلامات الصغرى فقد ورد أحاديث صحاح وحسان كثيرة نذكر منها :-

1 – ما أخرجه البخاري ومسلم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم " بعثت أنا والساعة كهاتين " وأشار بالسبابة والوسطى " [1]

فهذا يدل على أن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وختم النبوة والرسالة به من علامات قرب الساعة وأن الساعة تأتي بعده وهذا إخبار بقرب وقوعها 0

2 – وفي حديث جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال : فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " [2]

3 – ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل

[1] سورة الأعراف آية (187)
[1] البخاري (4936) (5301 , 6503 , 6504 , 6505) ومسلم (295 , 2951,. 867) والترمذي (2213 , 2214) والنسائي (188/3 , 189)
[2] تقد تخريجه

صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا 0

ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلات ثوبها بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى منه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلي فيه فلا يطعمها " [3]

. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشوا الزنا ويشرب الخمر ويكثر النساء ويقبل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة رجل واحد " [4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : متى الساعة ؟ فقال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة 0 قال وكيف إضاعتها قال إذا اسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة " [5]

. وعن أبي هريرة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعة حتي يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتي يختبئ من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود " [1]

وهنا: أحاديث صحيحة أخرى ذكرت لنا علامات أخرى تظهر قبل قيام الساعة ويمكن الرجوع إليها كتب الصحاح 0

وأما العلامات لكبرى لقيام الساعة فمنها :-

---

[3] ....

[4] ا...........

[5] البخاري (132/1 - 285/11)

[1] البخاري (75/6) ومسلم (2922)

1 – حديث حذيفة بن أسيد الغفاري حيث قال " اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان و الدجال و الدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج ممن اليمن تطرد الناس إلي محشرهم "[2]

وفيما يلي نبين لك أهم وأشهر هذه الآيات حسب ما جاء في الأحاديث :-

1 - **طلوع الشمس من المغرب** :- وهذه الآية بداية التغير الذي يحدثه الله على نظام الكون في الحياة 0 حيث تظهر آيات غير مألوفة للبشر إيذانا بقرب وقوع الساعة الذي يكون معه تغيير شامل لنظام الكون كما ذكره الله سبحانه وتعالى في كثير من سور القرآن الكريم فأول هذا التغيير كما ورد في كثير من الأحاديث طلوع الشمس من الغرب على خلاف ما نعهده من طلوعها من المشرق والذي أطلعها من المشرق قادر على تغيير مسارها فهو خالقها ومدبر أمرها .

قال ابن حجر في فتح الباري (جـ 11 صـ 296 – 297) فيما يتعلق بترتيب ظهور علامات الساعة الكبرى ما نصه فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسي بن مريم 0 وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة 0 ولعتل خروج الدابة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار تحشر الناس من المشرق إلي المغرب أه)

---

[2] مسلم (2901) وابو داود (4311) وابن ماجة (4055) والترمذي (2183) والنسائي في الكبرى (20/3) والطيالس (1067) وابن ابي شيبة (130/15 – 131) والطبراني (3028 , 3029 , 3034) والبغوي (4250)

ومما جاء في الأحاديث الصحيحة بأن هذه الآية تكون أول العلامات الكبرى ظهوراً ما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا " [1]

وقد تقدم في حديث أبي هريرة السابق أن هذه الآية إذا ظهرت ورآها الناس أجمعون آمنوا وذلك حين لا ينفع نفسا أيمانها إذ لم تكن قد آمنت من قبل وهو ما أشار الله تعالى إليه بقوله " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا " [2] وقد قال كثير من المفسرين ما حاصله معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من مغربها وكذلك العاصي لا ينفعه العمل والتوبة ومن لم يعمل صالحا من قبل ولو كان مؤمنتا فلا ينفعه العمل بعد طلوع الشمس من المغرب .

2 – خروج الدابة :

وهذه الآية أشار إليها الله تعالى في القرآن حيث قال عز وجل " وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " [3] .

وقد ورد ذكر خروج الدابة في أحاديث صحيحة تفيد بأن خروج الدابة من علامات الساعة وأنه إذا ما انتهى الأجل الذي تنفع التوبة وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضي عليهم بما هم عليه عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم وتعرف المؤمن وتعلم عليه وتعرف الكافر وتعلم عليه 0 وهذه معجزة خارقة منبئة بقيام الساعة أو بقربها وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها إذ لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً وقد ذكرنا ما ورد في شأنها فيما سبق .

[1] أخرجه مسلم (2941) وأبو داود (4310) وابن ماجه (4069) والطيالس (2248) وأحمد (201/2) والبغوي (4291)
[2] سورة الأنعام آية (58)
[3] سورة النمل آية (82)

3 – ظهور الدجــال :

والدجال هو الكذاب شديد الدجل: والدجل في اللغة هو التغطية وسمى الكذاب دجالا لأنه يغطي الحق بباطله وهو من أمارات الساعة الكبرى ظهوره وادعاءه الإلهية . ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات وعجائب الأمور بإذن الله تعالى فيفتن به بعض الناس ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله وضلاله ثم يأذن الله بالقضاء عليه وعلى فتنته فينزل عيسى عليه السلام فيقتله كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة منها ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثني عليه بما أهله ثم ذكر الدجال فقال إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور " [1]

وروى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " لأنا أعلم بما مع الدجال منه : معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نار وليغمض وليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب " [2]

وعن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط بينه طافئة كأنني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم ليقرأ عليه فواتح سورة

---

[1] البخاري (264/6) ومسلم (2247/4) (169) وأبو داود (4757) والترمذي (2235 , 2241) وأحمد (37/2 , 131) وابن أبي شيبة (128/15) والبغوي (4255 – 4256)

[2] البخاري في الفتن (87/13 , 88) ومسلم (2934 , 2935)

الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فأثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذري وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون بمحلين ليس بأيديهم من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كياسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهردوتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذ طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله " [3]

فهذه الأحاديث وغيرها حجة لمذهب أهل السنة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال حسب ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام وما وصفه به من الصفات وما يؤول إليه من العلامات الكبرى لقيام الساعة

فإذا قيل كيف يجرى الله الآيات الباهرة على يده والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء فقد قال الخطابي في الجواب عن هذا التساؤل أن ذلك يكون على سبيل الفتنة للعباد إذ كان عندهم ما يدل على ما يبطل دعواه وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر إذ لو كان غلهاً لأزال ذلك عن وجهه وآيات الأنبياء كذلك سالمة من المعارضة فلا يشتبهان "

---

[3] أخرجه مسلم في الفتن (2250/4 , 2255) (100)

4 – نزل عيسى عليه السلام

فقد دلت السنة وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان قرب الساعة أثناء وجود الدجال فيقتله ويحكم بشريعة الإسلام ويحي من شأنها ما تركه الناس ثم يمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفن وقد ورد بذلك أحاديث صحيحة كثيرة تقدم بعضها فيجب على كل مسلم أن يصدق به وأن يعتقد بما أخبر به كتاب ربنا من أن عيسي عليه السلام لم يقتله اليهود وإنما رفعه الله إليه وأنه لن يموت حتى ينزل قبل قيام الساعة فقد قال سبحانه وتعالى " وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما 0 و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً " [1]

وقال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى علي÷ السلام إلا آمن به قبل موته عليه السلام ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآتي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك , فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حي 0 وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة (فيحكم بالإسلام ويحي من أمور شرعنا ما هجره الناس) ويقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية (فلا يقبل من أحد إلا الإسلام) فأخبرت الآية أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم " [1]

---

[1] سورة النساء آية (157 : 159)
[1] تفسير ابن كثير

ومن الأحاديث الواردة في ذكر نزول عيسى عليه السلام ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها " [2]

ظهور يأجوج ومأجوج :-

وقد ورد ذكر هذه العلامة في القرآن الكريم قال تعالى " ثن أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا "[3] وقال عز وجل " حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين " [4] ومما ورد في ذكرهم من الأحاديث الصحيحة ما أخرجه الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوماً فزعاً يقول " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها " قالت زينب ابنة جحش يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث " [5] وعن النواس بن سمعان كما جاء فيما سبق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل جدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر أخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء " [6]

---

(2) أخرجه البخاري في البيوع (2222) ومسلم في الإيمان (382) والترمذي في الفتن (2233)
(3) سورة الكهف آية (92 : 94)
(4) سورة الأنبياء (96 : 97)
(5) أخرجه البخاري في الأنبياء (3346) ومسلم في الفتن (7095) والترمذي في الفتن (2187) وابن ماجة في الفتن (3953) والنسائي في التفسير في الكبرى (11 : 322) تحفة
(6) أخرجه مسلم في الفتن (7230) والترمذي في الفتن (2240) وابن ماجة في الفتن (4075 : 4076) والنسائي في فضائل القرآن (49) وفي اليوم والليلة (صـ 527) وانظر التحفة (9 : 60)

وهناك أحاديث أخرى صحيحة تفيد مجموعها العلم اليقيني بظهور هذه الأمة المفسدة في أواخر عمر هذه الدنيا فكان لا بد للمؤمن من تصديق ما ورد في القرآن والسنة من أمرهم .

بداية اليوم الآخر

ويجب أن نؤمن بكل ما يحدث في آخر يوم من أيام الدنيا وبدء اليوم الآخر ويبدأ ذلك بإحداث تغير عام في الكون فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب وتتفتت الأرض وتغدو صعيداً جرزاً وتصبح الجبال كثيباً مهيلاً ويخرب كل شيء ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود قال تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار "[1] ويكون هذا على إثر النفخة الأولي ينفخها إسرافيل بأمر ربه فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله تعالى قال عز وجل " ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون "[2] وقال " فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية "[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض "[4]

البعث :

---

(1) سورة إبراهيم آية (48)
(2) سورة الزمر آية (68)
(3) سورة الحاقة آية (13 : 16)
(4) أخرجه البخاري في التوحيد (7382) ومسلم في التوبة كتاب صفة القيامة (6912) وابن ماجة في المقدمة (92) والنسائي في النعوت والتفسير في الكبري (10 : 62) التحفة وأخرج مثله أيضا في رواية أخري ابو داود في السنة (4732) والترمذي في التفسير (3238 : 3239)

ونؤمن بعدها بالبعث حينما يأمر الله تعالى بالنفخة الثانية فتعود الحياة على أثرها إلي الأموات وهذا يوم البعث ثم يخرج الله الناس من الأجداث أحياء فيقول الكفار والمنافقين حينئذ " يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا " [5] ويقول المؤمنون " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " [5] وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أول من يخرج ممن قبره فقد قال صلى الله عليه وسلم " يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام فإذا موسى آخذ بالعرش فما أدري أكان فيمن صعق " [6]

الحشــــر :-

ونؤمن كذلك بحشر الخلائق بعد البعث وإخراجهم من قبورهم قال تعالى " يوم نحشر المتقين إلي الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلي جهنم ورداً " [7]

والحشر هو سوق الناس جميعاً إلى الموقف وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً لفصل القضاء بينهم فبعد بعث الناس يأمر الله ملائكته فتسوقهم إلي الموقف وحالهم كما خلقوا أول مرة حفاة غير منتعلين عراة غير مكتسين غرلا غير مختتنين فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله ينظر بعضهم إلي بعض قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلي بعض " [1] وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " يا أيها الناس إنكم محشورون إلي الله حفاة عراة غرلا ثم قال : كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ... إلي لآخر الآية , ثم قال ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم إلا وأنه يجاء برجال من أمتي

---

(5) سورة يس آية (52)

(6) أخرجه البخاري في الأنبياء (3414) وفي التوحيد (7472) ومسلم في الفضائل (6036 , 6038) وأبو داود في السنة (4668 , 4671) والنسائي في التفسير في الكبرى (10 : 211) تحفة

(7) سورة مريم آية (85 : 86)

(1) أخرجه البخاري في الرقاق (6527) ومسلم في صفة الجنة والنار (7058) والنسائي في الجنائز (4 : 114) وابن ماجة (4276) في الزهد



فيؤخذ بهم ذات الشمال وأقول يا رب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم " [2]

وفي الموقف يصيب الخلائق كرب شديد فقد روى المقدادين الأسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـ÷ قال " تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلي كعبيه ومنهم من يكون إلي ركبتيه ومنهم من يكون إلي حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما و أشار صلى الله عليه وسلم بيده إلي فيه " [3] وفي أثناء ذلك يكون أناس في ظل الله عز وجل كما أخبر المصطفي صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " [4]

فإذا اشتد الأمر بالناس وعظم الكرب في هذا الموقف العظيم ذهب الناس إلي الأنبياء وطلبوا منهم أن يسألوا الله عز وجل أن ينقذهم مما هم فيه وأن يعجل هلم فصل القضاء وكل رسول يحيلهم على من بعده حتي يأتون نبينا صلى الله عليه وسلم فيشفع فيهم ويقبل الباري شفاعته وهذه الشفاعة العظمى خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وهي متفق عليها بين الأئمة ثبتت بالأحاديث الصحيحة وهي المقام

---

[2] أخرجه البخاري في الرقاق (7526) ومسلم في صفة الجنة والنار (7061) والترمذي في الزهد (2423) والنسائي في الجنائز (4 : 117)

[3] أخرجه مسلم في صفة الجنة والنار (7066) والترمذي في الزهد(2421) وروى مثله البخاري من طريق أخر في الرقاق (6531)

[4] أخرجه البخاري (660) ومسلم (1031)

المحمود الذي وعد الله به الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى "ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسي أن يبعثك ربك مقاماً محمودا " [1]

جزاء الأعمـــال :-

ونؤمن كذلك بجزاء الأعمال في اليوم الآخر فيجزي العباد ويجزون على كل ما كسبوه في الحياة الدنيا من خير أو شر , قال عز وجل " يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين " [2] والدين هو الجزاء فيقال : كما تدين تدان , أي كما تجازي تجازى وقال سبحانه " من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون " [3] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل " يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " [4]

العرض والحساب :

ونؤمن كذلك أن الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة يعرض الناس على ربهم وتقام فيهم الحجج عليهم ولهم ويطلعون على أعمالهم ويقرؤون صحفهم فيجب أن نؤمن بالعرض والحساب وقراءة الكتاب فجميعها حق ودل عليها الكتاب وإجماع علماء المسلمين 0

أما العرض فدليله قوله تعالى " يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية " [5] وقال تعالى " وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة " [6] فيجب على

---

(1) سورة الإسراء آية (79)
(2) سورة النور آية (25)
(3) سورة القصص آية (84)
(4) أخرجه مسلم (2577) وأحمد (160/5) والطيالس (463) والترمذي (2495) وابن ماجة (4257) والحاكم (241/4) والبخاري في الأدب المفرد (490) والبيهقي في الأسماء والصفات (صـ 213) وفي السنة لأه (93/6) والخطيب في تاريخه (203/7 – 204) والنووي في الأذكار (صـ 355)
(5) الحاقة آية (18)

كل مسلم أن يؤمن بأن كل عبد يعرض على ربه فيتولى سبحانه حسابه بنفسه وبدون واسطة : فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما منكم من أحد إلا سيلكمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة " [7]

ويدخل في معنى العرض إبراز الأعمال وإظهارها فيعرف صاحبها بذنوبه فإن كان من أهل النجاة وهو الذي يؤتى كتابه بيمينه تجاوز الله عن ذنوبه ولم يناقشه الحساب وأدخله الجنة ولم يعذبه بالنار وأما من كثرت معاصيه وأوتي كتابه وراء ظهره فذلك يناقش الحساب ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة كما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك فقلت يا رسول الله : أليس قد قال الله فأما من أوتي كتابته بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب " [1] والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة "

وأما أخذ العباد صحائف أعمالهم يوم القيامة وقراءتهم لها فحق يجب الإيمان به ومن أنكره كفر قال تعالى " وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا 0 أقراء كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا " [2] ويجب علينا أن نؤمن بما جاء في قوله تعالى عن هذا الأمر حيث قال " يا أيها الإنسان إنك كادح إلي ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا , وينقلب إلي أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لا يحور بلى إن ربه كان به بصيرا " [3]

---

[6] سورة ا لكهف آية (49)
[7] البخاري في التوحيد (202/8) ومسلم في الزكاة (86/3)
[1] أخرجه البخاري (103 , 4939 , 6536 , 6537) ومسلم (2876) وابو داود (3093) والترمذي (3334) وأحمد (47/6 , 91 , 108 , 127)
[2] سورة الإسراء آية (13 : 14)
[3] سورة الانشقاق آية (6 : 15)

والمراد بهذه الصحف التي يقرؤها العباد الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعلوه في الحياة الدنيا فقد عرفنا أن من أركان الإيمان التصديق بما أخبر به الله سبحانه عن ملائكته وأعمالهم 0 وقد أخبر سبحانه أنه وكل بنا من ملائكته من يحفظنا ويكتب أعمالنا وأقوالنا وهم الكرام الكاتبين الذين قال الله عنهم " وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون "[4] وقال أيضا "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون"[5] فما يستنسخه هؤلاء الكرام يقروه العباد يوم القيامة 0 إن الناس سوف يحاسبون والحساب المراد به توفيق الله تعالى العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم وأقوالهم وإعتقاداتهم خيرا كانت أو شرا وذلك بعد أخذهم صحائفهم فيعرفون على أعمالهم وما لهم وما عليهم قال تعالى " ثم إلي ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون " [6] ثم إن الناس في الحساب متفاوتون :

فمنهم من يحاسب حساباً يسيرا يعرض عليه عمله فيطلعه الله على سيئاته بحيث لا يطلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلي الجنة "

ومنهم من يناقش الحساب بأن يسأل عن كل جزئية ويطالب بالعذر والحجة فلا يقبل منه عذر ولا حجة فيهلك مع الهالكين ويأمر الله تعالى مناديا ينادي عليه بسيئات أعماله فيفتضح بين الخلائق فعلى المؤمن أن يحاسب نفسه قبل أن يحساب ويبادر بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان 0 ويؤمن بالحساب ويستعد له فقد قال تعالى " وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين " [1] وقال صلى الله عليه وسلم " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن عمله فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه " [2] وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يتفضل عليهم ربهم ويستثنيهم من هذا الحساب ويدخلهم الجنة من غير حساب ولا عذاب , فقد

---

(4) سورة الانفطار آية (10 : 12)
(5) الجاثية آية (29)
(6) ....
(1) سورة الأنبياء آية (47)
(2) أخرجه الترمذي (2416 , 2419) والخطيب (441/11 – 440/12) والدارمي (131/1) وأبو نعيم في الحلية

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب " [3]

وأما كيفية الحساب فنؤمن بما ورد في القرآن عنها وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نزيد ولا ننقص ولا نسأل عن أكثر مما ورد فنؤمن ان الله سبحانه يذكر كل عبد بما قدمه في الحياة الدنيا من خير أو شر , ويشهد عليهم جميع من يستشهدهم الله عليهم فتشهد الأرض بما حدث على ظهرها كما قال عز وجل " إذا زلزلت الأرض زلزالها إلي أخر السورة " فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قلا : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " يومئذ تحدث أخبارها " فقال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا قال فهذه أخبارها " [4] ونؤمن أيضاً بأنه يكون في هذا الحساب شهادة الأعضاء : من ألسنة وأيد و أرجل وجلود وغيرها على كل ما فعله العبد وبما أخبر الله من تحاور أعداء الله مع هذه الشهود قال عز وجل " ويم يحشر أعداء الله إلي النار فهم يوزعون 0 حتي إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلل شيء وهو خلقكم وإليه ترجعون 0 وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون " [5] ونؤمن ايضا بما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم من رحمة الله عز وجل بعباده المؤمنين عند الحساب دون الكافرين فيخلوا سبحانه بعبده المؤمن وقرره بذنوبه ويستر عليه ولا يناقشه الحساب فقد ورد عن ابن عمر أنه قيل له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى " مناجاة الله العبد المؤمن في الآخرة " قال سمعته يقول " يدنوا أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم

---

[3] أخرجه البخاري (6541) ومسلم (220)
[4] أخرجه الترمذي (330)
[5] سورة فصلت آية (19 : 22)

يقول إني سترت عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم ثم يعطي صحيفة حسابه وأما الكفار فينادي رؤوس الآشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين " [1]

الحـوض :-

ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر به المصطفي صلى الله عليه وسلم عن الحوض الذي تفضل الله به عليه وعلى أمته فإن الأحاديث الواردة في ذلك تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابياً ويكون أول من يرده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ترده بعده امته ويطرد عنه الكفار وطائفة من العصاة وأهل الكبائر وذلك بعد الانتهاء من الموقف بما فيه من أهوال وعرض وحساب وقراءة الصحف وغيرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا فرطكم في الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فيقول صلى الله عليه وسلم إنهم أمتي فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل عليه " [2]وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلي المنبر فقال " إني فرط لكم وانا شهيد عليكم والله لأنظر إلي حوضي الآن وغني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف أن تتنافسوا فيها " [3] وأخرج البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إني على الحوض حتي أنظر من يرد منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول يا رب من و من أمتي فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك والله , ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم " [4]

---

[1] أخرجه البخاري في التوحيد (203/8) ومسلم (2441 , 2768)

[2] البخاري (6589)(7050) ومسلم (2289 , 2290 , 2291) وأحمد (333/4)(333/5) والحميدي (779) والطبراني في الكبير (688 - 1694)

[3] أخرجه البخاري (6590) ومسلم (2296)

[4] ....

وهذا الحوض حوض عظيم ومورد كريم يمد من شراب الجنـة من نـهر الكوثـر الذي هو أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلـج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك وهو في غاية الاتساع عرضه وطولـه سـواء كـل زاويـة من زواياه مسيرة شـهر وفـي بعض الأحاديث أنه كلما شرب منه فهو في زيادة واتساع فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء " ومن الأحاديث الواردة في صفة الحوض ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو رض الله عنهم أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض منم اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا " وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن لكل نبي حوضا وأن حوض نبينا صلى الله عليه وسلم أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا " [5] 0

الميزان

ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم من ان أعمال العباد خيرها وشرها توزن يوم القيامة بميزان إظهاراً لعدل الله قال سبحانه " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين " [6] وقال تعالى " والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم " وقال أيضاً " فأما منم ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية " [7]

واعلم بأن الميزان ميزان حقيقي له كفتان وأعلم بأن الله سوف يحول أعمال العباد إلي أجسام لها ثقل فتوضع الحسنات في كفة 0 وهذا يكون وزن الأعمال ب عد إتمام الحساب لأن الوزن للجزاء فيكون بعد المحاسبة التي هي لتقرير الأعمال الحادثة فيكون الوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء ولكن لا يكون وزن في حق الأنبياء والملائكة ومن استثناهم الله من الحساب.

[5] أخرجه البخاري في الرقاق (207/7) ومسلم (66/7)
[6] سورة الأنبياء آية (47)
[7] سورة القرعة (6 : 11)



الصراط :

ونؤمن أنه يكون بعد الحساب والميزان انصراف الناس من الموقف ليمروا فوق الجسر المنصوب على جهنم وهو الصراط والمرور على الصراط عام لجميع الناس الأنبياء والصديقين والمؤمنين والكفار ومن يحاسب ومن لا يحاسب ومن استقام على الصراط الله الذي هو دين الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن الناس يمرون عله وتكون سهولة ذلك عليهم بقدر أعمالهم في الحياة الدنيا فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر المقل في العمل الصالح تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فيخلصون فإذا قالوا الحمد لله الذي نجانا منها بعد أن رأيناها لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد وقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمرالقمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتي يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى على صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم إلا الرسل ودعوى الرسل اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا

يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله ومهم المجازى حتي ينجى " [1]

هذا المرور على الصراط هـ الورود المذكور في قوله تعالى " وإن منكم إلا واردها " [2] أي لا ينجو أحد من المرور على الصراط فقد روى الإمام في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها فقالت حفصة " وإن منكم إلا واردها " فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله عز و جل " ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " [2] فأشار عليه الصلاة والسلام إلي أن ورود النار لا يستلزم دخولها فالجميع يمرون من فوق جهنم فوق الصراط وينجي الله المؤمنين ويذر الظالمين فيها جثيا إذا عبر المؤمنون الصراط وقوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض فإذا هذبوا أذن لهم في دخول الجنة روي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال " يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخل الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا " [1]

الجنة والنار :

وبعد ذلك نؤمن بوجود الجنة والنار وأنهما مخلوقات من مخلوقات الله عز وجل أعدها الله للثواب والعقاب وأنه سبحانه وتعالى خلقهما قبل الخلق وانهما موجودتان الآن وأنهما باقيتان ولا تبيدان قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

[1] أخرجه البخاري (7437) ومسلم (182) وأبو داود (4730) والترمذي (2560) وأحمد (275/2 , 293 , 368 , 254) وابن خزيمة في التوحيد (صـ 170 – 174) وابن منده في الإيمان (802 – 809) واللالكائي (814 – 824) وابن ابي عاصم (443 – 456 , 375) والطيالس (2382) والاجري في الشريعة (صـ 259 – 260) والحميدي (178)

[2] سورة مريم آية (71 : 72)

[2] سور مريم آية (71 : 72)

[1] مسلم (2496) والترمذي (3859) وابو داود (4653) والنسائي في الكبرى (340/2 – 104/13) وأحمد (396/3 – 285/6 , 362 , 420) وابن ماجة (4281) وابن سعد (458/8) وابن عاصم (861) والطبراني (358/23 363 – 266/25 , 269)



ما يأمرون " [2] وقال أيضا " يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد " [3] وقال تعالى مخبراً عن بعض ما فيها " أذلك خيرا نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعا كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لأكلون منها فمالؤن منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم " [4] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف النار " ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله إن كانت لكافيه قال فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها " [5]

وقال عليه الصلاة والسلام في وصف أخف العذاب في النار " إن أهون النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه " [6]

وأما الجنة فقد أكثر الله سبحانه من ذكر نعيمها في كتابه الكريم من ذلك قوله تعالى " إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم" [7] وقال أيضا " وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد " [8] وقال أيضا " إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم .. إلي قوله تعالى " ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون " [9]

---

[2] سورة التحريم آية (6)
[3] سورة ق أية (30)
[4] سورة الصافات آية (62 : 67)
[5] أخرجه البخاري (238/6) ومسلم (2843) ومالك (994/2) والترمذي (2592)
[6] أخرجه البخاري (773/11) ومسلم (213)
[7] سورة الدخان آية (51 : 57)
[8] سورة ق آية (31 : 35)
[9] سورة الطور آية (17 : 24)



وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى في وصف نعيم الجنة " أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم " فلا تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين " [10]
كذلك نؤمن بما يكون من تحاور وتخاطب بين أهل الجنة وأهل النار كما جاء في سورة الأعراف " ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون " [1] .. إلي قوله تعالى " ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين " [2]

وأما خلود الجنة والنار وخلود المؤمنين في الجنة وخلود الكافرين في النار فقد تكرر ذكر ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم " إذا صار أهل الجنة إلي الجنة وأهل النار إلي النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلي فرحهم ويزداد أهل النار حزنا على حزنهم " [3]

اعلم بأن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن وأنهما لا تغنيان أبداً ولا تبيدان

فأما أبدية الجنة وأنها لا تغنى ولا تبيد قال تعالى " وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ "
فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله " خالدين فيها " [4] ونفي تعالى خروجهم منها بقوله تعالى " وما هم بخارجين النار "[5]ونفي تعالى انقطاعها عنهم بقوله عز وجل

---

[10] أخرجه البخاري (3244) ومسلم (2824)
[1] سورة الأعراف آية (44 : 45)
[2] سورة الأعراف آيـة (50)
[3] أخرجه مسلم في الرقاق (200/7) ومسلم في كتاب الجنة (153/8))
[4] سورة النساء آية (169)
[5] سورة البقرة آيـة (167)



" ولا يخفف عنهم من عذابها " [6] ونفي فناءهم فيها بقوله عز وجل " ثم لا يموت فيها ولا يحيي " [7] وأما من السنة روى البخاري باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالى " وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر " قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يؤتي بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناديا يا أهل الجنة0 فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ " وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة " وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا " وهم لا يؤمنون " [8]

أما عصاة الموحدين

فقد وردت الأحاديث الصريحة بإخراجهم من النار برحمة الله تعالى بشفاعة الشافعين وإن هؤلاء العصاه يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتهم في مقدار ما تأخذ منهم

وجاء فيها أن هذه الطبقة تغني بعدهم إذا أخرجوا منها وادخلوا الجنة .. وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى " غلا ما شاء ربك " وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة وما أحسن ما قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه " الوابل الحبيب " كما ذكرنا عنه آنفا : ومن ذك ما أخرجه مسلم عن إبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم خبائر خبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون بنات الجنة تكون في حميل

---

(6) سورة فاطر آية (36)
(7) سورة طه آية (74)
(8) أخرجه البخاري (4730 , 6548) ومسلم (2849 , 2850 , 43) والترمذي (3/56) وأحمد (118/2 , 120 , 11 , 9/3) والطبراني في الكبير (13337) وابو نعيم في الحلية (183/8)

السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان في البادية " [1]

فهذه الأحاديث صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما بل بإبقاء الله لهما

وقوله : وخلق لها أهلا : قال تعالى " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس " [2] وقالت عائشة رضي الله عنها دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبي لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم " [3] وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم " وقال تعالى " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا " [4] وقال " الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى " [5]

فالمراد بالآية الأولي الهداية العامة وأعم منها الآية الثانية 0 فالموجودات نوعان 0 أحدهما مسخر بطبعه والثاني متحرك بإرادته 0 فهدى الأول لما سخر له طبيعته , وهدى الثاني هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره " ......

تكملة صـ 97 .....

وقسم النوع الثاني غلي ثلاثة أنواع

1 – نوع لا يريد إلا الخير ولا يتأتي منه إرادة سواه كالملائكة

2 – نوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتي منه إرادة سواه كالشياطين

3 – ونوع يتأتي منه إرادة القسمين كالإنسان 0 ثم نجعله ثلاثة أصناف

أ – صنفاً يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته فيلتحق بالملائكة

---

[1] أخرجه مسلم في الايمان (117/1) وأحمد (5/3 , 11) وابن ماجة (4364)
[2] الأعراف آيتة (179)
[3] مسلم (2662) وأبو داود (4713) وابن ماجة (82) والنسائي (57/4) وأحمد (41/6 –208) والطيالس (1574) وابن حبان (138)
[4] الإنسان آية (3)
[5] سورة طه آية (50)

ب – صنفاً عكسه فيلتحق بالشياطين

ج – صنفاً تغلب شهوته البهيمة عقله فيلتحق بالبهائم 0 فالمقصود أنه موجود إلا بإيجاده سبحانه وتعالى ولا هداية إلا بتعليمه سبحانه وتعالى وتوفيقه وذلك كله من الأدلة على كمال قدرته وثبوت وحدانيته وتحقيق ربوبيته سبحانه وتعالى

أما قوله فمن شاء منهم إلي الجنة فضلاً منه ومن شاء منهم إلي النار عدلاً منه فلا يمنع الله الثواب إلا إذا منع سببه وهو العمل الصالح : فإنه " من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما " [6] وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العذاب " قال تعالى " وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير " [7] وهو سبحانه المعطي المانع لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع ولا ريب أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء لكن ذلك كله حكمة منه وعدل فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله أما المسببات بعد وجود أسبابها فلا يمنعها إذ لم تكن أسباباً غير صالحة فكل عطاء منه فضل وكل عقوبة منه عدلا فله الحمد في الحالين وهو المحمود على كل حال فإن الله تعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها كما قال تعالى " وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله 0 الله أعلم حيث يجعل رسالته " [1] وقال تعالى " وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين " [2]

أما قوله " وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلي ما خلق له "

يشير إلي قوله صلى الله عليه وسلم " فرغ الله إلي كل عبد من خمس من أجله ورزقه وآثره وضجعه وشقي أو سعيد "

---

(6) سور طه آية (112)
(7) سورة الشورى آية (30)
(1) سورة النعام آية (124)
(2) سورة الأنعام آية (53)



وقال تعالى عن نعيم الجنة " أكلها دائم وظلها " [3] **وقال عن أهلها " وما هم منها مخرجين "** [4]

وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن الكريم قال تعالى " والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري مت تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً " [5] **وقال تعالى " جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه "** [6]

ومن السنة :

قال صلى الله عليه وسلم " من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت " [7]

وقال صلى الله عليه وسلم " ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا وأن تشبوا فلا تهرموا أبدا وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا " [8]

أما أبدية النار ودوامها فقد ورد عن الإمام ابن القيم في الوابل الصيب قال رحمه الله ولما كان الناس ثلاثة طبقات : طيب لا يشوبه خبث , وخبيث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب – كانت دورهم ثلاثة :–

1 – دار الطيب المحض 0

2 – دار الخبيث المحض 0 قال وهاتان الداران لا تغنيان – ويقصد بها الجنة والنار –

3 – ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تغني وهي دار العصاة فإنه لا يقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار

---

(3) سورة الرعد آية (35)
(4) سورة الحرة آية (48)
(5) سورة النساء آية (122)
(6) سورة البينة آية (8)
(7) أخرجه مسلم (2836) والدارمي (332/2) وأحمد (370/2 , 407 , 416 , 462)
(8) أخرجه مسلم (2837) والترمذي (3246) وأحمد (319/2 – 38/3 , 95) والنسائي في الكبرى (329/3) والدرامي (334/2) والبغوي في شرح السنة (4383)



فأدخلوا الجنة ولا يقي إلا دار الطيب المحض – ويقصد الجنة وهي دار المؤمنين خالدين فيها – ودار الخبيث المحض – ويقصد النار وهي دار الكفار خالدين فيها – انتهى كلامه رحمه الله 0

وأما الأدلة على أبدية النار وأنها لا تفني ولا تبيد :–

فمن القرآن : قوله تعالى : " إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله لغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا " [1] وقال تعالى " عن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا " [2] وقال تعالى " ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا " [3] وقال تعالى " إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاما " [4] وقال تعالى " ولهم عذاب مقيم " [5] وقال تعالى " وما هم بخارجين من النار " [6] وقال تعالى " إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون " [7] وقال " والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور "[8] وقال " ألا إن الظالمين في عذاب مقيم " وقال تعالى " إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى " [9] وقال تعالى " لابثين فيها أحقابا " [10]

فأخبر تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين لا فكاك لهم منها ولا خلاص ولات حين مناص

---

[1] سورة النساء آية (169
[2] سورة الأحزاب آية (63: 64)
[3] سورة الجن آية (23)
[4] سورة الفرقان آية (74 : 77)
[5] سورة المائدة آية (37)
[6] سورة البقرى آية (167)
[7] سورة الزخرف آية (74 : 77)
[8] سورة فاطر آية (36)
[9] سورة طه آية (74)
[10] سورة النبأ آية (23)

(الاستطاعـة وعلاقتها بالتكليـف)

أما قولـه " والخير والشر مقدران على العباد 0 والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل وأما

الاستطاعة من جهة الصحة والوسع و التمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب 0 وهو كما قال تعالى " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " [1]
الاستطاعة والقدرة والوسع ألفاظ متقاربة والناس في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب :-

المذهب الأول : وهو لعامة أهل السنة وهو أن الاستطاعة تنقسم إلي قسمين :-

1 – الاستطاعة التي يجب بها الفعل أي لابد أن يوجد معها وهي حقيقة القدرة على الفعل وهذه لابد أن تكون مع الفعل إذ لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة وهي الموجبة للفعل المحققة له 0 ومثال الاستطاعة المقارنة الموجبة قوله تعالى " ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون " [2] والمراد نفي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات وكذا قول صاحب موسى " إنك لن تستطيع معي صبرا " [3] وقوله " ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا " [4] والمراد منه حقيقة قدرة الصبر لا أسباب الصبر وآلاته فإن تلك كانت ثابتة له آلا ترى أنه عاتبه على ذلك ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل وإنما يلام من امتنع من الفعل لتضيع قدرة الفعل لاشتغاله بغير ما أمر به

2 – الاستطاعة من جهة الأسباب والآلات وهذه قد تتقدم الأفعال وهي صالحة للضدين ولا يجب أن تكون معها قال تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " [5] فلو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج ولما عصى أحد بترك الحج ولا كان الحج واجباً على أحد قبل الإحرام به بل قبل فراغه – وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام فإن الحج إنما يجب على المستطيع وقال تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم , فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل

[1] سورة البقرة آية (286)
[2] سورة هود آية (20)
[3] سورة الكهف آية (67)
[4] سورة الكهف آية (72)
[5] سورة آل عمران آية (97)

فقط إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة ولم يعاقب من لم يتق وهذا معلوم الفساد وكذا قوله تعالى "فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا "[6] **والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات وكذا ما حكاه الله سبحانه في قول للمنافقين**" لوا استطعنا لخرجنا معكم " [7] **وكذبهم في ذلك القول ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل ما كانوا بنفيهم كاذبين وحيث كذبهم دل على أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال وكذا قوله تعالى**" ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم" [1] **والمراد من استطاعة الآلات والأسباب ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين** " صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب " [2] **إنما نفى استطاعة الفعل معها**

المذهب الثاني : وهو للقدرية والمعتزلة قالوا لا تكون القدرة إلا قبل الفعل وهو بناء على أصلهم الفاسد أن أقدار الله للبر والفاجر على حد سواء وهو فاسد باتفاق أهل السنة المثبتين للقدر فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية خصه بها دون الكافر وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر " قال تعالى " ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون " [3] **فالقدرية يقولون إن هذا التحبيب عام في كل الخلق وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن ولهذا قال** " أولئك هم الراشدون " **والكفار ليسوا راشدين وقال تعالى** " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " [4]

---

(6) سورة المجادلة آية (16)
(7) سورة التوبة (42)
(1) سورة النساء آية (25)
(2) البخاري (1117) وأبو داود (952) والترمذي (372) والبغوي (983) وابن ماجة (1223) وأحمد (426/4) وابن الجارود (231) والداقطني (380/1) والخطيب في تاريخه (24/6) وابن خزيمة(979) والبيهقي (304/2 , 305)
(3) سورة الحجرات آية (8)
(4) سورة الأنعام آية (125)

وقال تعالى " من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فن تجد له ولياً مرشداً " [5] **فالله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء فضلاً منه وإعانة ويضل من يشاء عدلاً منه سبحانه وتعالى.**

ولما كان فاعل الطاعات وتاركها سواء عند المعتزلة في الإعانة والأقدار امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك وحال وجود الفعل يمتنع الترك فلهذا قالوا لا تكون القدرة إلا قبل الفعل وقولهم هذا باطل بل نقيضه هو الحق وهو أن الفعل لابد أن يكون معه قدرة لأن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع بل لابد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل .

المذهب الثالث : وهو للأشاعرة ومن وافقهم قالوا لا تكون القدرة إلا مع الفعل لأن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين فالقدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك وهي مستلزمة له لا توجد بدونه وقال بعضهم إن القدرة عرض فلا تبقى زمانين فيمتنع وجودها قبل الفعل .

والصواب المذهب الأول وهو أن القدرة نوعان :

نوع مصحح للفعل يمكن معه الفعل والترك وهي مناط التكليف أن يتعلق بها الأمر والنهي وهذه تحصل للمطيع والعاصي وتكون قبل الفعل وتبقي إلي حين الفعل إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض أو بتجدد أمثالها عند من يقول إن الأعراض لا تبقى زمانين وهذه لا تصلح للضدين وأمر الله شروط بهذه الطاقة فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة وضد هذه القدرة هو العجز .

ونوع يجب به الفعل أي لا بد أن يوجد معها وهذه لابد أن تكون مع الفعل وهذه هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر بها يتحقق وجود الفعل فالأولي للكلمات الأمريات الشرعيات والثانية للكلمات الخلقيات الكونيات كما قال تعالى " وصدقت

---

[5] سورة الكهف آية (17)

بكلمات ربها وكتبه " [1] **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (371/8 – 376) .**

وقد اختلف الناس في قدرة العبد على خلاف معلوم أو مراده . والتحقيق أنه قد يكون قادراً بالقدرة الشرعية المتقدمة على الفعل فأن الله قادر أيضاً على خلاف المعلوم المراد وإلا لم يكن قادراً إلا على ما فعله وليس العبد قادراً على ذلك بالقدرة المقارنة للفعل فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه وأراد كونه فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكذلك قال الحوارين " هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء " [2] **إنما استفهموا عن هذه القدرة وكذلك ظن يونس** " أن لن نقدر عليه " **أي فسر بالقدرة كما يقال للرجل هل تقدر أن تفعل كذا أي هل تفعله وهو مشهور في كلام الناس .**

ولما اعتقد القدرية أن الأولي " الاستطاعة قبل الفعل " كافية في حصول الفعل وأن العبد يحدث مشيئته جعله مستغنيا عن الله حين الفعل كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل وهي من غيره رأوه مجبورا على الفعل وكلاهما خطأ قبيح فإن العبد له مشيئته وهي تابعة لمشيئة الله كما ذكر الله ذلك في عدة مواضع من كتابه فإن كان الله قد جعل العبد مريدا مختاراً شيئا امتنع أن يقال هو مجبور مقهور مع كونه قد جعله مريدا وامتنع أن يكون هو الذي ابتدع لنفسه المشيئة فإذا قيل هو مجبور على أن يختار مضطر إلي أن يشاء فهذا لا نظير له وليس هو المفهوم من الجبر بالاضطرار ولا يقدر على ذلك إلا الله .

ولهذا افترق القدرية والجبرية على طرفي نقيض وكلاهما مصيب فيما أثبته دون ما نفاه ثم قال رحمه الله وابن الخطيب ونحوه من الجبرية يزعمون ان العلم بافتقار رجحان فعل العبد على تركه إلي مرجع من غير العبد ضروري لأن الممكن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح ما وكلا القولين صحيح ولكن

---

[1] سورة التحريم آية (12)
[2] سورة المائدة آية (112)

دعوى استلزام نفي الآخر ليس بصحيح فإن العبد محدث لأفعاله كاسب لها وهذا الإحداث مفتقر إلي محدث فالعبد فاعل صانع محدث وكونه فاعلاً صانعاً محدثاً بعد أن لم يكن لابد له من فاعل كما قال تعالى " لمن شاء منكم أن يستقيم " [(3)] فإذا شاء الاستقامة صار مستقيماً ثم قال " وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين " [(3)]

فما علم بالاضطرار وما دلت عليه الأدلة السمعية والعقلية كله حق ولهذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله والعبد فقير إلي الله فقراً ذاتياً له في ذاته وأفعاله مع أن له ذاتاً وصفات وأفعالا فنفى أفعاله كنفي صفاته وذواته وهو جحد للحق سببه بغلوه غالبية الصوفية الذين يجعلونه الحق وجعل شيء منه مستنفياً عن الله أو كائنا بدونه جحد للحق شبيه بلغو الذي قال " أنا ربكم الأعلى " وقال أنه خلق نفسه وإنما الحق ما عليه أهل السنة والجماعة والإستطاعة الشرعية ليست مجرد إمكان الفعل :-
فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها فإن الآستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وإن لم يعجز عنه فالشارع ييسر على عباده ويرد بهم اليسر ولا يريد العسر وما جعل عليكم في الدين من حرج والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه فهذا في الشرع غير مستطيع لأجل حصول الضرر عليه وإن كان قد يسمي مستطيعا فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعة إلي مجرد إمكان الفعل بل ينظر إلي لوازم ذلك فإن كان الفعل ممكناً مع المفسدة الراجحة لم تكن استطاعة شرعية فالمريض قد يستطيع أن يصلي قائما مع زيادة المرض أو تأخر برئه والشخص قد يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته فهؤلاء غير مستطيعين لأجل هذه المفسدة الراجحة وإن كانوا قد يمسون مستطيعين وإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجحة فكيف يكلف مع العجز .

[(3)] سورة التكوير آية (28 : 29)

ولكن هذه الاستطاعة وحدها لا تكفي في وجود الفعل وإلا كان التارك كالفاعل بل بد من احداث إعانة أخرى مثل جعل الفاعل مريدا فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة فالاستطاعة المقارنة تدخل فيها ولكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه وعلى هذا ينبني تكليف ما لا يطاق فمن قال القدرة لا تكون إلا مع الفعل قال كل كافر أو فاسق كلف بما لا يطيق وما لا يطاق فسر بشيئين ما لا يطاق للعجز عنه فهذا لم يكلفه الله أحداً – ما لا يطاق للاشتغال بضده وهو الذي وقع فيه التكليف .

وهذا واضح في أمر العباد بعضهم بعضاً فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة

قوله " وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد "

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية :

فزعمت الجبرية وعلى رأسهم الجهم بن صفوان أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش والعروق النابضة وحركات الأشجار وإضافتها إلي الخلق مجازاً وهي على حسب ما يضاف الشيء إلي محله دون ما يضاف إلي محصله .

أما المعتزلة فقالوا إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها لا تعلق لها بخلق الله تعالى واختلفوا فيما بينهم أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا .

أما أهل السنة : فقد هداهم الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه وقالوا بعموم خلقه تعالى لكل شيء وأفعال العباد من جملة مخلوقاته وعموم قدرته ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة فيها صاروا مطيعين وعصاة وعليها يستوجبون المدح والذم فكل دليل يسوقه الجبري فإنما على أن الله خالق كل شيء وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مختار و كل دليل يسوقه القدري فإنه يدل على أن العبد

فاعل لفعله وأن إضافته إليه إضافة حق ولا يدل على أنه غير مقدور لله أو أنه واقع بغير مشيئته وقدرتـه .

وإذا ضمننا ما مع كل فريق من الحق إلي ما مع الآخر منه استقام لنا مذهب أهل السنة الذي بيناه آنفا واعلم أن أدلـة الحق لا تتعارض ، وإنما الحق يصدق بعضه بعض .

وسنعرض أدلـة كل فريـق ونناقشها ونبين أنـه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل :

أدلة الجبريـة :

فكان مما استدلت به الجبرية على دعواهم ما يأتي قوله تعالى " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى "[1] فنفي عن نبيـه الرمي وأثبته لنفسه عز وجل فدل على أنه لا صنع للعبد وأن الجزاء غير مترتب على الأعمال بدليل قوله صلى الله عليه وسلم " لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل " [2]

مناقشة أدلة الجبريـة :

نوقش استدلال الجبريـة بالآيـة الكريمـة على ما ذهبوا إليه من الخبر بأن الآيـة تشهد عليهم لا لـهم فإنه تعالى أثبت لنبيه رمياً بقوله " وما رميت " **فعلم أن المثبت غير المنفي وذلك لأن الرمي له ابتداء وهو الحذف وله انتهاء وهو الإصابة وكل منهما رمي فالمعني حينئذ والله اعلم وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب وإلا فطرد قولهم وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى , وما صمت إذ صمت وما سرقت إذ سرقت وفساد هو ظاهر .**

---

[1] سـورة الانفـال آيـة (17)

[2] أخرجه البخاري في المرض (5673) (6363) وفي الرقاق (6464 , 6467) ومسلم وأخرجه مسلم (2816 , 2817 , 2818) وفي التوبة (6979) وابن ماجه (4201) والنسائي في الرقاق (12 : 369) وأحمد (125/6) وأحمد (451/2 , 452 , 466 , 473 , 482 , 488 , 509 , 514 , 519) وأيضاً (235/2 , 256 , 264 , 326 , 344 , 386 , 390 , 395 , 524) وأيضا (52/3 , 337 , 362) والدارمي (305/2 , 306) والبخاري في الأدب المفرد (146) والبغوي (4192 - 4194)

وأما الدليل الثاني من ترتيب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية وهدى الله أهل السنة وله الحمد والمنة فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات فالمنفي في قوله صلى الله عليه وسلم " لن يدخل الجنة أحد بعمله " **باء العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلي الجنة**

وزعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله بل ذلك برحمة الله وفضله والباء في قوله ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ **وغيرها باء السبب أي سبب عملكم والله تعالى هو خالق الأسباب فرجع الكل إلي محض فضل الله ورحمته .**

أدلـة المعتزلـة :

استدل المعتزلة على ذهبوا إليه بقوله تعالى ﴿ فتارك الله أحسن الخالقين ﴾ [3]

قالوا الجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض كما قال تعالى ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [4]

وقوله تعالى ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [5]

مناقشة أدلة المعتزلة :

1-الدليل الأول الذي استدلوا به ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [1] **فمعنى الآية أحسن المصورين المقدرين , والخلق يذكر ويراد به وهو المراد هنا بدليل قوله تعالى** ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ **أي أن الله خالق كل شيء مخلوق فدخلت أفعال العباد في عموم كل**

وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم كل الذي هو صفة من صفاته يستحيل عليه أن يكون مخلوقا وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من

---

(3) سورة المؤمنون آية (14)
(4) سورة السجدة آية (17)
(5)سورة الزخرف آية (72)
(1) سورة الزمر آية (62)

عموم كل وهل يدخل في عموم كل إلا ما هو مخلوق فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم ودخل سائر المخلوقات في عمومها

واعلم بأنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الاحداث وجب وجوده بمشيئته سبحانه وتعالى كما قال ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [2] فقوله فألهمها فجورها وتقواها إثبات للقدر بقوله (فألهمها) وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلي نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية وقوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ [2] إثبات أيضا لفعل العبد

أما الدليل الثاني من أدلة المعتزلة فقد أجيب عنه ضمن مناقشة الدليل الثاني من أدلة الجبرية وهناك شبهات أخرى فنوردها ونورد الرد عليها : فمن ذلك :

قولهم : كيف يعذب الله المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم :

قلنا هذا السؤال لم يزل مطروقا في العالم على ألسنة الناس وعنه تفرقت بهم الطرق فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى وطائفة أنكرت الحكم والتعليل وسدت باب السؤال وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل جعلت الثواب والعقاب عليه وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدر بين قادرين ومفعول بين فاعلين وطائفة التزمت الجبر وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف والجواب الصحيح على ما ذكر هو :

هو أن يقال لهم إن ما يُبتلي به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلقاً لله تعالى فهي عقوبة له على ذنوب قبلها فالذنب يكسب الذنب ومن عقاب السيئة السيئة بعدها فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضا .

فإن قيل : فماذا عن الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب قلنا هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا

---

[2] سورة الشمس (7 : 10)

شريك له وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه كما قال تعالى " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها " [3] **فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه من محبة الله وعبوديته والإنابة إليه عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي .**

فإنه صادف قلبا خاليا قابلاً للخير والشر ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر كما قال تعالى " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين " [1] **وقال إبليس** " فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين " [2] **وقال عز وجل** " هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان " [3] **والإخلاص هو خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته فخلص لله فلم يتمكن منه الشيطان وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك تمكن فيه منه بحسب فراغه فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص وهو محض العدل .**

فإن قيل فهذا العدم من خلقه فيه

قلنا لهم : هذا سؤال فاسد فإن العدم كما سمه لا يفتقر إلي تعليق التكوين والاحداث به فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتي يضاف إلي الفاعل بل هو شر محض والشر ليس إلي الله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه وتعالى في حديث الاستفتاح " لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك " [4] **وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فما تولوه دون اله وأشركوا به معه عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم وكانت هذه الولاية والإشراك**

---

(3) سورة الروم آية (30)
(1) سورة يوسف آية (24)
(2) سورة ص آية (82 : 83)
(3) سورة الحجر آية (41 : 42)
(4) أخرجه مسلم في الصلاة (1781) وابو داو في الصلاة (744) والترمذي في الدعوات (3421 , 3422 , 3423) وابن ماجة في الصلاة (1054) والنسائي في الصلاة (2 : 29)

عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص فالهام البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته وإلهام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص .

فإن قيل : إن كان هذا الترك أمراً وجودياً وإن كان أمراً عدمياً فكيف يعاقب على العدم المحض قلنا : ليس هنا الترك هو كف النفس ومنعها عما تريده وتحبه .

وأن العدم هنا هو محض خلوها مما هو أنفع شيء لها والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات لا بالعقوبات التي تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسل فلله فيه عقوبات

1- احداهما جعله مذنباً خاطئاً وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله وهذه العقوبة قد لا يحس بألمها ومضرتها لموافقتها شهوته وإرادته وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات .

2- العقوبات المؤلمة بعد فعله السيئات وقد قرن الله بينهما في قوله " فلما نسو ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء " [5] فهذه العقوبة هي العقوبة الأولي ثم قال " حتي إذا فرحوا بما آتوا آخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون " [5] فهذه العقوبة الثانية .

فإن قيل : فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص من غير ان يخلق ذلك في قلوبهم قيل : لا بل هو محض منته وفضله

فإن قيل : فإذا لم يخلقه في قلوب البعض ولم يوفقوا إليه ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم عاد السؤال كما كان ، وكان منعهم منه ظلما ولزمكم القول بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء

قيل : لا يكون بمنعهم من ذلك ظلماً فالظالم هو من يمنـ؛ غيره حقاً وجب لذلك الغير عليه وهذا هو الذي حرمه الرب على نفسه أما إذا منع غيره ما ليس بحق

---

(5) سورة الأنعام آية (44)

له لم يكن ظلماً بمنعه فمنع الحق ظلم ومنع الفضل عدل وهو سبحانه العدل في منعه وكذل هو المحسن المنان بعطائه فنسأل اله أن يعاملنا بفضله ورحمته ،

فإن قيل لما يتفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر :

قيل : قد تولى الله الجواب فقال تعالى " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " [1]
ولما سأل اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الآمة بأجرين وإعطائهم أجرهم أجراً أجراً قال ﴿ هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء ﴾ [2]

ولما استشكل المشركون في هذا التخصيص قالوا ﴿ أهولاء من الله عليهم من بيننا ﴾ [3] **وقال تعالى** ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ **فالله أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر الشكر من المحل الذي لو غرست فيه لم تثمر فكان غرسها في الثاني ضائعا لا يليق بالحكمة وليس من الحكمة إطلاع كل فرد من الناس على كمال حكمته في إعطائه ومنعه بل إذا كشف لعبد عن جزء يسير من حكمته استدل بما علمه على ما لم يعلمه .**

فإن قيل : فإذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد فإذاً لا فعل أصلاً :

قيل : بل هو فاعل لفعله حقيقة كما قال تعالى ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ [4]

وأفعاله نوعان :

1-اضطرارية كحركات المرتعش وهذه تكون صفة له ولا تكون فعلاً

2-اختيارية فتوصف بكونها صفة وفعلاً وكسباً للعبد والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً ولهذا أنكر السلف الجبر لأنه لا يكون إلا من عاجز والله لا

---

(1) سورة الجمعة آية (4)
(2) أخرجه البخاري (557 . 2268 , 2269 , 3459 , 5021 , 7467 , 7533) والترمذي (2871) وأحمد (6/2 , 111 , 121 , 129) والطيالس (1820)
(3) سورة الأنعام أية (53)
(4) سورة البقرة آية (197)

يوصف بالجبر بهذا الاعتبار لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد قادر على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره ولهذا جاء في لفظ الشارع الجبل دون الجبر قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس " إن فيك خصلتين يحبها الله الحلم والأناة " فقال أخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليها فقال بل خلقان جبلت عليها " فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله تعالى "[5] والله تعالى إنما يعذب العبد على فعله الاختياري والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول .

فإن قيل : خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم

قيل : هذه بمنزلة أن يقال خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم فكما أن هذا سبب الموت فهذا سبب العقوبة 0

فالحاصل : أن فعل العبد له حقيقة ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول ليس هو نفس فعل الله ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق 0

وإلي هذا المعنى أشار الشيخ بقوله " وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد " أثبت للعباد كسباً وفعلا وأضاف الخلق إلي الله والكسب هو الفعل الذي يعود إلي فاعله منه نفع أو ضرر قال تعالى " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "[1]

أما قوله " ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم وهو تفسير " لا حول ولا قوة إلا بالله " نقول لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة اله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة لله والثبات عليها إلا بتوفيق الله وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعمله وقضائه وقدره غلبت مشيئته

---

(5) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (975) وفي التاريخ (447/3) ومسلم في الإيمان (17 , 18 , 25) وابو داود في الاشربة (3692 , 5225) والترمذي في السير (1599 , 2011) والنسائي في العلم في الكبرى (5 : 262) التحفة والطبراني في الكبير (5313) (812/20) ومسند ابي يعلى (319/2) وأورده الهيثمي في المجمع (387/9 – 388) عن أحمد وقال رجاله رجال الصحيح إلا أن أبي بكرة لم يدرك الأشج وابن منده في الإيمان (152) والطراني في الصغير (11/2) والبخاري في الأدب المفرد (586) وأحمد (23/3 – 206/4)

(1) سورة البقرة آيــة (286)

المشيئات كلها وعكست إرادته الإرادات كلها وغلب قضاؤه الحيل كهلا يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " [2]

أعلم بأن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي وهو قد قال لا يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم " وظاهره يرجع إلي معنى واحد ولا يصح ذلك لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به سبحانه وتعالى لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر كما قال تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"[3] وقال تعالى " يريد الله أن يخفف عنكم " [4] وقال تعالى " وما جعل عليكم في الدين من حرج " [5] فلو زاد فيما كلفنا به لأطقنا ولكنه تفضل علينا ورحمنا وخفف عنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج 0 ويجاب عن هذا الإشكال بأن المراد أنهم لا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه بأن المراد بالطاقة هي التي نحو التوفيق والإعانة والتسديد لا التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات ولكن لا تخلو العبارة من قلق فتأمل واعلم بأن الله سبحانه وتعالى لم يكلفهم إلا ما يطيقون قال تعالى "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " [6] وقوله " لا نكلف نفساً إلا وسعها " [7] واختلف الناس في التكليف بما لا يطاق فذهب أهل السنة إلي امتناع التكليف بما لا يطاق كما قال تعالى " لا نكلف نفسا إلا وسعها " وأجابوا عن قوله تعالى للملائكة " أنبئوني بأسماء هؤلاء " [8] مع عدم علمهم بذلك وقوله للمصورين يوم القيامة " أحيوا ما خلقتم " [9] وأمثال بأنه ليس بتكليف طلب يثاب فاعله ويعاقب تاركه بل خطاب تعجيز وليس خطاب تكليف 0

---

(2) سورة الأنبيـــاء آيــة (23)
(3) سـورة البقرة آيـة (185)
(4) سـورة النسـاء أية (28)
(5) سورة الحج آية (78)
(6) سورة البقـرة آيـة (286)
(7) سورة الأنعام آيـة (152)
(8) سـورة البقـرة آيـة (31)
(9) أخرجه البخاري في التوحيد (7558) ومسلم في اللباس (5431) والنسائي في الزينة (215/8) وأحمد (4/2 , 20 , 141 – 70/6 , 246) وابن ماجة (2151) والطيالس (1425)

أما دعاء المؤمنين في قوله تعالى " ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به " [1] أي لا تحملنا ما يثقل علينا داؤه وإن كنا على تجثم وتحمل مكروه كما تقول للرجل الذي يبغضه لا أطيق النظر إليك وأنت مطيق لذلك لكنه يثقل عليك ذكره بان الانباري
وذهب أبو الحسن الأشعري إلي جواز التكليف بما لا يطاق عقلاً واختلف أصحابه في وقوعه شرعا واحتج من قال بوقوعه شرعا بأمر أبي لهب بالإيمان وقد أخبر تعالى أنه لا يؤمن قال تعالى " سيصلى ناراً ذات لهب "[2] فكان مأموراً بأن يؤمن وقد أجيب عن هذا بأننا لا نسلم بأنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن والاستطاعة التي بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة فما كان عاجزاً عن تحصيل الإيمان وما كلف إلا ما يطيقه ومنهم من يقولا ما لا طاقة للعجز ع نه لا يجوز التكليف به أما ما لا يطاق للاشتغال بضده فإنه يجوز التكليف به وهؤلاء موافقون للسلف في المعنى إلا أن جعل ما يتركه العبد لا يطاق لكونه مشتغلاً بضده بدعة في الشرع واللغة فإن مضمونه أن كل من لم يفعل فإنه لا يطيقه وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف 0 وقد يحتج هؤلاء بمثل قوله تعالى " ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون " [3] وقوله " قل إنك لن تستطيع معي صبرا " [4] ولكن المراد بالآية الأولي أن هؤلاء لبغضهم الحق وثقله عليهم إما جسدا أو اتباعا للهوى لا يستطيعون لا لعجزهم عن ذلك
أما الآية الثانية فالمارد بها أن موسى عليه السلام لا يستطيع الصبر لما يرى من مخالفة ظاهرة للشرع وليس عن عجز منه عن ذلك وهذه لغة العرب وسائر الأمم فمن يبغض غيره يقول : إنه لا يستطيع الإحسان إليه ومن يحبه يقول إنه لا يستطيع عقوبته لشدة محبته لا لعجزه عن عقوبته والله عز وجل لو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه لفسدت السماوات والأرض قال تعالى " ولو اتبع الحق أهواءهم

سورة البقرة آية (286)
[2] سورة المسد
[3] سورة هود (20)
[4] الكهف آية (67)

لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن " [5] وقوله " وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضاءه وقدره " يريد بذلك القضاء الكوني لا الشرعي فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً وكذلك الإرادة والأمر والأذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات ونحو ذلك 0 أما القضاء الكوني مثل قوله تعالى " فقضاهن سبع سماوات في يومين " [6] والقضاء الديني الشرعي مثل قوله تعالى " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه "[7] أما الإرادة الكوني فمثل قوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " [8] والإرادة الشرعية " وما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم " [9]

أما الأمر الكوني ففي مثل قوله تعالى " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " [1] وقوله " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " [2] والأمر الشرعي في قوله تعالى " إن الله يأمر بالعدل والاحسان " [3] وقوله " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها " وأما الإذن الكوني ففي قوله تعالى " وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله " [4] والإذن الشرعي " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله " [5] وأما الكتاب الكوني ففي قوله تعالى " وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير " [6] وقوله " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون " [7] والكتاب الشرعي الديني في قوله " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس " [8] وقوله " يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام "

---

[5] المؤمنون آية (71)
[6] سورة ص (12)
[7] الاسراء آية (23)
[8] الانعام آية (125)
[9] المائدة آية (6)
[1] الاسراء آية (16)
[2] يس آية (82)
[3] النحل آية (90)
[4] البقرة آية (102)
[5] الحشر آية (5)
[6] فاطرة آية (11)
[7] الأنبياء آية (105)
[8] المائدة أية (45)

[9] وأما الحكم الكوني ففي قوله تعالى " فلن أبرح حتي يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين " [10] وقوله " قال رب أحكم بالحق وربنا المستعان على تصفون " [11] والحكم الشرعي " أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد " [12] وقوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم " [13]

وأما التحريم الكوني في قوله تعالى " قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض " [14]

وقوله حرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون " [15] والتحريم الشرعي في قوله " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير" [16] وقوله "حرمت عليكم أمهاتكم " [16] وأما الكلمات الكونية في قوله تعالى " وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا " [17] وفي قوله صلى الله عليه وسلم " أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر " [18] والكلمات الشرعية الدينية ففي قوله " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن " [19] (تنزيه الله عن الظلم) وقوله : يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا – الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن الظلم – يقتضي قولاً وسطا بين القدرية والجبرية فليس ما كان من بني آدم مظلما وقبيحا يكون منه ظلما وقبيحا كما يقول القدرية والمعتزلة ونحوهم فإن ذلك تمثيل لله بخلقه وقياس له عليهم وهو الرب الغني القادر وهم العباد الفقراء المقهورون

ذكر بعض شبهات أهل الضلال والرد عليهم

---

[9] البقرة آية (183)
[10] يوسف آية (80)
[11] الأنبياء آية (12)
[12] المائدة أية (1)
[13] الممتحنة آية (10)
[14] المائدة أية (26)
[15] الأنبياء آية (95)
[16] المائدة (3)
[16] النساء (23)
[17] الأعراف آية(23)
[18] تقدم تخريجه
[19] البقرة (124)

وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة كما يقوله من المتكلمين وغيرهم ويقول إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم بل كل ما كان ممكناً فهو منه – ولو فعله – عدل إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غير منهي والله ليس كذلك واستدلوا على ذلك بآيات منها " فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما "[1] وقوله " ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد" [2] وقوله " وما ظلمناهم ولكن هم الظالمين " [3] وقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا " [4] وقوله " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب " [5] ويدل على نقيض هذا القول ومنه قوله الذي رواه عنه صلى الله عليه وسلم " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ودعلته بينكم محرما فلا تظالموا " [6] فهذا دل على شيئين أحدهما : أنه حرم على نفسه الظلم والممتنع لا يوصف بذلك

الثاني : أنه أخبر أنه حرمه على نفسه كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي والله ليس كذلك 0 فيقال لهم هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه لا ما هو ممتنع عليه 0 وأيضا قوله " فلا يخاف ظلما ولا هضما " قد فسره السلف بأن الظلم أن توضع عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسناته " كما قال تعالى " ولا تزروا وازرة وزر أخرى " [7] وأيضاً فإن الإنسان لا يخاف الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة حتى يأمن من ذلك وإنما يأمن مما ممكن فلما آمنه من الظلم بقوله " فلا يخاف " عُلم أنه ممكن مقدور عليه وكذا قوله " لا تختصموا لدي " إلي قوله " وما أنا بظلام للعبيد " لم يعن بها

---

(1) طـه (112)
(2) ق (29)
(3) الزخرف (76)
(4) الكهف (49)
(5) غافر (17)
(6) أخرجه مسلم في الأدب (2577) (6450) وأحمد (160/5) والحاكم (241/4) وقال صحيح
(7) الاسراء (15)

نفي ما لا يقدر عليه ولا يمكن منه وإنما نفي ما هو مقدور عليه ممكن وهو أن يجزوا بغير أعمالهم 0 فعلى قول هؤلاء ليس الله منزهاً عن شيء من الأفعال أصلا ولا مقدساً عن أن يفعله بل كل ممكن فإنه لا ينزه عن فعله بل فعله حسن ولا حقيقة للفعل السوء بل ذلك ممتنع والممتنع لا حقيقة له والقرآن يدل على نقيض هذا القول في مواضع نزه الله نفسه فيها عن فعل م لا يصلح له ولا ينبغي له فعلم أنه منزه مقدس عن فعل السوء والفعل المعيب المذموم كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم وذلك كقوله تعالى " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون " فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثا وأنكر على من حسب ذلك وهذا فعل وكقوله تعالى " أفنجعل المسلمين كالمجرمين " وقوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار " أنكار منه سبحانه على من جوز أن يسوي الله مبين هذا وهذا وكذا قوله " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون " إنكار على من حسب أنه يفعل هذا وإخبار أن هذا حكم سيئ قبيح وهو ما ينزه الرب عنه 0

وروى أبو داود والحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس , وعبادة بن الصامت وزيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم " لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولا رحمهم كانت رحمته خيراً لهم ممن أعمالهم " وهذا الحديث مما يحتج به الجبرية , وأما القدرية فلا يتأتى على أصولهم الفاسدة ولهذا قابلوه بالتكذيب أو بالتأويل 0

واسعد الناس به أهل السنة الذين قابلوه بالتصديق وعلموا من عظمة الله وجلاله قدر نهم الله على خلقه وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم أما عجزاً منهم وإما جهلاً وإما تفريطاً وإضاعة وإما تقصيراً في المقدور من الشكر ولو من بعض الوجوه فإن حقه على أهل السماوات والأرض أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر

فلا يكفر وتكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء جميعها متوجهة إليه ومتعلقة به بحيث يكون القلب عاكفاً على محبته وتأليهه بل على إفراده بذلك واللسان محبوساً عن ذكره والجوارح وقفاً على طاعته ولا ريب أن هذا مقدور في الجملة ولكن النفوس تشح به وإن آتى به من وجه آخر فأن الذي لا تقع منه إرادة تزاحم مراد ا لله وما يحبه منه ومن ذا الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له ولو في وقت من الأوقات فلو وضع الله عدله على أهل سماواته وأرضه لعذبهم بعدله ولم يكن ظلما لهم وغاية ما يقدر توبة العبد من ذلك واعترافه وقبول التوبة محض فضله وإحسانه وإلا فلو عذب عبده على جنايته لم يكن ظلماً ولو قدر أنه تاب منها لكن أوجب على نفسه بمقتضى فضله ورحمته أنه لا يعذب من تاب وكتب على نفسه الرحمة فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار أو يدخله الجنة كما قال أطوع الناس لربهم وأفضلهم عملا وأشدهم تعظيما لربه وإجلالاً " لن ينجى أحداً منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل " [1] وسأله الصديق دعاء يدعوا به في صلاته فقال له " قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك الغفور الرحيم " [2] فإن كان هذا حال الصديق الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين فيما الظن بسواه بل إنما صار صديقاً بتوفيته هذا المقام حقه الذي يتضمن معرفة ربه وحقه وعظمته وما ينبغي له وما يستحقه على عبده ومعرفة تقصيره فسحقا وبعداً لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجة إليها وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية فإن لم يتسع فهمك لهذا فأنزل إلي وطأة النعم وما عليها من حقوق ووازن من شكرها وكفرها فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم

---

[1] أخرجه مسلم في التوبة (6973) وأحمد (482/2 , 488) وأخرجه البخاري بلفظ " لن يدخل الجنة أحد عمله – الحديث) أخرجه البخاري في الرقاق (6464 , 6467) والنسائي كذلك بهذا اللفظ في الرقاق في الكبرى (12 : 369) التحفة

[2] أخرجه البخاري في التوحيد 0 8387) ومسلم في الدعوات (6740) والنسائي في اليوم والليلة